

الفيصل

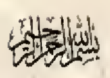
مجلة ثقافية شهرية - العدد ٣٢٧ - رمضان ١٤٢٤هـ - أكتوبر/نوفمبر ٢٠٠٣م

ALFAISAL MAGAZINE - NO. 327 - OCT/NOV. 2003

- أضواء على المراصد الفلكية لدى المسلمين
- الإنترنت: فوائدها ومخاطرها وتحدياتها
- برج بيزا المائل.. هل يكف عن الميلان؟

صدر عن
دار الفيصل الثقافية







مجلة ثقافية شهرية ـ العدد ٣٢٧ ـ رمضان ١٤٢٤ هـ ـ أكتوبر/نوفمبر ٢٠٠٣م
ALFAISAL MAGAZINE - No. 327 - OCT/NOV. 2003



أضواء على المراصد الفلكية لدى المسلمين

انطلق العلماء المسلمون في تعاملهم مع علم الفلك على أساس التدبر في عجائب السماء، وحركات الكواكب، وحقائق الكون وتحديد أوقات الشعائر الدينية.

وقد استطاعوا صنع آلات دقيقة ومراصد عظيمة، وتوصلوا إلى نتائج مثلت رصيدًا علميًا اعتمدت عليه أوربا في نهضتها العلمية.

وكان لجميع المدن الكبرى في الإمبراطورية الإسلامية مراصد تقريبًا. وكان أشهرها مراصد بغداد، والقاهرة وقرطبة، وطليطلة، وسمرقند.

إدارة التحرير:

رئيس التحرير: يحيى محمود بن جنيد

مدير التحرير: عبدالله يوسف الكويليت

المراسلات للتحرير والإدارة:

ص.ب (٣) الرياض ١١٤١١ .
المملكة العربية السعودية
هاتف: ٤٦٥٣٠٢٧ ـ ٤٦٥٢٢٥٥
ناسوخ: ٤٦٤٧٨٥١

الاشتراك السنوي:

١٥٠ريال سعودي للأفراد، ٢٥٠ ريال سعودي للمؤسسات،
أو ما يعادلهما بالدولار الأمريكي خارج المملكة العربية السعودية.

الإعلانات:

هاتف : ٤٦٥٢٢٥٥ . ناسوخ: ٤٦٤٧٨٥١

رقم الإيداع في مكتبة الملك فهد الوطنية ١٤/٠٥٤٢
ردمد ١١٤٠ ـ ٠٢٥٨

ضوابط النشر

- يفضل طباعة المادة المرسلة على الحاسب الآلي، وإرسال نسخة على قرص مرن إن أمكن، أو كتابتها بخط مقروء على ورق A4 جيد، مع إرفاق سيرة ذاتية، وصورة ملونة حديثة.
- لا تفضل المجلة نشر المقالات الانطباعية التي تخلو من المعلومات.
- يرجى إرفاق صور أصلية ملونة جيدة مع الاستطلاعات والموضوعات الملونة، ولا تقبل الصور المأخوذة من الصحف والمجلات.
- في حال إرسال قصة مترجمة، يرجى إرفاق الأصل المترجم.
- لا تنشر المجلة الموضوعات المترجمة مباشرة من مجلات أجنبية، إلا إذا كان هناك إذن مسبق منها، وإن كان لا مانع من اتخاذها مصدرًا من مصادر الموضوع، مع توضيح مواضع الاقتباسات بشكل علمي.
- المواد التي يعتذر من عدم نشرها لا تعني بالضرورة ضعف مستواها، ولكن قد تكون هناك مواد كثيرة في الموضوع نفسه سبق نشرها، أو تنتظر النشر. ولا ترد المقالات إلى أصحابها بأي حال من الأحوال.
- يرجى إرفاق صورة غلاف الكتاب الذي يتم عرضه في باب «قراءات» مع بيانات وافية عن الكتاب المعروض يشمل: عنوانه واسم مؤلفه ودار النشر ومقرها، وسنة النشر، وعدد الصفحات.
- نأمل من الإخوة الكتاب الذين يراسلون المجلة من خارج المملكة العربية السعودية كتابة أسمائهم بالحرف
- اللاتيني.

الموضوعات التي مضى عليها وقت طويل ولم تنشر في المجلة سيتم الرد على الكتّاب بعد إعادة تقويمها بغض النظر عن أنها قد أجيزت من قبل للنشر.

- لا تمنح مكافآت على ما ينشر في بابي « رسائلكم» و«ردود وتعقيبات».
- يرجى الاهتمام بالتوثيق، ومن أهم ما ينبغي مراعاته:
  - يفضل تخريج الآيات القرآنية من القرآن الكريم مع تشكيلها، وذلك بذكر اسم السورة ووضع نقطتين بعدها ورقم الآية.
  - يفضل تخريج الأحاديث الشريفة من كتب الحديث مع ذكر طبعة الكتاب.
  - التثبت من النقول التي تنقل من الكتب، ولاسيما المصادر والمراجع التراثية القديمة مع ذكر طبعة الكتاب.
  - تشكيل الشعر ما أمكن، وخصوصًا القديم منه.
  - ضبط أسماء الأعلام والشعراء والأماكن والأشياء غير المعروفة والكلمات غير المألوفة بالشكل الصحيح، والتأكد من أن أسماء الأعلام الأجانب مطابقة لما هو متداول في لغاتهم إن أمكن.

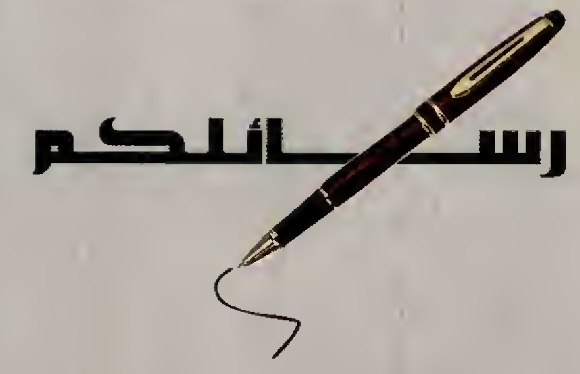
الموضوعات التي تنشر في المجلة تعبر عن آراء كتَّابها، ولا تعبر بالضرورة عن رأي المجلة

السعر الإفرادي

السعودية ٨ ريالات ـ الكويت ٦٥٠ فلس ـ الإمارات ٧ دراهم ـ قطر ٧ ريالات ـ البحرين ٧٥٠ فلس ـ عُمان ٧٥٠ بيسة ـ الأردن ٥٠٠ فلس ـ اليمن ٦٠ ريالاً ـ مصر جنيهان ـ السودان ٧٠ دينارًا ـ المغرب ٨ دراهم ـ تونس دينار واحد ـ الجزائر ٨٠ دينارًا ـ العراق ٤٠٠ فلس ـ سورية ٣٠ ليرة ـ ليبيا ٨٠٠ درهم ـ موريتانيا ١٠٠ أوقية ـ الصومال ٢٠٠٠ شلن ـ جيبوتي ١٥٠ فرنك ـ لبنان ما يعادل ٤ ريالات سعودية ـ الباكستان ٢٠ روبية ـ المملكة المتحدة جنيه إسترليني واحد.

الموزعون

السعودية ـ الشركة الوطنية الموحدة للتوزيع ـ هاتف٤٨٧١٤١٤(٠١)، فاكس ٤٨٧١٤٦٠(٠١). مصر ـ مؤسسة توزيع الأهرام ـ شارع الجلاء هاتف: ٢٣٩١٠٩٥ ـ فاكس ٢٣٩١٠٩٦ ـ ٢٠٢... سورية ـ المؤسسة العربية السورية لتوزيع المطبوعات ص.ب ١٠٢٥ هاتف ٢١٢٨٢٤٨ـ فاكس ٢١٢٢٥٣٢ ـ ١١ـ ٠٠٩٦٣، تونس ـ الشركة التونسية للصحافة ـ ٢نهج المغرب ـ ص.ب ٧١٩ـ فاكس ٧١٣٢٣٠٠٤/ هاتف ٣٢٢٤٩٩ ـ ٧١ ـ ٠٠٢١٦، قطر ـ دار الشرق للطباعة والنشر والتوزيع ـ ص.ب ٣٤٨٨ هاتف ٤٦٦١٢٨٢ ـ فاكس ٤٦٦١٨٦٥ ـ ٠٠٩٧٤، الأردن ـ شركة وكالة التوزيع الأردنية ـ ص.ب ٣٧٥ هاتف ٤٦٣٠١٩١ ـ فاكس ٤٦٣٥١٥٢ ـ ٦ـ ٠٠٩٦٢، البحرين ـ مؤسسة الهلال لتوزيع الصحف ص.ب ٢٢٤ هاتف ٢٩٤٠٠٠ ـ فاكس ٥٣١٢٨١ ـ ٠٠٩٧٣، الإمارات العربية المتحدة ـ مكتبة دار الحكمة ص.ب ٢٠٠٧ هاتف ٢٦٦٥٣٩٤ ـ فاكس ٢٦٦٩٨٢٧ ـ ٤ ـ ٠٠٩٧١، الكويت ـ شركة المجموعة الكويتية للنشر والتوزيع ص.ب ٢٩١٢٦ ت ٢٤١٧٨١٠/١١/١٢ ـ فاكس ٢٤١٧٨٠٩ ـ ٠٠٩٦٥، المغرب ـ الشركة الشريفية لتوزيع الصحف فاكس: ٢٢٤٠٤٠٢١/٢٢ ـ ٢١٢ ـ ٠٠٢١٢ ت: ٢٢٤٠٠٢٣٣، الجمهورية اليمنية ـ القائد للنشر والتوزيع ت: ٢٠١٩٠١/٢ ـ ٣ ـ ٠٠٩٦٧ فاكس: ٢٠١٩٠٩/٧



تميز

نبارك لكم هذا التميز والإبداع والتألق .. وما لاحظته من تطوير في العدد (٣٢٤) لهو خير دليل على تفكيركم المستمر وتعاملكم مع جميع معطيات العصر وكل ماهو جديد وجذاب وممتع للارتقاء بمجلة الفيصل إلى الأفضل والأجمل لتبقى منارة للعلم والمعرفة والإبداع ومتنفسًا لكل قارئ عربي من الخليج إلى المحيط وفي أرجاء المعمورة.

علي أحمد حمبج

البيضاء . اليمن

التحرير:

نشكر لك إطراءك للمجلة ونعاهدك والقراء أن نبذل كل ما في وسعنا لتكون عند حسن ظن القراء الذين هم زادنا في مشوار التطوير والتجديد.

فخر واعتزاز

عجز القلم عن الوصف أو الإشادة فلا توجد كلمات تعبر عن مدى المجهود الكبير المبذول لإخراج مجلة الفيصل بهذا الشكل الرائع والتي نفتخر بها وننتظرها مع بداية كل شهر .. مع خالص حبي وتقديري .. وتحية خاصة لكتابك وفنييك ومشرفيك ومخرجيك إلى القراء العرب بهذا المستوى الرائع ..

نحن قراءك نتمنى أن تبقي لنا أبد الدهر منهلا نتزود منه زاد النور والمعرفة ..

.. باقة ورد ..

لو أستطيع أن أقدم باقة ورد إلى كل العاملين على ظهور مجلة الفيصل بهذا الشكل المتميز لفعلت، ولكن لبعد المسافة، وكما أن الجواب صغير، فأرجو أن تقبلوا هذا(الكارت) البسيط .. إهداء إلى كل من ساهم من قريب أو بعيد في ظهور مجلة الفيصل بهذا الشكل، وعلى الدوام إن شاء الله مع أجمل الأمنيات وأرق الأماني.

محمد محمد البنداري عبدالمجيد

بورسعيد . مصر

التحرير:

نشكر لك رسالتك الرقيقة وإهداءك، ونتمنى أن نكون عند حسن ظن جميع الإخوة القراء.

اقتراحات للتطوير

أنا من المتابعين الأولين لمجلتنا الفيصل، وأدين لها بكثير من ثقافتي لكوني أحد العاشقين لها، وإنني أستمتع بقراءتها وأحتفظ بأعدادها كمراجع موثوقة ... وعليه فإنني أقترح بعض الاقتراحات التي أراها مناسبة لمجلة أحبها، وهي كالآتي:

- إضافة باب يتناول علم الفلك، ومن ثم مناقشة أي كتاب يختص بهذا العلم خصوصًا أن علماءنا العرب والمسلمين قد تبحروا في هذا العلم منذ القدم.

- بخصوص المسابقة فإنني أقترح على أن تكون الأسئلة أكثر من خمسة ولتكن عشرة مع تغيير الصيغة الحالية والإبقاء على سؤال أو سؤالين على الصيغة الحالية والإكثار من الأسئلة ذات الطابع السهل الممتع.

- أن يكون هناك باب ثابت يتناول في كل إصدار دولة عربية أو إسلامية من جميع النواحي مع إرفاق الخريطة الرسمية لتلك البلاد.

- لما يتمتع به الوطن العربي من ثروات سواء مادية أو مواد خام أو بشرية فإن مجلة الفيصل لكونها تنويرية جادة ستكون سباقة لو فتحت بابًا لتعليم الحرف اليدوية خاصة فيما يتعلق باستخراج المعادن والأحجار الكريمة وكيفية التعرف إلى ذلك وأين توجد؟.

هذه اقتراحاتي ولكم حق الموافقة من دونها، وشكرًا لكم سلفًا ودمتم:

شائف أحمد عقير سلام

تعز. اليمن

التحرير:

نشكر لك اقتراحاتك القيمة ونشير إلى أن المجلة تهتم بنشر موضوعات عن التراث العلمي لدى العرب والمسلمين، ومن المصادف أن يضم هذا العدد موضوعًا عن المراصد الفلكية، وتهتم المجلة أيضًا بالتعريف بالإصدارات في كل الدول العربية، وتقدم مراجعات كتب قيمة.

أما موضوع تعليم الحرف اليدوية فيخرج عن إمكانات المجلة وأهدافها.

اطمئنان

لقد اطمأن قلبي واشتد أزري لما ذكر في مجلتكم العزيزة التي هي مجلة كل العرب والتي نحرص دائمًا على اقتنائها؛ لأنها كنز كبير وقاموس لجميع المعلومات الدينية والعلمية والعالمية أقول والله لقد سعد قلبي بالرد الذي ذكر في العدد رقم ٣٢٤ جمادى الآخرة ١٤٢٤هـ ـ أغسطس/آب ٢٠٠٣م، وهذا يدل دلالة كبيرة على اهتمامكم بالقراء في كل الدول العربية وغيرها، وكانت هذه الكلمات البسيطة عندي بمنزلة جائزة من جوائز مسابقة المجلة الثقافية، وأكتب لسيادتكم هذه الكلمات وأمامي المجلة التي تحمل اسمي في الرد، وهذا يطمئن كثيرًا على أن رسائلنا تصل سيادتكم، وهذا ما كنت أتمناه، وهذه المجلة عزيزة على قلب كل عربي لمجرد أنها تحمل اسم المملكة العربية السعودية العريق، أرض الحرم التي شرفها الله بأحسن بقعة في الأرض، وهي مكة المكرمة وشعارها البيت الحرام، وكذلك المدينة المنورة، وشعارها مسجد النبي صلى الله عليه وسلم، وأدعو الله أن يوفقني لزيارة هذه الأماكن. هذا وتفضلوا بقبول وافر الاحترام .

محمد كامل أحمد خطاب

البحيرة ـ مصر

التحرير:

نطمئنك بأن كل رسائل الإخوة القراء تجد منا الاهتمام مهما حملت من نقد؛ لأن الهدف مزيد من التطوير، إرضاء للقارئ الكريم، ونحن نشكر لك هذا التقدير وتلك الصفات.

ردود سريعة

الأخ عبدالعزيز محمد السيد سماحة ـ الدقهلية ـ مصر:

نشكر لك اهتمامك بما تنشره المجلة ونأمل أن يلقى قبول جميع الإخوة القراء، واقتراحك بأن تكون هناك جوائز للمكثرين من المشاركة في المسابقة إذا لم يحالفهم التوفيق يبدو أمرًا صعب التطبيق لوجود أعداد كبيرة من القراء الذين يحرصون على المشاركة، وتمنياتنا للجميع.

الأخ فارس عبدالله يحيى الوداعي ـ حجة ـ اليمن:

نشكر لك تهنئتك بصدور «الفيصل العلمية» ، ونتمنى أن نتمكن من توزيعها في اليمن قريبًا، كما أن إشادتكم بالتطور الذي طرأ على المجلة مؤخرًا من ناحية الإخراج دليل على المتابعة. ونتمنى أن نكون عند حسن ظن الجميع.

الأخ ناصر جاسر ـ الخرطوم ـ السودان:

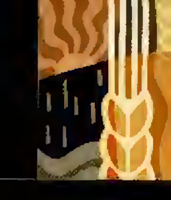
تجد موضوعًا في هذا العدد عن الإنترنت مما يدل على اهتمامنا بالجديد في عالم تقنية المعلومات، وهناك مقالات متعددة في هذا الميدان سبق نشرها وهي بأقلام أساتذة متخصصين، ويسرنا تلقي مشاركاتك، وثق بأنها ستكون ذات قيمة علمية ما دمت متخصصًا في هذا المجال.

الأخ عبدالكريم عبدالله درويش ـ بغداد ـ العراق:

مرحبًا بك قارئًا منتظمًا للمجلة ومشاركًا في مسابقاتها، وتمنياتنا لك أن تنال إحدى الجوائز، ونشكر لك حرصك على اقتناء المجلة.

الأخت مرفت فكري عطية ـ سوهاج ـ مصر:

يسرنا تلقي ملاحظاتك ومشاركاتك؛ لأن آراء القراء هي الأساس الذي تبنى عليه خطوات التطوير.





أضواء على المراصـد الفلك



...ة لدى المسلمين

معالي عبدالحميد حمودة
الإسكندرية ـ مصر

من خلال قراءة في المصنفات القديمة للعلماء المسلمين في علم الفلك، يتضح التصور المهم بالنسبة إلى علم الفلك، وهو الاستدلال على عظمة الباري سبحانه وتعالى. وقد انطلق العلماء المسلمون في تعاملهم مع علم الفلك على أساس التدبر في عجائب السماء، وحركات الكواكب، وحقائق الكون، وتحديد أوقات الشعائر الدينية المهمة، مثل: مواعيد الصلاة، ورؤية هلال رمضان، وأوقات الصوم والإفطار في هذا الشهر العظيم.

والعلماء المسلمون عندما تعرضوا لعلم الفلك، كانوا يعرفون أن علم صناعة النجوم فيه نفع عظيم؛ لأنه يتيح معرفة مدى السنين والشهور، والمواقيت، وفصول الأزمان، وزيادة النهار والليل ونقصانهما ... إلخ، ثم أثمرت جهود العلماء المسلمين التمكن من رصد كسوف الشمس وخسوف القمر وغير ذلك. ولا شك أن المراصد الفلكية قد أعانت الفلكيين المسلمين على رصد النجوم والكواكب، إذ أعطتهم صورة واضحة عن المظاهر الكونية كحركات القمر، والكواكب السيارة، وأحجام النجوم ومواقعها في أفلاكها.

ولم يأت القرن التاسع والعاشر الميلاديان حتى كانت كل عاصمة إسلامية من الأندلس غربًا حتى الصين شرقًا تزخر بالمراصد الضخمة المزودة بالآلات المتنوعة والعلماء المتفرغين.

ومن الأمور اللافتة للنظر أن علماء المسلمين أظهروا بتشجيع من حكامهم عنايتهم بعلم الفلك وإقامة هذه المراصد حيث كان لجميع المدن الكبرى في الإمبراطورية الإسلامية مراصد تقريبًا، وكان أشهرها مراصد بغداد، والقاهرة وقرطبة، وطليطلة، وسمرقند.

وهذا الأمر يثبت أن العلم في الإسلام يحظى بمكانة مميزة، وأن تشجيع حكام العالم الإسلامي للبحث العلمي هو صورة حضارية من صور حضارة الإسلام العظيمة.

وفي هذا الموضوع نستعرض بعض المراصد الفلكية المهمة في العالم الإسلامي.

الخليفة المأمون ونشأة المراصد

يقال: إن أول مرصد بُني في الإسلام كان في دمشق في عهد الأمويين. لكن الثابت أن الخليفة المأمون أمر ببناء مرصدين، أحدهما على جبل قيسون في دمشق، والآخر في الشماسية ببغداد، وأمر باستخدام الآلات فيهما، ويقال: إن المأمون هو أول من آشار باستعمال الآلات في الرصد.

وفي مدة خلافة المأمون وبعد وفاته أنشئت عدة مراصد في أنحاء مختلفة. فقد ابتنى (بنو موسى) مرصدًا في بغداد على طرف الجسر، قاموا فيه بكثير من الرصدات، وفيه استخرجوا حساب العرض الكبير الأكبر من عروض القمر. وقد عوّل الفلكي العملاق (ابن

يونس المصري) في أرصاده الفلكية على أرصادهم، واعترف (البيروني) بمهارتهم في الرصد، وكان مرصدهم مزودًا بأجهزة فلكية بالغة الدقة.

مرصد البتاني

لا يفوتنا ونحن نكتب عن المراصد الفلكية في عالم الإسلام، الإشارة إلى العالم الكبير، أبي عبدالله محمد بن جابر بن سنان البتاني (ت ٣١٧هـ/٩٢٩م) الذي أنشأ في أنطاكية مرصدًا عرف باسمه، وألف زيجًا يعرف باسم (الزيج البتاني) كما وصف الآلات الفلكية وصفًا علميًا دقيقًا، وشرح طريقة استعمالها.

كان البتاني بأرصاده الدقيقة أول من توصل إلى تصحيح طول السنة الشمسية. إذ قدرها بـ ٣٦٥ يومًا و٥ ساعات و٤٦ دقيقة و٣٢ثانية مقارنة بما توصل إليه العلماء باستخدام أحدث التلسكوبات فهي ٣٦٥ يومًا و٥ ساعات و٤٨ دقيقة و٤٦ ثانية.

كما قام البتاني بتصحيح قيمة الاعتدالين الصيفي والشتوي، وتعيين ميل البروج عن فلك معدل النهار. وقد ترجمت معظم مؤلفات البتاني إلى اللاتينية في القرن الثالث عشر الميلادي، ومن بينها (شرح المقالات الأربع) لبطليموس، وكتاب(تعديل الكواكب) وكتاب (في معرفة

اشتهرت أرصاد مرصد مراغة بالدقة الشديدة، وقد اعتمد عليها علماء أوربا في عصر النهضة وما بعده في بحوثهم العلمية، ومن آلات الرصد التي عرفها العرب: اللبنة والحلقة الاعتدالية وذات الأوتار

بنى الطاغية هولاكو مرصد مراغة الذي لم تكن شهرته بآلاته الدقيقة فحسب. بل في بتفوق المشتغلين فيه، وقد وجدت أعمالهم طريقها إلى الصين

مطالع البروج فيما بين أرباع الفلك) ويكفي أن العالم الكبير «جورج سارتون» قال عن البتاني:

«إن البتاني أعظم علماء عصره، وأنبغ علماء العرب في الفلك والرياضيات، ولو أخذت الظروف بعين الاعتبار. لاعتبر البتاني أعظم عالم فلكي في العالم لما قدمه من خدمة للبشرية».

مرصد شرف الدولة البويهي

كان شرف الدولة البويهي يحكم جنوب فارس والعراق (٣٧٢ ـ ٣٧٩هـ) فبنى في بغداد في بستان دار المملكة مرصدًا جمع فيه نفرًا من علماء الفلك العظام منهم (أبو سهل الكوهي) و(أحمد الصاغاني الأسطرلابي) و(إبراهيم بن هلال) و(أبو الوفاء الوزجني). وكان الكوهي رئيسًا للمرصد، فكان يدعو جماعة من رجال الدولة ووجهاء بغداد ومن المنجمين والمهندسين لحضور أرصاده، ثم يكتب بعد ذلك محضرًا ويأخذ عليه توقيع الحاضرين.

وتذكر المراجع المعتمدة أن أبا سهل الكوهي الذي اشتهر بالعلوم التطبيقية عامة وبعلم الفلك خاصة، اشتهر بصنعه الآلات الرصدية وأجزاء الأرصاد الدقيقة، فنال شهرة عظيمة في الفلك، كما قام الكوهي في ذلك المرصد برصد الكواكب السبعة في سيرها وتنقلها في بروجها.



كرة سماوية وإلى اليسار أسطرلاب بلانسفيري

المرصد الحاكمي (الفاطمي)

أنشأ الفاطميون على جبل المقطم قرب القاهرة مرصدًا عرف باسم المرصد الحاكمي نسبة إلى الحاكم بأمر الله الفاطمي، وقد اشتهر هذا المرصد بآجهزته الدقيقة وبتفوق المشتغلين فيه.

ومن أشهر الذين عملوا في ذلك المرصد ابن يونس المصري (ت ٣٩٧هـ/١٠٠٧م) حتى إن المراجع تذكر أن الفاطميين بنوا ذلك المرصد خصيصى له، وأن المرصد نفسه أطق عليه اسم (مرصد ابن يونس الفلكي).

وقد بدأ ابن يونس المصري عمله في وضع الجداول نحو سنة ٣٨٠هـ/ ٩٩٠م، في المرصد المذكور، وسبق لابن

يونس - في سنة ٣٦٨ هـ - أن قام برصد كسوف الشمس وخسوف القمر في القاهرة بطريقة علمية بحت.

وقد أمره العزيز الفاطمي، أبو الحاكم بأمر الله، أن يضع زيجًا فبدأ به في القرن العاشر الميلادي وأتمه في عهد الحاكم بأمر الله وسماه (الزيج الحاكمي) وقد وصف في ذلك الزيج ، الطريقة التي اتّبعها فلكيو العرب في عصر المأمون في قياس محيط الأرض.

وظل ابن يونس المصري يواصل إرصاداته المتقدمة من سنة ٣٨٠ هـ إلى سنة ٣٩٧هـ.

أما المرصد الحاكمي فقد ضم - فيما بعد - إلى دار الحكمة التي أنشأها الخليفة الفاطمي الحاكم واستمرت من عام ١٠٠٥ م إلى آخر عهد الفاطميين في عام ١١٧١م.

مرصد مراغة

يعدّ مرصد مراغة من أهم وأشهر وأكبر المراصد الإسلامية قاطبة، وقصة إنشاء هذا المرصد غاية في العجب، فبعد أن اجتاح المغول بغداد، وقضوا على الخلافة العباسية سنة ٦٥٦هـ/١٢٥٨م، أنشأ الطاغية هولاكو سنة ٦٥٧هـ مرصدًا في مراغة في مقاطعة آذربيجان، وجعل رئيسه (نصير الدين الطوسي) (ت ٦٧٢هـ/ ١٢٧٤م) مؤلف (الجداول الخانية) نسبة إلى الخان حاكم المغول.

وتم تزويد المرصد بأفضل أجهزة الرصد في ذلك الحين، حفظ لنا وصفها تلامذة الطوسي وزملاؤه، فقدموا بذلك مادة لأبحاث قام بها بعض المتخصصين من الأوربيين.

لم تكن شهرة المرصد في آلاته الدقيقة التي لم يكن بعضها معروفًا عند الفلكيين فحسب، بل في تفوق المشتغلين فيه، وقد قال نصير الدين الطوسي عنهم في الزيج الإيلخاني): «... إني قد جمعت لبناء المرصد جماعة من الحكماء، منهم: المؤيد العرضي من دمشق.



والفخر المراغي الذي كان بالموصل، والفخر الخلاطي الذي كان بتفليس، ونجم الدين بن دبيران القزويني، وقد ابتدأنا في بنائه سنة ٦٥٧هـ بمراغة».

ومن هذا المرصد العلمي الجديد الباهر وجدت أعمال الفلكيين البغداديين والقاهريين وغيرهم طريقها إلى الصين في عهد حكم (قوبلاي خان).

ومن المهم الإشارة إلى أن الآلات الفلكية التي كانت موجودة بالمرصد كانت أكثر تقدمًا، حتى يكون الخطأ قاصرًا على الحد الأدنى ليس غير، فجعل فلكيو مراغة، أدواتهم أضخم من أي من الأدوات الفلكية المعروفة في عصرهم.

٥- مرصد سمرقند (أولغ بك)

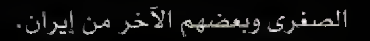
هو: أولغ بك بن شاه روخ بن تيمور، نشأ في القرن الخامس عشر الميلادي في بيت إمارة وسلطان، كان والده يحكم بلادًا كثيرة ومقاطعات واسعة، واتخذ (هراة) مركزًا له وعاصمة لملكه.

وعندما تولى أولغ بك مقاليد الحكم تعرض لويلات ومصائب شديدة من الذين يطالبون بالعرش، وعلى الرغم من ذلك فإنه كان موفقًا جدًا في ميادين العلم، إذ بنى مرصدًا في سمرقند، وزوده بجميع الآلات والأدوات المعروفة في زمانه، وقد زين إحدى دوائره بنقوش تمثل الأجرام السماوية المتعددة، جاءت غاية في الإتقان والإبداع، فأمّه الناس من مختلف الجهات، وكان في نظرهم إحدى عجائب الدنيا.

وقد امتاز مرصد سمرقند بآلاته المميزة التي كانت على جانب كبير من الدقة، وكان فيها آلة (ربع الدائرة) التي استعملت لتعيين قطب ارتفاع النقطة الموجود عليها المرصد.

وقد عهد (أولغ بك) لـ (غياث الدين جمشيد الكاشي) و(قاضي زاده رومي) بإجراء الأرصاد بقصد تصحيح بعض الأرصاد التي قام بها فلكيو اليونان، وقد ضم المرصد عددًا كبيرًا من العلماء بعضهم من آسيا







الصغرى وبعضهم الآخر من إيران.

وقد شيد (أولغ بك) المرصد على غرار إيلخانات إيران في سنة ٨٣٢هـ/ ١٤٢٨م. ظهرت أطلاله في حفريات عام ١٩٠٨م. وللدلالة أن المرصد كان هائلاً فقد ذكرت المراجع أن (ذات الربع) التي كانت في سمرقند، كان ارتفاعها كارتفاع قباب جامع آيا صوفيا في القسطنطينية.

وظهرت آثار النشاط العلمي في مرصد سمرقند في جداول النجوم المعروفة باسم (زيج سلطاني جديد) أو بالاختصار (زيج أولغ بك) التي تم وضع معظمها نحو سنة ٨٤١هـ/١٤٣٧م، واشتهرت أرصاد مرصد مراغة بالدقة الشديدة، وقد اعتمد عليها علماء أوربا في عصر النهضة وما بعده في بحوثهم الفلكية. وإتمامًا للفائدة نتناول - بإيجاز - آلات الرصد التي عرفها واستعملها العرب:

- اللبنة: وهي جسم مربع مستوى يقاس به الميل الكلي وأبعاد الكواكب وعرض البلد.
- الحلقة الاعتدالية: حلقة تنصب في سطح دائرة المعدلة ليعلم بها التحول الاعتدالي.
- ذات الأوتار: أربع أسطوانات مربعة تغني عن الحلقة الاعتدالية من مخترعات العالم المسلم (تقي الدين الراصد).
- ذات الحلق:

أعظم الآلات هيئة ومدلولاً، وهي خمس دوائر متحدة من نحاس: الأولى دائرة نصف النهار وهي مركزة في الأرض، ودائرة منطقة البروج، ودائرة العرض، ودائرة الميل، وكذلك الدائرة الشمسية التي يعرف بها سمت الكواكب.

- ذات الشعبتين: وهي ثلاث مساطر على كرسي يعلم بها الارتفاع.
- ذات السمت والارتفاع: وهي نصف حلقة قطرها سطح من سطوح أسطوانة متوازية السطوح، يعلم بها السمت والارتفاع، وهي من مخترعات العلماء العرب.
- ذات الجيب: مسطرتان منتظمتان انتظام ذات الشعبتين.
- المشبهة بالمناطق: وهي ثلاث مساطر، اثنتان منتظمتان ذات الشعبتين، ويقاس بهما البعد بين كوكبين، وهما من مخترعات العالم المسلم (تقي الدين الراصد).

بنى أولغ مرصد سمرقند وقد زين إحدى دوائره بنقوش تمثل الأجرام السماوية وزوده بجميع الآلات والأدوات المعروفة في زمانه

وختامًا:

ففي تلك المراصد التي ألقينا الضوء عليها، وبمثل

اشتهر أبوسهل الكوهي بالعلوم التطبيقية عامة وبعلم الفلك خاصة. وصنع آلات رصدية وأجزاء أرصاد دقيقة وقام برصد الكواكب السبعة

هذه الآلات التي اخترعها العرب، فضلاً عن التحسينات التي أدخلوها على كثير من آلات الرصد المعروفة عند اليونان وسواهم، فسبقوا بذلك (جاليليو) و(كوبرنيكوس) وغيرهما من علماء الفلك المحدثين.

نقول في هذه المراصد، وبمثل هذه الآلات، أجرى المسلمون أرصادًا كثيرة، ووضعوا الازياج المهمة الدقيقة. والأزياج: مفردها زيج، وهي صناعة حسابية على قوانين كثيرة فيما يختص كل كوكب من طريق حركته وما أدى إليه برهان الهيئة في وصفه من سرعة وبطء واستقامة ورجوع وغير ذلك. يعرف بها مواضع الكواكب في أفلاكها لأي وقت فرض من قبل حسبان حركتها، على تلك القوانين المستخرجة من كتب الهيئة.

كرة سماوية وإلى اليسار مخطوط في علم الفلك





المراجع

١. أثر العلماء المسلمين في الحضارة الأوربية. أحمد علي الملا. ص١٦٣، دار الفكر، دمشق، الطبعة الثانية، ١٤٠١هـ/١٩٨١م.

٢. إسهام المسلمين في الحضارة، حيدر بامات، تعريب الدكتور ماهر عبدالقادر محمد علي. ص ٦٤، المركز العربي للدراسات والابحاث، الإسكندرية، مصر، ١٩٧٥م.

٣. الإسلام والعرب، روم لاندو، تعريب منير البعلبكي. ص ٥٣ وما بعدها، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان الطبعة الأولى، ١٩٦٢م.

٤. تاريخ الأدب الجغرافي العربي، اغناطيوس يوليانوفتش كراتشوفسكي، تعريب صلاح الدين عثمان هاشم، ق١/١١٠ ـ ١١٦، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة،١٩٦٣م.

٥. تراث العرب العلمي في الرياضيات والفلك، قدري حافظ طوقان. ص ١٣٢ وما بعدها، دار الشروق، بيروت القاهرة.







ملامح الثقافة العربية الاسـ

ـلامية في اليابان

سمير عبد الحميد إبراهيم

الرياض ـ السعودية

من الصعوبة بمكان تحديد السنة التي بدأت فيها اليابان تتعرف الثقافة العربية الإسلامية. إلا أنه من السهل إلى حد ما الإشارة بشكل تقريبي إلى بداية اهتمام اليابان بالثقافة العربية الإسلامية. وذلك عن طريق الترجمة عن الغرب؛ وذلك لعدم وجود صلة مباشرة بين اليابان والعالم العربي الإسلامي قبل عهد ميجي على ما يبدو.

ومع أن الاتصال الرسمي بين اليابان ودولة الخلافة الإسلامية أي الدولة العثمانية بدأ في عهد السلطان عبد الحميد الثاني سنة ١٣٠٧هـ/١٨٨٩م، إلا أن هذا الاتصال سبقته اتصالات أخرى على مستوى الأفراد لا الوفود، وكان ذلك عام ١٨٧١م حين زار سكرتير وزارة الخارجية الياباني إستانبول، وفي عام ١٨٨٩م أرسلت الدولة العثمانية بعثة بحرية إلى اليابان وفي أثناء عودتها غرقت السفينة ونجا عدد قليل من أفرادها، وقد أدّت الظروف الدولية دورًا في التقريب بين اليابان والدولة العثمانية.

إن الاهتمام بالثقافة العربية الإسلامية في اليابان اهتمام لا يمتد عبر سنوات بعيدة، فقد بدأ في تلك الفترة التي كانت اليابان فيها متشوقة إلى تعرف ثقافات الشعوب والأديان الأخرى في العالم، وبالتحديد عام ١٩٠٥م أو ١٩٠٦م حين بدأت موجة في اليابان لدراسة أديان العالم لاختيار أفضلها، وقد انتشر هذا الخبر بشكل مبالغ فيه في بلدان العالم الإسلامي وبخاصة في الهند ومصر، وهكذا جاء الشيخ علي أحمد الجرجاوي إلى اليابان عام ١٩٠٦م، وكتب رحلته إلى اليابان ونشرها عام ١٩٠٧م/١٣٢٥ هـ، وكان قد سبقه إلى اليابان عام ١٩٠٥م أحد الضباط المصريين يدعى أحمد فضلي فالتحق بالأكاديمية العسكرية، وظل بها سنوات وربما كان - كما يقول عبد الكريم سايتو - أول عربي مسلم يقيم في اليابان، وقد تزوج يابانية وعاش في اليابان، لكن لا يعرف أنه بذل أي جهد للتعريف بالإسلام أو العربية، لكن من المؤكد أنه شارك مولوي بركة الله في إصدار مجلة الأخوة الإسلامية (بالإنجليزية) التي بدأت عام ١٩١٠م وتوقفت عام ١٩١٢م.

مع قدوم الجرجاوي من مصر إلى اليابان قدم من الهند قاري سر أفراز حسين، الذي كان يأمل أن يتشرف اليابانيون بالإسلام على يديه، لكنه وجد الجو مختلفًا ورجع خائبًا.

وفي عام ١٩٠٨م قدم إلى طوكيو مولوي بركة الله الهندي للعمل في معهد اللغات الأجنبية مدرسًا للأردية، وعاش ٥ سنوات كان له فيها نشاط محمود في التعريف بالإسلام والثقافة الإسلامية، وكان مولوي بركة الله يكتب في مجلة الطريق اليابانية.

وفي السنة التالية قدم عبد الرشيد إبراهيم التتاري التركي إلى اليابان بمساعدة صديقه الياباني الجنرال آكاشي، ليكون أول داعية مسلم في اليابان كما يرى عبد الكريم سايتو، وكان عبد الرشيد هو الذي رافق كوتارو ياماوكا أول حاج ياباني إلى مكة عام ١٩٠٩م.



المراكز الإسلامية اليابانية واهتمام بتأهيل الطاقات البشرية

الاتصال بالثقافة العربية الإسلامية عن طريق الغرب (١)

لا شك أن اليابان كانت مضطرة في المرحلة الأولى من مراحل تعرف الثقافة العربية الإسلامية إلى اللجوء إلى الكتابات الاستشراقية وإلى المقولات الغربية دون الاهتمام بالرجوع إلى الأصل، وقد كان لهذا أثره في بلورة ملامح الثقافة العربية الإسلامية في اليابان فترة طويلة.

ويمكن الوقوف على هذه الصورة من خلال تعرف الموضوعات التي اهتم اليابانيون بترجمتها من الغرب، فهذه الترجمات هي التي جعلت اليابانيين يرسمون في أذهانهم صورة معينة للثقافة العربية الإسلامية.

لقد اهتم اليابانيون منذ بداية عصر الانفتاح وإصلاحات الإمبراطور ميجي (١٨٦٨م) بترجمة كتاب ألف ليلة وليلة، عن الإنجليزية والفرنسية وغيرهما، وكان لكتاب ألف ليلة وليلة - ولا يزال - أثره منذ عام ١٨٧٥م حتى اليوم، ويمكن الوقوف على هذه الحقيقة إذا عرفنا أن الترجمات والدراسات المختلفة لكتاب ألف ليلة وليلة حتى عام ١٩٨٨م وصلت نسبتها إلى ٢٣٪ من مجموع الكتب التي صدرت عن الأدب العربي واللغة العربية.

وكان أول من ترجم حكايات ألف ليلة هو هيديكيئ بعنوان كتاب «ألف ليلة وليلة» وصدر في شباط/فبراير عام ١٨٧٥م، وبعد عشر سنوات كتب إنوئيه تسوتومو ترجمة أخرى بعنوان كتاب حكايات غامضة ألف ليلة وليلة؛ وذلك في تشرين الثاني/ نوفمبر عام ١٨٨٥م وفي عام ١٩٠٤م كتب فوكازاوا يوجيرو ألف ليلة وليلة، وقام إنوئيه تسوتومو في عام ١٩٠٨م بإصدار طبعة جديدة بعنوان «ألف ليلة وليلة» طبعة منقحة صدرت في شهر شباط/ فبراير، وفي السنة التالية قام كل من ناكامورا نوريسوكيه وموراتا يوجي بإصدار كتاب بعنوان «ألف



تعاطف مع ضحايا هيروشيما ونجازاكي

ليلة وليلة» ترجمة جديدة؛ وذلك في أيلول/ سبتمبر عام ١٩٠٩م، وفي عام ١٩١٠م صدرت ترجمتان، وفي عام ١٩١١م صدرت أيضا ترجمتان، وهكذا صدرت ترجمات كثيرة، أعيدت طباعتها مرات ومرات حتى في سنوات الحرب العالمية الثانية.

وكان المترجمون والباحثون يختارون أسماء جذابة لعناوين كتبهم فقد اختارت مجموعة من الباحثين هذا العنوان: حكايات حوريات العالم: ألف ليلة وليلة (تموز/ يوليو عام١٩٢٥م)، بينما ترجم هيناتسو كونوسوكيه ترجمة لان ايدوار وليام، وستانلي لن بول هكذا ألف ليلة وليلة «الخيال العربي» وطبعت مرة عام ١٩٢٥م ومرة أخرى في العام التالي.

وهناك ترجمة عن الفرنسية قام بها كل من تويوشيما يوشيئو وواتانابيه كازيو وآخرون، وهي ترجمة ماردروس لألف ليلة وليلة، وطبعت في تموز/ يوليو عام ١٩٤٩م، وأعيدت طباعتها في كانون الأول/ ديسمبر عام ١٩٥٩م، أما الأستاذ نوتاهارا نوبو آكي، وهو معاصر فقد ترجم ما جعل عنوانه ألف ليلة وليلة ومجموعة من الحكايات الهندية صدر في أيلول/ سبتمبر عام ١٩٧٨م، وحتى البروفسر أوسامو إيكيدا مترجم معاني القرآن الكريم، ترجم أيضاً حكايات من ألف ليلة وليلة، لكن من المعتقد أنه والبروفسر نوتاهارا قد نقلا عن العربية مباشرة، وقد نشرت ترجمة البروفسر إيكيدا في أيلول/ سبتمبر عام١٩٨٥م.

هكذا رُسمت صورة الحياة العربية في عيون الشعب الياباني منذ عهد الانفتاح الياباني على العالم، فكانت مادة للباحثين اليابانيين المتأخرين، فقد كتب إيزوكاكوجي بحثاً بعنوان: «ألف ليلة وليلة إعادة اكتشاف



تحفة إسلامية في قلب طوكيو

الحكايات الأخلاقية» نشر عام ١٩٦٢م، وأعيد نشره عام ١٩٦٤م، كما كتب أوبا ماسافومي أبحاثًا كثيرة منها: حكايات الليل المحظورة في ألف ليلة وليلة (شباط/ فبراير عام ١٩٦٩م)، وبين العربية والفرنسية دراسة لترجمة ألف ليلة وليلة الفرنسية (لماردروس) (حزيران/ يونيو عام ١٩٦٠م) بينما كتب شوجي هيديكي مدخل

كانت اليابان مضطرة في المرحلة الأولى من مراحل تعرف الثقافة العربية الإسلامية إلى اللجوء إلى الكتابات الاستشراقية، وإلى المقولات الغربية دون الاهتمام بالرجوع إلى الأصل

إلى عالم ألف ليلة وليلة (تشرين الثاني/ نوفمبر عام ١٩٥١م) وكتب ما يجيما شينجي عدة أبحاث منها:

- ماذا بعد ترجمة ألف ليلة وليلة (١٩٦٦م).
- لغز ألف ليلة وليلة فيما يتعلق بالشطرنج والخط وأمور أخرى (١٩٦٧م).
- نصوص أصلية لحكايات مختلفة من حكايات ألف ليلة وليلة (١٩٦٧م).
- ألف ليلة وليلة صورة للعالم الإسلامي في العصر الوسيط (١٩٧٠م)
- السيد ريتشارد بورتن وترجمته لألف ليلة وليلة (١٩٧٣م).
- عالم ألف ليلة وليلة وتقاليد الحضر وأهل المدن في بغداد (١٩٧٤م).
- عالم ألف ليلة مع بيان صورة الخلفاء (١٩٨٠م) وغيرها.

الاتصال بالثقافة العربية الإسلامية عن طريق الغرب (٢)

إذا ما تركنا هذا النمط الذي نال إعجاب المترجمين والباحثين والقراء اليابانيين على حد سواء، وانتقلنا إلى ما هو أهم في ثقافتنا العربية الإسلامية، وأقصد القرآن والسنة، لاحظنا أيضا أن اليابان اعتمدت كليًا على المصادر الغربية، وعلى كتابات المستشرقين الغربيين، وكان الهدف من الترجمة خدمة الدراسات الخاصة بمقارنة الأديان. وقد ظهرت الطبعة الأولى من ترجمة معاني القرآن (عام ١٩٢٠م) في مجلدين، قام بالترجمة كين إتشي ساكاموتو معتمدًا على النص الإنجليزي المترجم لجورج ساله الذي راجعه إدوارد هنري بالمر (قبل ١٨٨٢م) وراجعه أيضا ميدووز رودويل قبل (عام ١٩٠٠م) والمطبوع في لندن، وقد استخدم المترجم في ترجمته معاني القرآن الكريم المصطلحات البوذية، وكذا الإنجيلية فضلاً عن الكونفوشية، كما ذكر الشيخ أبو بكر موريموتو.

ومن الجدير بالذكر أن ساكاموتو قد ترجم أيضا كتابًا عن سيرة النبي صلى الله عليه وسلم.

ويذكر البروفسر نظير أحمد برلاس الدهلوي أن أحد الأساتذة اليابانيين الذين يجيدون التركية ألف كتابًا باليابانية عن الإسلام وطبعه طباعة جيدة، ويبدو من الصور التي أثبتها في الكتاب أنه استفاد من المؤلفين الأوربيين؛ لأن الكتاب يضم خمس صور للنبي صلى الله عليه وسلم أو ستًا، ولا يمكن لأي مسلم أن يشتري كتابًا فيه صور للنبي، والأستاذ الياباني أستاذ في إحدى الجامعات اليابانية البوذية، وهو مع هذا مسلم ويصلي مع المسلمين.

ثم صدرت ترجمة أخرى لمعاني القرآن (عام ١٩٣٨م) قام بها أساسا جورو تاكاهاشي (جيم قاهرية) بمساعدة أحمد أريجا، وميزوهو ياماجوتشي (جيم قاهرية)، ويرى الشيخ أبو بكر موريموتو أن الترجمة اعتمدت على النص الإنجليزي لترجمة رودويل. ونشير هنا إلى أن بعض الباحثين قاموا بطبع أجزاء مترجمة من معاني القرآن الكريم في المجلات المتخصصة، وضمن مؤلفات أخرى مثل الباحث كوجي أوكوبو، كما صدرت ترجمات أخرى سيأتي ذكرها .

اهتم اليابانيون منذ بداية عصر الانفتاح وإصلاحات الإمبراطور ميجي بترجمة كتاب ألف ليلة وليلة، وكان للكتاب - ولا يزال - أثره منذ عام ١٨٧٥م حتى اليوم

إينازو نيتوبيه والثقافة العربية الإسلامية

ومع هذا نجد أن المفكرين اليابانيين الكبار من مثل البروفسر إينازو نيتوبيه Inazo Nitobe الفيلسوف الكبير الذي كتب «البوشيدو روح اليابان» (عام ١٩٠٥م) (أي في السنة التي شهدت فيها اليابان موجة التعرف إلى الأديان) نجد أنه كان على دراية كاملة بروح الثقافة الإسلامية والفكر الإسلامي بل الشريعة الإسلامية، فقد أشار إشارات سريعة لكنها مفيدة إلى الثقافة العربية، كما استشهد بآيات من القرآن الكريم، وأشار إلى السيرة النبوية، واستشهاداته وإشاراته تدل على فهمه العميق ورؤيته الصحيحة للثقافة العربية الإسلامية.

المفكر الياباني أووكاوا شوومي وإسهاماته في التعريف بالفكر الإسلامي

لا يمكن أن تكتمل هذه السطور دون ذكر المفكر الياباني أووكاوا شوومي صاحب فكرة آسيا الموحدة، الذي تخصص في مقارنة الأديان، وعكف فترة طويلة

على دراسة الدين الإسلامي، والذي كتب عنه الشاعر الياباني (توماها تاكيه أو) أشعارًا نشرت في مجلة للشعر جاء فيها :

«ما إن شفيت من المرض
حتى أصابني عشق المكتبة
وهناك
بين جدران المكتبة
حيرني
أمر ذلك الرجل ذي الأنف الكبير
عاشق البحث في النبي (محمد)»

ومن الجدير بالذكر أن المفكر أووكاوا قام خلال فترة انشغاله بقضية حركة تحرير الهند ببذل كل طاقته في القيام بأبحاث عن الإسلام، ففي عام ١٩١٧م قام بنشر عدة مقالات في النشرة الدورية المسماة بـ النشرة الدورية لجمعية جنوب المحيط الهادي تحت عنوان «حول الشرائع الجوهرية للإسلام» و«نظرة المسلمين إلى سياسة المستعمرات» وغيرهما من مقالات.

ورأى أووكاوا أن التحرك الإيجابي للقوى الإسلامية مع اليابان هو العنصر الجوهري الذي سيحسم مسألة تحرر الشعوب؛ ذلك لأن الكم العددي الضخم الذي يشكله المسلمون، هو الكم الغالب في تعداد الشعوب التي تسيطر عليها أوربا داخل آسيا، كذلك توقع أووكاوا أن يشكل المسلمون الطلائع الأولى في حركة التحرر الشاملة، لإيمانهم الراسخ بأن الدين والسياسة لا ينفصل بعضهما عن بعض، وأن حركات التحرر في كل ربوع آسيا ستنطلق شرارتها الأولى من بينهم.

وهكذا قام أووكاوا بتعريف الشعب الياباني بالحقائق والأمور التي لم يكونوا على علم تفصيلي بها مثل الحركات القومية والنشاط الإسلامي.

لقد أسهم أووكاوا بنشاط علمي كبير في مركز الأبحاث التابع لوكالة شرق آسيا للاستقصاءات

ذكر أووكا تجربته في ترجمة القرآن الكريم من غير العربية فقال: "إن من لا يؤمن بالإسلام ولا يستطيع قراءة اللغة العربية لا يكون مؤهلا لترجمة معاني القرآن الكريم"

الاقتصادية الذي أسس عام ١٩٢٨م وكان ينفق عليه كل من شركة سكك حديد منشوريا، ووزارة الخارجية اليابانية، ووزارة الجيش، ثم تولت شركة سكك حديد منشوريا مسؤوليته كاملة، وكانت الدراسة بالمجان مع منحة شهرية لكل طالب، وكان الطلاب يدرسون الإنجليزية والفرنسية كلغة أولى، ثم يختارون لغة من بين التايلاندية والماليزية والهندوستانية في الفصل الأول، أو من بين العربية والفارسية والتركية في الفصل الثاني.

وفي هذا المركز كان أووكاوا يدرس تاريخ المستعمرات والدين الإسلامي وتاريخ آسيا الحديث والمعاصر، وفي ٢٤ آيار/مايو عام١٩٤٥م في أثناء الحرب العالمية أحرقت الطائرات الأمريكية مبنى المركز.

أووكاو وتجربة فريدة

في عام ١٩١٣م شرع أووكاوا وهو شاب في مقتبل العمر في ترجمة معاني القرآن الكريم، لكنه كان يفتقر إلى فهم اللغة العربية، فقد توقف عن الترجمة في أثناء عمله بها عدة مرات: مرة عند الجزء الثالث، ومرة عند الجزء التاسع واستكمل الترجمة في أثناء مرضه في المستشفى من آذار/ مارس عام ١٩٤٨م حتى ١١ كانون الأول/ ديسمبر عام ١٩٤٨ م ونشر الترجمة عام ١٩٥٠م

بمساعدة دار إيواساكي للنشر، ولم تكن ترجمته مباشرة من الأصل، ولكنه استعان بالترجمات الإنجليزية والفرنسية والألمانية وغيرها من ترجمات معاني القرآن الكريم التي توافرت لديه آنذاك.

وقد ذكر أووكا تجربته في ترجمة القرآن الكريم من غير العربية فقال :

«إن من لا يؤمن بالإسلام ولا يستطيع قراءة اللغة العربية لا يكون مؤهلا لترجمة معاني القرآن الكريم»

وقد ترك أووكاوا الكثير من الملحوظات التفسيرية تعين القارئ الياباني على فهم أكثر للإسلام، فكان عمله عملاً رائدًا بحق، وقد حكى أووكاوا في أثناء مرضه لمن حوله أنه تقابل مع الرسول محمد صلى الله عليه وسلم

اعتمد اليابانيون في ترجمة معاني القرآن الكريم على المصادر الغربية، وعلى كتابات المستشرقين الغربيين، وكان الهدف من الترجمة خدمة الدراسات الخاصة بمقارنة الأديان

عدة مرات في منامه، ومهما كانت حقيقة ما قال، إلا أن هذا كان له دور في إيقاظ الروح الدينية داخله، مما جعل ترجمة معاني القرآن أمنية وأملاً كبيرًا لديه منذ أن كان في الثلاثينيات من عمره.

ويعد كتابه مبادئ الإسلام والقرآن الكريم من المراجع الأساسية للأبحاث الإسلامية في اليابان. ويقال: إن أستاذه أنيه ساكي ماساهارو أثنى كثيرًا على هذا الكتاب. ويذكر أن أووكاوا قام بشراء مجموعة كتب إسلامية كاملة من المؤلفات التي طبعتها إحدى دور النشر العالمية كما يذكر أن الباحث الياباني الإسلامي المعروف إيزوتسو توشيهيغو كان كثيرًا ما يزور مكتب الوكالة الاقتصادية للاطلاع على تلك المؤلفات، وكان اووكاوا يومًا ما رئيسًا لقسم الأبحاث بها.

حركة الترجمة اليابانية واهتمام بقضايا العالم الإسلامي



النقل عن الصين في فترة ماقبل الحرب العالمية الثانية

فرضت الظروف السياسية على اليابان أن تهتم ببلدان آسيا الإسلامية، وكان ذلك قبيل عام ١٩٣٠م؛ ولهذا بدأت الحكومة في تأسيس معاهد لدراسة الإسلام والثقافة الإسلامية، ومحاولة التعرف إلى الثقافة العربية، وكانت معاهد خاصة مدعومة من قبل الحكومة أو الشركات الخاصة شبه الحكومية.

لم يقبل اليابانيون في تلك السنوات على دراسة اللغة العربية، وقد ذكر ميان عبدالعزيز الرئيس الأسبق

لرابطة عموم مسلمي الهند، الذي زار اليابان في تشرين الأول/ أكتوبرعام ١٩٣٥م لحضور افتتاح مسجد (كوبيه) أن أحد الأساتذة اليابانيين ذكر له أن تلميذاً من تلامذته ينوي التخصص في اللغة العربية، مما يعني أن الاهتمام بالعربية في اليابان آنذاك كان أمرًا نادرًا.

وهكذا اتجه اليابانيون إلى الصين حيث ينتشر المسلمون في معظم مقاطعاتها من خلال الأعراق المختلفة، حيث ترجمت كتب إسلامية متنوعة إلى الصينية في أواخر حكم أسرة منغ، كما ظهرت ترجمات لمعاني القرآن الكريم بالصينية، مثل: ترجمة وانغ تشين تشان الذي أصدر مجلة نور الإسلام، وأصدر القاموس العربي الصيني، وظهر علماء صينيون كبار في نهاية عصر أسرة مينغ وفي أثناء حكم أسرة مانشو، ومنهم العالم الكبير لوتشئيه المتوفى عام ١٧٤٥م/ ١١٥٨هـ الذي كتب سيرة النبي في عشرين مجلدًا، وأحكام الإسلام في عشرين مجلدًا، وحقائق الإسلام في ستة



جهد ملحوظ بترجمة معاني القرآن الكريم إلى اليابانية



كانت السياسة التي ترمي إلى إقامة "آسيا الكبرى" تعني توحيد آسيا. وكان تناكا يرى أن سياسة آسيا الكبرى يجب أن تقوم على أساس نظرية الأمة الإسلامية

مجلدات، وقد ترجم كتاب السيرة إلى الإنجليزية إسحاق مانسون بعنوان النبي العربي The Arabian Prophet وطبع في شنغهاي عام ١٩٢١م أو ١٩٣١م.

وقد قام البروفسر سايتو تسوغيتاكا بالاشتراك مع البروفسر ناكاجيما موتوكي بعمل مسح للدراسات الصينية عن الإسلام ضمن مشروع دراسات الحضارة الإسلامية.

وهكذا يمكن القول: إن اليابان بدأت تأخذ عن الصين بعض الثقافة الإسلامية المتمثل في الفكر الإسلامي الذي ترجم إلى الصينية أو كتب بالصينية.

تناكا إيبيه: رائد الدراسات الإسلامية في اليابان

يعد تناكا إيبيه أو الحاج نور محمد تناكا رائد الدراسات الإسلامية والفكر الإسلامي في اليابان، وقد نشر كنكو نوبورو مذكرات تناكا عام ١٩٣٧م بعنوان «مذكرات الأستاذ تينشو تناكا إيبيه (Tenshu Tanaka ippei Tsuituroku)، وصدرت عن قسم الدراسات الآسيوية (Ashaibu) في (دايتو بونكا كاكّو إن شيدوكاي (DaitoBunka Gakku in Shedokai) وقد رجع الباحث إلى كتاب (تناكا إيبيه رائد الدراسات الإسلامية) الذي أصدرته جامعة تاكشوك، وأثبت فيه محررو الكتاب سيرة حياته، من خلال المذكرات السابقة الذكر، وعلى الرغم من الاختصار، فإن من يقرأ هذه السطور (الطبعة العربية المترجمة ستصدر قريبا عن

مكتبة الملك عبد العزيز العامة بالرياض بتفويض من جامعة تاكشوك) يشعر بأن بدايات حياته كانت تبشر بما وصل إليه تاكا إيبيه من مكانة متميزة، وبما قدّمه من خدمات جليلة لتعريف الشعب الياباني بالإسلام وتعاليم الإسلام.

فهم تاكا إيبيه للإسلام كان من خلال تعرفه إلى الإسلام في الصين، وبخاصة من خلال الكتاب الذي كتبه ريوكايكو، فقد اكتسب تاكا إيبيه معلوماته عن الإسلام من خلال كتاب السيرة النبوية التي كتبها ريوكايكو.

كان لدى تاكا شعور بالعطش الروحاني قبل بلوغه سن الأربعين، ظل يبحث عن الحقيقة في كل وقت، لكنه لم يقتنع بشيء، ومثل هذا العطش الروحاني لم يكن قاصرًا على شخص تاكا فقط، بل كانت اليابان كلها تعاني منه أيضًا إن لم يكن العالم أجمع .. ولإطفاء هذا العطش اعتنق تاكا الإسلام.

وكان تاكا يعتقد أن طريقة الإسلام وطريقة الشنتو في الاقتراب من الخالق متشابهتان، لهذا كان يرى أن التعرف إلى الله من خلال الإسلام والشنتو معًا أمر ممكن، وأن الإنسان الذي يعتقد في الشنتوية يمكنه أن يؤمن بالإسلام، ويعيش مسلمًا من خلال إيمانه بالله بالمفهوم الإسلامي على أن يؤدي فرائض الإسلام، ويلتزم تعاليمه، وشعر تاكا بأن الشنتو والإسلام لهما الروح نفسها، وكان يحاول الوصول إلى إمكانية توحيد هذه التعاليم الموجودة في الشنتو والإسلام، وكان تاكا يفكر أن الله في الإسلام وأن «أماميه نو ميناكا نوشي نو كامي» في الشنتو هما الشيء نفسه يحملان مفهوم الإله الواحد الخالق، وأن «أماميه نو ميناكا نوشي نو كامي» غير معروف هل هو هو أم هل هو هي، وهو دائما واحد، وهو مخفي لا يراه أحد، ويقول تاكا: إن الله في الإسلام قال (في كتابه الحكيم): إنه موجود، وإنه واحد أحد لم يلد ولم يولد، وظل تاكا يحاول إيجاد character تعاليم الإسلام وسماتها في الشنتوية.

وحين رأى وضع الإسلام في الصين تأكد له أنه من المحتمل وجود إمكانية لتوحيد الشنتوية والإسلام في اليابان، واضعًا أمله في العقلية اليابانية والعبقرية اليابانية التي تتقبل جميع المعتقدات والأديان، ومع هذا فهم تاكا جيدًا أن الإسلام لا يمكن أن تتغير تعاليمه أبدًا حتى إذا وجد وسط الثقافات المختلفة، ومن هنا فكر تاكا في أن يجعل الخطاب الإسلامي في اليابان موجهًا إلى اليابانيين من خلال مدخل أسس البوذية اليابانية، كما أكد أن الحركة الإسلامية في اليابان يجب أن تقوم على هذه الأسس أو أن تمضي من هذا المنطلق.

كانت السياسة التي ترمي إلى إقامة «آسيا الكبرى» تعني توحيد آسيا، وكان تاكا يرى أن سياسة آسيا الكبرى يجب أن تقوم على أساس نظرية الأمة الإسلامية، وإذا تم امتصاص الشنتوية داخل الإسلام فإن اليابان يمكنها أن تؤثر في آسيا عن طريق روح اليابان، البلد الذي سيكون مركز نهضة آسيا الموحدة.

محاولة الاتصال المباشر بالعالم العربي والإسلامي

كان تأسيس الملك عبد العزيز للمملكة العربية السعودية الحديثة وتوحيده لأجزاء الجزيرة عاملاً على جذب اليابان مباشرة إلى المنطقة العربية، وذلك للدور الذي يمكن أن تؤديه المملكة بحكم وجود المناطق المقدسة في أراضيها، التي يسعى إليها المسلمون من كل أرجاء المعمورة.

وقد أدرك اليابانيون أهمية الأراضي المقدسة حين أرسلوا عمر ياماوكا لأداء فريضة الحج والوقوف على أحوال المنطقة؛ وذلك عام ١٩٠٩م كما ذكرنا من قبل.

وفي عام ١٩٢٤م قرر تاكا إيبيه أن يؤدي فريضة الحج، وقد كتب عن رحلته إلى الحج فيما بعد. وقد أدى فريضة الحج للمرة الثانية عام ١٩٢٤م، وعندها

التقى الملك عبدالعزيز، وقد كتب تناكا عن حياة المسلمين من خلال رحلاته للحج ولبلدان العالم الإسلامي الأخرى في وسط آسيا والشرق الأوسط، وألقى محاضرات في مجامع مختلفة، ونشر مقالات متعددة في الصحف والمجلات، ونصح تناكا مسلمي اليابان بضرورة بذل الجهود لدعم العلاقات بين اليابان والمملكة العربية السعودية.

وقد كانت له آراء تستحق المراجعة، لكنه على كل حال قدم لليابانيين الإسلام كما عرفه من علماء الصين، ورسم صورة للحياة الإسلامية كما شاهدها في الصين أولا، ثم في المملكة العربية السعودية فيما بعد.

تلامذة تناكا إيبيه

من بين تلامذة تناكا إيبيه نشير إلى إينوموتو موموتارو الذي كتب عن رحلته إلى الحج، وكان قد رافق سوزكي تاكيشي الذي رافق بدوره أستاذه تناكا إيبيه إلى الحج، وقد سافر تناكا إلى الحج ثلاث مرات آخرها عام ١٩٣٨م وكتب رحلته عن هذه المرة، وكان يستطرد فيشير إلى سفره للحج في المرات السابقة.

وقد كتب سوزوكي تاكشي عن رحلته كتابًا نشره في فترة لاحقة أي عام ١٩٤٣م، وقد بدأ رحلته بمقدمة عن الإسلام ومبادئه، ثم بمقدمة أخرى عن الرحلة ذاتها والظروف التي دفعته إلى القيام بها، وركز في الأمور الجغرافية والاجتماعية والثقافية والعمرانية وغيرها وكتب عن ذكريات رحلته ولقائه مع الملك عبد العزيز والمسؤولين السعوديين في رحلته التي نشرتها مكتبة الملك عبد العزيز بعنوان «ياباني في مكة»، وقد قدم سوزوكي تاكيشي للقارئ الياباني صورة حقيقية لما كانت عليه المملكة في بداية عهد الملك عبد العزيز، كما كتب عن الثقافة العربية والقيم والتقاليد العربية، وعن الأخوة الإسلامية ومظاهرها من واقع رؤيته



المساجد والمراكز الإسلامية ودور متعاظم في التعريف بالإسلام

ومشاهداته ولقائه بالملك عبد العزيز والمسؤولين في الحكومة آنذاك.

الاتصال على المستوى الرسمي بين اليابان والمملكة العربية السعودية

تشير الوثائق اليابانية إلى اهتمام القنصل الياباني في بورسعيد بالنهضة التي بدأت تتضح ملامحها على

يد الملك عبد العزيز، فقد كتب القنصل تقريرًا عام ١٩٢٧م يشير إلى أن الملك عبد العزيز يريد تحديث البلاد على النمط الأوربي، لكنه في الوقت نفسه يريد أن يحافظ على ثقافته الأصيلة، وأخلاقيات بلاده الجليلة، ثم كان وصول أول بعثة يابانية إلى الرياض عام ١٩٣٩م وعلى رأسها السفيرالياباتي السيد يوكوياما، وقد كتب ناكانو أجيرو عن هذه البعثة في كتابه الذي ترجم إلى العربية بعنوان «الرحلة اليابانية».

والجدير بالذكر هنا أن ناكانو كان دارسًا للعربية وقد رسم بكلماته في الرحلة صورة رائعة للحياة العربية، وملامح الثقافة الإسلامية، والقيم والتقاليد العربية الأصيلة، ليس هذا فقط بل قدم للقارئ الياباني فيما بعد بحثًا رائعًا عن الحياة العلمية والثقافية في المملكة، وعن نتائج الحركة الإصلاحية للشيخ محمد بن عبدالوهاب، وحتى يؤكد قوة مصادره ذكر في بحثه أنه أخذ هذه المعلومات من مصادرها الأصلية باللغة العربية، تلك المصادر التي قدّمها له المسؤولون في الحكومة السعودية.

تأسيس المراكز المتخصصة في دراسة الثقافة والحضارة الإسلاميتين في اليابان

وهكذا بدأت ملامح الثقافة العربية الإسلامية تصل واضحة إلى الشعب الياباني من خلال الاتصال المباشر بين الدارسين اليابانيين والعلماء العرب، ومعهم المسؤولون الرسميون من جهة، ومن خلال قيام المراكز البحثية اليابانية بتخريج دفعات من الباحثين اليابانيين المهتمين بشؤون البلدان العربية الذين يتقنون اللغة العربية، فقد كان هناك بالإضافة إلى المعاهد المتخصصة في الجامعات معهد الثقافة الإسلامية إسرامو بونكا كينكيوشو Isramu Bunka Kenkyu-sho الذي أسس عام ١٩٣٢م، ومعهد أبحاث العالم الإسلامي كايكيو كين كيو شو Kaikyo-ken kenkyu-sho وكان كل منهما يصدر مجلة خاصة به تنشر كل ما يتعلق بالإسلام والثقافة الإسلامية، وكانت هناك الجمعية الإسلامية لليابان العظمى Dai-Nippon Kaikyo Kyokai التي رأسها عند التأسيس رئيس الوزراء الياباني سنجورو إيباياشي Senjuro Ibayashi، بالإضافة إلى جمعية طوكيو الإسلامية «طوكيو إسرامو كيودان» التي أسسها سوزوكي تاكيشي عام ١٩٤٠م.

وكان المعهد الأول يصدر مجلة ربع سنوية باسم الثقافة الإسلامية Isramu Bunka، أما معهد أبحاث العالم الإسلامي فكان يصدر مجلة شهرية باسم العالم الإسلامي «كايكيو كين» وكانت الجمعية الإسلامية لليابان العظمى تصدر مجلة شهرية بعنوان «دنيا الإسلام كايكو سئيكاي» وكانت مجلة الأخبار الإسلامية «كايكو جيجو» تصدر عن الخارجية اليابانية.

هذا النشاط يوضح لنا أن الثقافة العربية الإسلامية احتلت في هذه الفترة مساحة عريضة في اليابان تحتاج بذاتها إلى بحث منفصل.

مرحلة ما بعد الحرب العالمية الثانية ووضوح الرؤية من خلال الاتصال المباشر

مع أن جميع الجمعيات والمعاهد والمجلات السابق ذكرها قد أغلقت وتوقف نشاطها بعد الحرب العالمية إلا أن اليابان بدأت من جديد تهتم بالعلوم العربية، بعد أن استعادت حقها في إدارة شؤونها عام ١٩٥١م.

في عام ١٩٥٢م شكل مئة مسلم ياباني جمعية باسم جمعية مسلمي اليابان، وبدأ اليابانيون يهتمون باللغة العربية، فسافر عدد من الشباب إلى البلدان العربية للدراسة بعد أن شجعتهم الشركات اليابانية، وقدمت لهم الجامعات الإسلامية والعربية منحًا مالية، وأدّت السفارات العربية دورًا في دعم المسلمين اليابانيين

ودارسي الثقافة العربية الإسلامية.

ونشطت جمعية مسلمي اليابان بعد الاعتراف بها رسميًا، كما أسس المركز الإسلامي في طوكيو، ونشط في التعريف بالثقافة الإسلامية وترجمة الكتب، كما أسست جمعيات أخرى مثل جمعية الثقافة الإسلامية (مايو ١٩٧٤م) والمؤتمر الإسلامي الياباني وغيرها. كما نشطت أقسام اللغة العربية والثقافة الإسلامية ومقارنة الأديان في جامعات اليابان.

ملامح الثقافة العربية الإسلامية في الوقت الحاضر

كانت النتيجة ظهور عدد من المستعربين اليابانيين الذين درسوا في البلاد العربية والبلاد الإسلامية، وأتقنوا اللغة العربية، وكتبوا في الأدب العربي واللغة العربية، وفي موضوعات إسلامية عامة، وأخرى متخصصة ودقيقة، وقد عمل هؤلاء بشكل فردي أو من خلال مؤسساتهم التعليمية أو الجامعية، أو بدعم من الشركات التجارية، أو المؤسسات الحكومية الرسمية.

اهتم بعض الباحثين اليابانيين بترجمة الأدب العربي شعرًا ونثرًا وبخاصة الحديث والمعاصر منه، فترجم من سافر منهم إلى مصر مثلا بعض كتب طه حسين، ونجيب محفوظ، ويوسف إدريس، ويحيى حقي، وغيرهم، بينما ترجم من سافر منهم إلى سورية ولبنان روايات وكتبًا لأدباء من سورية والشام، وهكذا الحال لمن سافر منهم إلى المغرب أو ليبيا، بينما ركز من قدم إلى المملكة العربية السعودية وعاش فيها في ترجمة أعمال تتعلق بالفكر الإسلامي والثقافة الإسلامية، كما ساد طابع الالتزام كتبهم التي كتبوها لتعليم اللغة العربية، واهتم كثير من المفكرين والباحثين اليابانيين بالقضية الفلسطينية، فترجموا روايات، وترجموا بعض أشعار المقاومة والنضال الفلسطيني.

إلا أن هذا لم يكن قاعدة عامة، فنلاحظ على سبيل المثال أن الدكتور أوسامو إيكيدا الذي ترجم عددًا من الروايات لأدباء مصريين، وكتب أيضًا عن اللغة العربية يقوم بترجمة معاني القرآن الكريم ترجمة جيدة بالاشتراك مع ياسوناري بان، وكانت ترجمتهما من المتن العربي مباشرة، وكان ذلك عام ١٩٧٠م، وإذا تحدثنا عن ترجمة معاني القرآن فنشير هنا إلى أن بعض دور النشر اليابانية التي كانت تتولى أمر إصدار كتاب الجيب قامت بنشر ترجمة البروفسر توشيهيكو إيزوتسو عام ١٩٥٧م، وهو متخصص ودارس متعمق في العلوم الإسلامية، وترجمته كانت عن الأصل مباشرة دون لغة وسيطة، ثم كانت ترجمة الشيخ عمر ميتا الذي طلب من جمعية مسلمي اليابان أن تشرف على ترجمته لمعاني القرآن الكريم، وقد دعته رابطة العالم الإسلامي ليبقى فترة في مكة ينهي خلالها الترجمة، وقد أشرفت على الطباعة والمراجعة لجنة من جمعية مسلمي اليابان تضم من بين أعضائها كثيرًا ممن يتقنون العربية، ونشرت الترجمة أواخر عام ١٩٨٢م.

ومن القرآن إلى السنة، وهنا نجد ترجمات لصحيح البخاري انفرد بها مستعرب ياباني، بينما تولت جمعية مسلمي اليابان ترجمة صحيح مسلم، أما التفاسير فقد انتهى الدكتور حسن ناكاتا وزوجه حبيبة كاؤري ناكاتا من ترجمة المجلد الأول من تفسير الجلالين.

أسهمت المملكة العربية السعودية مع الهيئات والشركات اليابانية في دعم دراسات الثقافة العربية والإسلامية في اليابان بصور متنوعة

دور السعودية واليابان في تشكيل رؤية جديدة للثقافة العربية الإسلامية

فيما يتعلق بالتغيير الذي حدث في رؤية المثقف والدارس اليابانيين للدراسات الإسلامية والثقافة الإسلامية في اليابان يمكن أن أقتبس هنا عبارة الأستاذ أوكادا أتسوشي بجامعة كيئو في بحثه عن الإسلام والعولمة : «إن العقل الواعي يرفض جميع نظريات الاستشراق رفضًا تامًا مع أول وهلة يكتشف فيها حقائق الإسلام وأصولها، فقد يقول قائل: إن الإسلام ما هو إلا تاريخ، وإنه نظام قد يصلح للفرد وليس للمجتمع. إن الرد على هذا الفكر الواهي بسيط، نقول له: كيف تفسر واقع ومعنى الأمة الإسلامية التي يصل تعدادها إلى واحد وثلث بليون نسمة في أنحاء العالم ويؤمنون بالله ورسله وملائكته».

لقد أسهمت المملكة العربية السعودية مع الهيئات اليابانية والشركات اليابانية في دعم دراسات الثقافة العربية والإسلامية في اليابان بصور متنوعة، منها الدعم المباشر: فقد قدم خادم الحرمين الشريفين مكرمة ملكية لجمعية الصداقة السعودية اليابانية، فكانت نواة لصندوق الملك فهد في جمعية الصداقة، وعن طريق هذا الدعم قامت الجمعية بتكليف عدد من الباحثين بترجمة عدد من الكتب وتأليف عدد آخر، وقد توج هذا العمل الثقافي بعمل مشترك بين جمعية الصداقة وجامعة الإمام، وهو

كان تأسيس الملك عبد العزيز للمملكة العربية السعودية عاملاً على جذب اليابان للمنطقة، وذلك للدور الذي تؤديه المملكة بحكم وجود المناطق المقدسة في أراضيها

تأليف كتاب باللغة اليابانية عن حياة الملك عبد العزيز مؤسس الدولة الحديثة يوضح تاريخ تأسيس المملكة والوجه الحضاري لها والنهضة الثقافية. وقد صدر بمناسبة الاحتفال بمرور مئة عام على تأسيس المملكة العربية السعودية الحديثة، ونال قبولاً في أوساط الباحثين والدارسين اليابانيين.

أما تأسيس المعهد العربي الإسلامي، بأمر ملكي كريم منذ عشرين سنة تقريبًا، فربما ينفرد بالحديث عنه أحد الباحثين، فهو يؤدي دورًا ملموسًا في تقديم صورة حقيقية للثقافة العربية الإسلامية في اليابان عن طريق تعليم العربية وعقد ندوات وإقامة ملتقيات، وتقديم خدماته المكتبية للجميع.

كما يقوم الإعلام الياباني بدور في التعريف بالثقافة العربية الإسلامية، إذ تخصص هيئة التلفازاليابانية الحكومية(إن إتش كيه) بعض الساعات لتقديم الإسلام وعباداته وسلوكياته والتعريف به. وبخاصة في المناسبات والأعياد الإسلامية، وكذلك الإسلام في الصين ودور المسجد في الإسلام وما شابه ذلك، كما تقوم بالتعريف أحيانًا بالخط العربي وجماليات الخط العربي في برامج منفصلة، وذلك لاهتمام الشعب الياباني بهذا الموضوع.

ومن المشروعات الجديرة بالذكر التي اضطلع بها الجانب الياباني ذلك المشروع الذي قام به مركز الدراسات الثقافية لشرق آسيا التابع لليونيسكو، ويعرف باسم تويو بونكو Toyo Bunko ويطلق عليه بالإنجليزية The Center for East Cultural Centeral Studies for Unesco والمتمثل في إعداد بيبليوجرافيا للدراسات الإسلامية ودراسات الشرق الوسط في اليابان من عام ١٨٦٨م حتى ١٩٨٨م، وقد استفاد منه الباحث كثيرًا وصدر أواخر عام ١٩٩٢م، والمشروع الثاني الأكبر أسهم فيه عدد كبير من أساتذة الجامعات اليابانية وبعض

الباحثين من خارج اليابان، وهو مشروع بقيادة البروفسر ساتو تسوجيتاكا الأستاذ بجامعة طوكيو، وبإشراف وزارة التربية والتعليم، وقد أطلق عليه بالعربية اسم دراسات الحضارة الإسلامية، وبالإنجليزية اسم Islamic Area Studies وهدف المشروع إلى تطوير وسائل جديدة في مجال دراسة الحضارة والثقافة الإسلاميتين وتطوير نظام معلوماتي عن طريق الحاسوب يكون مناسبًا لدراسة الحضارة الإسلامية حتى الوقت الحاضر، وأخيرًا تقديم العون للباحثين العاملين في حقل الدراسات الإسلامية في اليابان، ويهدف المشروع كذلك إلى عقد صلات بين الباحثين في داخل اليابان والباحثين في خارجها وكانت مدة المشروع خمس سنوات من عام ١٩٩٧م إلى العام الماضي ٢٠٠٣م، وتضمنت الأبحاث موضوعات متعددة عن الشريعة الإسلامية، وعن مفهوم الدولة، وعن المذاهب والأقليات، ودراسة للمصادر الإسلامية المختلفة، وموضوعات أخرى تتعلق بالعلاقات الدولية، وكذلك الأدب العربي بمفهومه الواسع.

ولا شك أن الاهتمام بالإسلام وحضارته وثقافته اهتمام موجه لخدمة البحث العلمي من جهة وخدمة اليابان ودعم علاقتها بالعالمين العربي والإسلامي من جهة أخرى. ومن المفيد هنا أن نشير إلى اهتمام الجامعات اليابانية، حتى الخاصة منها، بالثقافة الإسلامية والحضارة الإسلامية واللغة العربية، ودليل ذلك تأسيس مركز الدراسات الشرعية في جامعة تاكشوك التي احتفلت منذ سنتين بمرور مئة عام على تأسيسها، وأيضا إنشاء قسم للدراسات الإسلامية في جامعة دوشيشا في كيوتو وهي من الجامعات العريقة التي اهتمت بالدراسات النصرانية.

نتائج الدراسة

هكذا لاحظنا أن المرحلة الأولى التي شهدت الاتصال بالثقافة العربية الإسلامية كانت من خلال كتابات المستشرقين ومقولات الغربيين، والترجمة عن اللغات الأوربية، والاهتمام بما يجذب الشعب الياباني من حكايات وقصص عن الشرق الإسلامي وردت في كتب ألف ليلة وليلة، ثم كان الاتصال بالثقافة الإسلامية عن طريق الصين، ومن هنا فإن الفكر الإسلامي الذي قدمه تناكا إيبيه مثلاً في محاضراته وكتاباته قد يثير تساؤلات كثيرة، إلا أن التعرف إلى حياة المسلمين في الصين وإلى أعراقهم المختلفة وطبيعة حياتهم، قد يجيب عن مثل هذه التساؤلات.

وجاءت مرحلة وجدت فيها اليابان نفسها حريصة على الاتصال المباشر بالعالمين العربي والإسلامي، وقد شهدت هذه المرحلة ظهور الملك عبد العزيز بسياسته الحكيمة مما جعل اليابان تحرص على إقامة علاقات حميمة مع المملكة توطدت سنة من بعد سنة، وقدم مفكرون يابانيون إلى المملكة العربية السعودية، كانوا في معظمهم من المسلمين، فشاهدوا الحياة العربية، وخبروا الثقافة الإسلامية في البقعة التي ظهر منها نور الإسلام، وسجّلوا ذكرياتهم، ورسموا صورة واضحة الملامح للقارئ الياباني عما شاهدوه، بل كتبوا عن الأدب العربي واللغة العربية أيضًا ومن هؤلاء ناكانو إيجيرو الذي له كتابات عن اللغة العربية وعن الأدب العربي فضلاً عن ترجمته للمطبوعات التي حملها من المملكة، وتناولت بالتفصيل حركة الإصلاح الديني والنهضة الثقافية في المملكة، أما تناكا إيبيه الذي استفاد من المصادر الصينية عن الإسلام فقد وجد فرصة عظيمة ليقوم برحلاته في جزيرة العرب وبلدان وسط آسيا والشرق الأوسط فكتب عن مشاهداته وعن واقع الحياة الإسلامية، لكنه، يا للأسف، لم يهتم باللغة العربية؛ ذلك لأن جل اهتمامه كان بالصين والمسلمين في الصين واللغة الصينية، لكنه كان شاعرًا نظم أشعارًا باليابانية

هي نماذج لأدب إسلامي جميل.

وإذا ما انتقلنا إلى مرحلة ما بعد الحرب العالمية الثانية التي امتدت لتصل إلى وقتنا الحاضر لاحظنا الارتباط المباشر بالعالمين العربي والإسلامي، وزيادة الاهتمام بدراسة اللغة العربية وآدابها، والثقافة الإسلامية والفكر الإسلامي وتقديمه من خلال مصادره العربية، ولنا هنا ملاحظة: فاليابانيون الذين سافروا إلى مصر مثلاً اهتموا بالأدب الذي كتب في مصر، ومن سافر منهم إلى الشام اهتم كذلك بكتابات أدباء سورية ولبنان، وكذلك من سافر إلى الجزائر أو المغرب، أما من قدم إلى المملكة العربية السعودية سواء إلى الرياض أو إلى مكة المكرمة أو المدينة المنورة فقد اهتم بالكتابة عن الإسلام والثقافة الإسلامية والفكر الإسلامي والترجمة لعلماء من المملكة العربية السعودية.

ويلاحظ هذا الأمر في الكتب التي صدرت عن تعليم اللغة العربية، وهي كتب تستحق الدراسة فالمفهوم الثقافي في هذه الكتب أو المحتوى الثقافي فيها ما زال يرتبط بالمرحلة الأولى، خاصة لدى من درسوا في الشام ومصر، أما من درسوا في المملكة العربية السعودية فيلاحظ غلبة المحتوى الديني في كتاباتهم الخاصة بتعليم اللغة العربية، ونقلهم نماذج من الصحف السعودية، وليس هذا بقاعدة عامة، فهناك بعض الكتب الجدية التي تخلو من هذه الأمور.

كما يلاحظ أن المشروعات الكبرى التي تمت في طوكيو، وكان الهدف منها توثيق الصلة بين المفكرين اليابانيين والمفكرين العرب والمسلمين، قد خالفها التوفيق، فكما ذكر الدكتور مسعود ضاهر أن هذا المشروع يستفيد منه باحثون من أنحاء العالم مع قلة من العرب وكثرة من الأوربيين والأمريكيين المهتمين بالتاريخ الإسلامي في مختلف حقبه؛ وبسبب غفلة المؤسسات الثقافية العربية الفاعلة، فإن المشروع قد عمق الروابط بين الباحثين اليابانيين والغربيين المهتمين بالدراسات الإسلامية أكثر مما ساعد على تعميق الصلة بين اليابانيين والدارسين العرب وبقية الدارسين في العالم الإسلامي، وذلك يثير تساؤلاً: هل هذه عودة إلى الوراء .. عودة من حيث كانت البداية، أي: الأخذ مرة ثانية عن الغرب؟

لا أظن أن هذا صحيح، بعد أن قام وزير الخارجية السابق السيد كونو يوهي بعد زيارته للمملكة في كانون الثاني/ يناير عام ٢٠٠١م بتشكيل لجنة الدراسات الإسلامية بالخارجية اليابانية من أجل زيادة الفهم الياباني لأبعاد الثقافة الإسلامية وتعميقه، وزيارات المثقفين اليابانيين للمملكة العربية السعودية وبلدان الشرق الأوسط، وحرصهم على إجراء لقاءات بالمثقفين والمفكرين العرب والمسلمين لهو دليل واضح على أن الأمور تمشي في الطريق الصحيح لإيجاد أسس متينة لإقامة جسور التفاهم بين المثقفين في اليابان والمثقفين في المملكة العربية السعودية وبقية دول العالم العربي والإسلامي.







العالم العربي والمجـ

ـتمع المدني

حواس محمود

القامشلي ـ سورية

طُرحَت مسألة (المجتمع المدني) في العالم العربي في الآونة الأخيرة من قِبَل نخبة واسعة من المفكرين والباحثين العرب، وبخاصة بعد التحولات العالمية المعاصرة منذ انتهاء الحرب الباردة وانهيار الاتحاد السوفييتي ـ السابق ـ وتفكك المنظومة الاشتراكية، والحرب الخليجية الثانية، وبروز ملامح تكوين نظام عالمي جديد. ولقد ظلت هذه المسألة مطوية في عوالم النسيان والتجاهل والإهمال إلى حين قريب (نهاية الثمانينيات) لأسباب داخلية وخارجية، ولكن التطورات العاصفة في العالم أدّت إلى تحرك الفعاليات الثقافية والفكرية العربية بمؤسساتها الحكومية والمستقلة للبحث في القضايا والإشكالات المعاصرة، التي تهمّ المجتمعات النامية وبخاصة العربية منها، وذلك في محاولة منها لعملية نهوضية تغرس الوعي، وتدعو إلى ممارسة الديموقراطية والتعددية، وبناء المجتمع المدني للحاق بركب الحضارة العالمية.

سنبحث في هذا المقال في ماهية المجتمع المدني، ودور المنظمات غير الحكومية في بناء المجتمع المدني، والعلاقة بين المجتمع المدني والدولة (عملية اختراق المجتمع المدني من قبل الدولة) وإعادة بناء المجتمع المدني.

ماهية المجتمع المدني

إنّ مفهوم المجتمع المدني في الفكر والممارسة ينطوي على تنظيم الناس لأنفسهم للمشاركة في حلّ مشكلاتهم، والتعبير عن آرائهم ومبادئهم ومعتقداتهم، والدفاع عن مصالحهم في مواجهة الآخرين بشكل سلمي؛ والمدنية التي يشتق منها لفظ مدني تعني الأسلوب المتحضّر في التعامل والتسامح مع الآخر» (١).

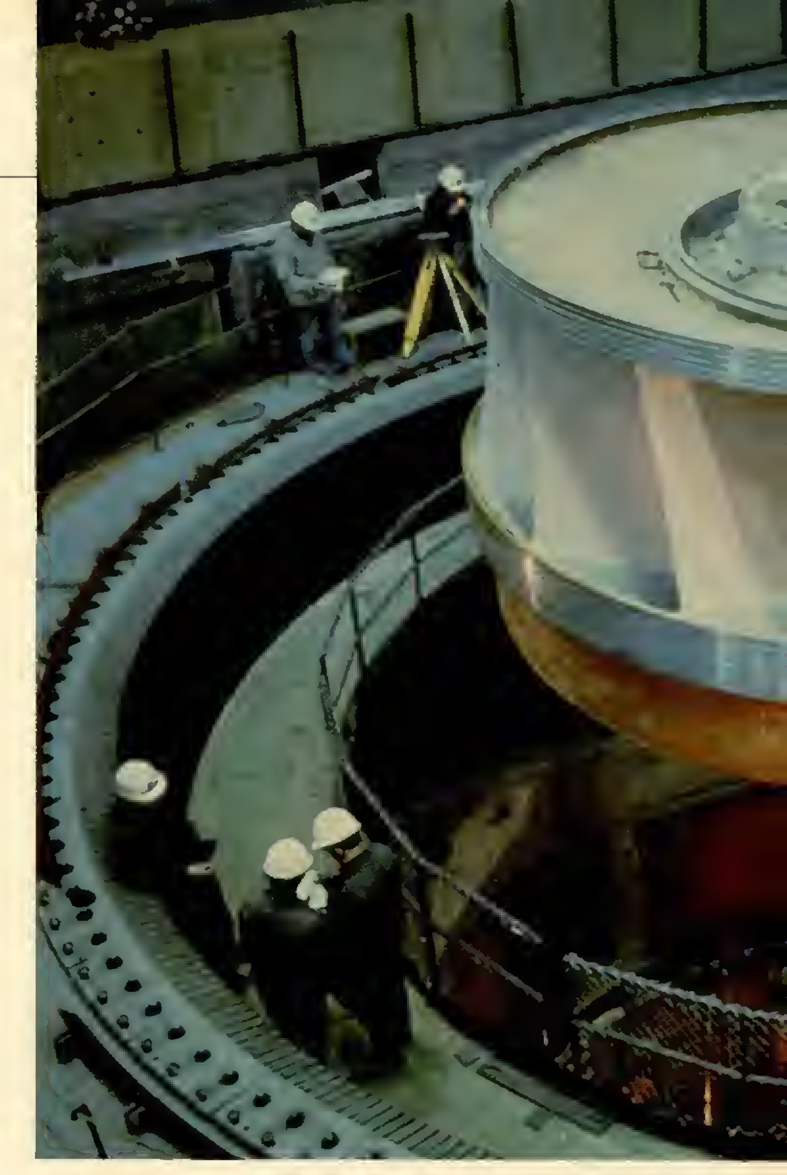
ويمكن الإشارة إلى أنّ المجتمع المدني الذي لا يتميّز من السياسة في أنه سياسة ديموقراطية أخرى، بل في أنه نمط من التنظيم الاجتماعي يتعلق بعلاقات الأفراد بعضهم ببعض، لا بوصفهم مواطنين أو أعضاء في وطن، أي لا من حيث خلق رابطة وطنية شاملة (الأمة والدولة) ولكن من حيث هم منتجون لحياتهم المادية وأفكارهم ورموزهم.

وهناك تداخل في اهتمامات كلّ من المجتمع المدني والدولة، وهذا التداخل يتعلق بطبيعة النظام السياسي السائد، ويمكن أن ينتقل ما كان من اهتمامات المجتمع المدني في مرحلة تاريخية إلى اهتمام الدولة في مرحلة تاريخية أخرى والعكس صحيح، وهناك أمثلة حيّة على ما نقول: تحوّل الدين في أوربا بعد الثورة السياسية إلى شأن من شؤون المجتمع المدني، وتحوّل الاقتصاد من اهتمام المجتمع المدني إلى اهتمام الدولة ونشوء مفهوم «الاقتصاد السياسي».

إنّ المجتمع المدني يتميز من المجتمع السياسي «الدولة» بعنصرين أساسيين:

- التنظيمات السياسية مركزية؛ أي تختصّ بتكوين السلطة المركزية وحمايتها، بينما المنظمات المدنية قائمة على الخصوصية والاستقلالية الذاتية، وتنمية التضامنات الجزئية.

- التنظيمات السياسية رسمية تُبنى فيها العلاقات على أساس متين، وقانون ثابت وعام ومجرّد وموضوعي، إلا أنّ التنظيمات المدنية تخضع لقواعد وقوانين غير



التحديث في الصناعة لا يعني المعاصرة

رسمية، وهناك مجال كبير للمرونة، وهذه القواعد غير الرسمية خاضعة لتبدّل ميزان القوى أو السعادة أو الأخلاق أو المصلحة، ولا يعني هذا أنّ التنظيمات المدنية لا قوانين لها ولا سلطة فيها، ولكنّها ليست شكلية ومرسّمة كقوانين الدولة (٢).. إنّ السلطة في تنظيمات المجتمع المدني داخلية تتضمن وسيلتي القمع والإقناع، لضبط ممارسات المنخرطين فيها وسلوكهم، إنّها سلطة أكثر مرونة من سلطة المجتمع السياسي، وترتبط هذه السلطة بعدة ظروف وعوامل كجاذبية المصالح المادية، والتقديرات الشخصية للقادة، إنها تنظيمات مرنة وقادرة على التلاؤم مع الظروف والمستجدات في الزمان والمكان، ومن هنا تكمن أهميتها وضرورتها، في حين أنّ الثبات والتجريد والعمومية وعدم التمييز في التطبيق كل ذلك يعدّ شرطًا تعريفيًا من شروط السلطة السياسية، والمجتمع المدني يتضمن: الجمعيات، والنقابات، والتكوينات العشائرية، والطائفية، والقبلية، والعائلية والثقافة، والأخلاق، والعادات والتقاليد (٣).

دور المنظمات غير الحكومية في بناء المجتمع المدني

تقوم المنظمات غير الحكومية بأداء أدوار مهمة وأساسية للمساهمة في التنمية الاجتماعية والاقتصادية والثقافية والسياسية، وهذه الأدوار تؤهلها لأن تكون قاعدة الأساس لبلورة مؤسسات المجتمع المدني الحديث في الوطن العربي، وهذه المنظمات تؤدي أيضًا دورًا رئيسًا في نشر الديموقراطية وتدعيمها وترسيخها فكرًا وممارسة، وتساهم في تنمية ثقافة المشاركة الاجتماعية وترشيدها عمومًا، والسياسية على وجه الخصوص بين أفراد المجتمع، وذلك لأن المواطن يتعلّم من خلال هذه المنظمات الممارسات الديموقراطية من ترشيح وانتخاب، ودعاية والتزام قواعد العمل داخلها.

ومن شأن هذه الممارسات تنمية قدراته الفكرية والعقلية والقيمة، بالإضافة إلى ذلك فإنّ انخراط المواطن في هذه المنظمات ذات الهياكل والأطر المستقرة لتحديد أهدافها، وإسناد بعض الأدوار له لممارسة الرقابة الداخلية، وإعمال مبدأ التسيير الذاتي، من شأنها تكوين مقوّمات بناء «المواطن العضوي» المرتبط بالشؤون العامة، وتنمية القدرة على النقد والنقد الذاتي والسجال والمناقشة والتعبير عن الرأي بكلّ حرية وديموقراطية، ويمكن القول بأنه في ظروف تفكك أواصر الدولة المركزية، وضعف سلطان المكاتب الحكومية البيروقراطية حتى في مجال حفظ الأمن العام والوظائف السيادية



المتغيرات الدولية تفرض التفكير بمعايير قاريّة

الأخرى، فإنّ المؤسسات الاجتماعية غير الحكومية تصبح الملاذ الأخير لحماية الهوية، والإبقاء على أواصر الاندماج القومي، ولعلّ حالات الصومال والسودان ولبنان أمثلة متفاوتة الحدّة بهذا الصدد.. إن نموّ العمل غير الحكومي وازدهاره هما المقياس لنضج العلاقات الاجتماعية وعقلانيتها، وإشارات إلى درجة تعانق السياسة والمجتمع وخروجهما من إطار احتكار الإرادة الحكومية، بل إنّ نضج المجتمع المدني يعطّل لجوء الدولة إلى القهر المادّي، ويساهم في الحيلولة دون تغيير السلطة بوسائل عنيفة ومباشرة وانقلابية، ويجعل التغيّر الاجتماعي مشروطًا بتغيّر فكري أو عقدي (أيديولوجي) طويل الأمد، كما أن «ازدهار المنظمات غير الحكومية يساهم في تحصين الدولة ضدّ الحركات المتطرفة والغوغائية التي تلجأ إلى العنف المنظم والعشوائية» (٤).

هذا الأمر يراه بعضهم مدخلاً إلى نموذج حضاري جديد قوامه حضور سياسي ومشاركة فعلية للمجتمع المدني بتنظيماته ومؤسساته الأهلية والشعبية. وجدير بالذكر أن المنظمات غير الحكومية غائبة تقريبًا في معظم البلدان العربية، وإنْ وُجدَت فهي مُخترقة من قبل أجهزة الدولة، وهناك تفاوت نسبي في درجة التدخل وحجمه من قبل المجتمع السياسي - الدولة - في أمور هذه المنظمات وأهدافها التي تشكل - كما ذكرنا - عماد المجتمع المدني، وبنيته الأساسية.

أما بالنسبة إلى دول الخليج العربي فإنّ الجمعيات الأهلية تقوم بأنشطتها في حرية نسبية بعيدة عن مجال السيطرة المباشرة للدولة، وعلى الرغم من التناقض الواضح لمواقف بعضها أيديولوجيًا مع خطاب المجتمع السياسي، وقد يعود السبب في ذلك إلى انحدار قادة



المنظمات غير الحكومية ودور كبير في السلم والحرب

الجمعيات الكبرى من عائلات ذات ثقل اجتماعي وسياسي، وكذلك إلى حداثة نشوء الدولة المركزية، واستمرارية علاقات المجتمع المدني التقليدية، وإلى ظروف الوفرة الاقتصادية، والاستقلالية النسبية للقوى الاجتماعية اقتصاديًا (٥).

علاقة المجتمع المدني بالمجتمع السياسي ـ الدولة ـ (أزمة المجتمع المدني)

تعبر أدبيات معظم المفكرين والباحثين العرب عن حالة الانفصام والتنافر بين المجتمع المدني والدولة بالعبارات الآتية: اختراق الدولة للمجتمع المدني، أزمة المجتمع المدني، القبض على المجتمع المدني، الطلاق بين الدولة والمجتمع المدني. وهذا يدل على الهوّة الكبيرة الفاصلة بين المجتمع المدني والدولة، إذ إنّ الدولة تجد في المنظمات غير الحكومية منافسة لها وخطيرة تمسّ أمنها واستقرارها، لذلك فهي لا تدّخر جهدًا في تمييعها واختراقها وتخريبها من الداخل، وخلق منظمات موازية لها ودعوة الناس إلى الانخراط فيها رغبةً أو رهبة، للقضاء على منظمات المجتمع المدني، فحيثما وجدت دولة مركزية ممتدة الجذور ومجتمع مدني هش تضخمت سلطة الدولة، وتغلغلت في مختلف مناحي الحياة الاجتماعية، بحيث أصبح ظهور منظمات غير حكومية كتعبير عن قوى اجتماعية متميزة أمرًا مرهونًا بإرادة الدولة، وخاضعًا في حركته لضبط السلطة الحكومية.

منذ أوائل السبعينيات انبعث التيار النقدي في الخطاب التنموي العربي بحدّة غير معهودة، وأخذ يوجه انتقاداته إلى الدولة المركزية التي قبضت على المجتمع وطلّقته في آنٍ واحد، فقد اختلفت شرعيات القبض، إلا



المؤسسات الاجتماعية غير الحكومية تصبح الملاذ لحماية الهوية

أنها توحّدت شكلاً ومضمونًا، إن احتكار مصادر السلطة والقوة والتفرد بها يعبر عن اختراق للمجتمع ومصادره وأشكاله التمثيلية الأولية، إذ إننا أصبحنا أمام «دولة المجتمع» وتدهور المجتمع بعد «تسييس المقدّس» إذ إنّ الدولة قامت «بتقديس السياسي» وكانت النتيجة اتساع الهوّة الفاصلة بين الدولة والمجتمع، وتشدّد سلطوية الدولة في آنٍ واحد (٦). لقد تمكنت الدولة من «فرض هيمنتها وتوسيع دائرتها من خلال السيطرة على المؤسسات التقليدية والحديثة؛ التقليدية: (تلك التي ترتكز على العائلة والقبيلة والدين وما أشبه ذلك)، والحديثة (تلك التي تتمثل في الأحزاب والنقابات والجمعيات والاتحادات المهنية)» (٧).

يمكننا ـ هنا ـ الاستناد إلى بعض أفكار المفكر العربي برهان غليون بصدد العلاقة بين المجتمع المدني والدولة، إذ إنه يقوم بتحليل هذه العلاقة بشكل موضوعي دقيق، يبحث المسألة من بداياتها وجذورها، وفي معرض تحليله لأزمة المجتمع المدني في العالم العربي يتناول التغيرات التي حصلت في هذا العالم على صعيد المجتمع المدني في العصر الحديث مع نمو الرأسمالية وانتشار الاستعمار الذي أعقبها في إدخال أنماط الإنتاج والتفكير والاستهلاك والتبادل الجديدة، وهذه التغيرات تمثل انهيار الدولة التقليدية، وعلى مستوى الإنتاج انهيار الصناعات الحرفية التي حلّت ـ محلّها ـ تدريجيًا ـ قنوات التجارة الداخلية، تعاظم دور المدن، تقلّص دور الريف، الهجرة من الريف إلى المدينة، ظهور تصورات نابعة من التفسيرات العقلانية والإنسانية الجديدة للمعاني الدينية، ومن التحليلات العلمية أو التقدم في النظرية التاريخية، هذه التغيّرات لا تعني أن المجتمع العربي أصبح عصريًا مع أنه أصبح حديثًا، فالحداثة لا تعني المعاصرة، الحداثة تعني الاستهلاك واقتناء التقانة (التكنولوجيا) وعدم إنتاجها وعدم التحرّك بها، لقد تشكلت في هذه المجتمعات بنية مزدوجة من أنماط وأساليب إنتاج وتنظيم وتفكير قديمة وحديثة، وهي تتصارع دون أن تؤثر إحداها في الأخرى، لقد حصل انهيار شامل لمنطق اشتغال فاعلية النمط المدني القديم، وإفساد عميق لآليات عمل اشتغال النمط المدني العصري، ومن هذا الانهيار وهذا الإفساد قام البنيان الجديد المدني والسياسي للمجتمع العربي (٨). إنّ هذا البنيان الجديد ليس عصريًا ولا قديمًا لكنّه نمط هجين قائم بذاته هو نمط المجتمعات ـ المقطوعة الرأس ـ التي فقدت توازنها ورشدها واتساقها الداخلي، وفقدت وتيرة تقدّمها الخاصة، وأصبحت حركتها مرهونة بحركة غيرها (٩).

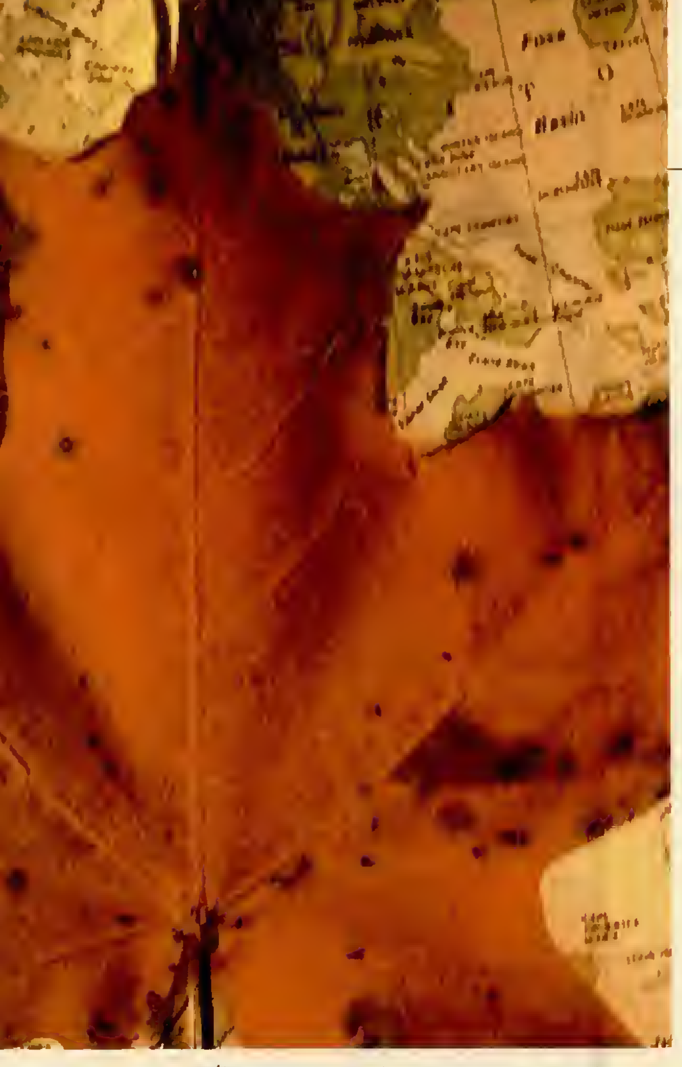
إنّ المجتمع المدني العربي الجديد يتسم بـ (عدم الثبات، والتقلّب السريع والمتواصل، وغياب المقوّمات الذاتية والاتساق الداخلي، وانعدام آليات تحقيق التوازنات الكبرى المادية والمعنوية) (١٠).

إنّ بقاء المجتمع المدني في حالته المتناقضة بين القديم والمعاصر يؤدي إلى تدخل الدولة بسلطة مكاتبها (البيروقراطية) والإجهاز على منظمات المجتمع المدني بغية تحسين مواقعها في النظام الاجتماعي العام، لقد حوّلت (البيروقراطية) الحكومية المجتمع المدني إلى مجتمع سياسي، وتدخّلت الدولة في كل (شاردة وواردة) وأحلّت السياسة محل الاقتصاد والثقافة والمجتمع، وأحلّت «بيروقراطية الدولة المتشابهة والمتماثلة محل العناصر الفاعلة في كل ثنايا المجتمع» (١١).

ويمكن القول بأنّ الدولة في الوقت الراهن تهاب مؤسسات المجتمع المدني أكثر مما تهاب المعارضة السياسية؛ وذلك لأنّ الدولة استطاعت عبر أجهزتها البيروقراطية - والسياسية، والإعلامية أن تجعل المعارضة السياسية هزيلة وهشّة وفاقدة للدعم الشعبي أو تابعة ذيلية، أو على الأقل منفية ومطارَدَة، ولكنّ منظمات المجتمع المدني إذا ترسخت وانتشرت وتعمقت في الأوساط الشعبية فبإمكانها إحداث تحولات نوعية في علاقة المواطن بالحاكم، ومن ثم في علاقة المجتمع المدني بالدولة، وذلك بمشاركة الشعب مشاركة فعّالة في تسيير شؤون المجتمع السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية، بحيث لا تقتصر هذه المهمات على الدولة والحاكم فحسب، بل تضمن مساهمة المواطنين والمواطنات مساهمة فعّالة وحرّة ضمن إطار مؤسسات حرّة ومستقلة، أي في النقابات العمالية والجمعيات المهنية والمنظمات التطوعية.

إعادة بناء المجتمع المدني

إذا كان المجتمع المدني متأزمًا ومخترقًا ومقبوضًا عليه من قِبَل الدولة كما تعبّر عنه أدبيات النخبة الفكرية والثقافية العربية، فلا بدّ من فكّ أزمته وتحصينه وإطلاق سراحه من قبضة الدولة، أمّا كيفية ذلك



بناء مجتمع عربي مدني يستلزم سياسة في ما وراء سياسة الأقطار

فتتوقف على طبيعة الحالة الواقعة للمجتمع المدني ومستوى علاقتها بالدولة، وفي كل الأحوال لا بدّ من تدعيم مؤسسات المجتمع المدني ومنظماته، ولا بدّ أيضًا من نشر مفاهيم الديموقراطية والتعددية وحقوق الإنسان بين أوسع قطاع جماهيري لإدراك معنى المشاركة السياسية والثقافية والحضارية عبر مجمل الفعاليات، لتدعيم حركة المجتمع المدني وتنشيطها، وهذا لا يُعدّ عملاً أو مهمة كافية - وبخاصة في الظروف الإقليمية والدولية الراهنة ما دامت الدولة تقوم بشكل مستمر بتشويه منظمات المجتمع المدني وتمييعها وتخريبها، لا بدّ من وجود حل يرتبط بالسياسة يتناول مسألة الدولة، هذه الدولة التي ينبغي تحديد

نوعيتها التي تستطيع إعطاء جواب صحيح، والطرائق الكفيلة بتحرير المجتمع المدني من تناقضاته وتفجير طاقاته، وإمكاناته التي تشكّل الطاقات المادية والمعنوية للمجتمع، لا يكمن الحل إذن «في رفض الدولة ذاتها من الداخل أي تبديل نمط الإرادة التي تسيّرها وتحولها من إرادة خارجية مرتبطة بعصبة أو عصابة إلى إرادة داخلية نابعة من المجتمع ذاته وتابعة له»(١٢).

ويمكن القول: إنه لا يوجد مجتمع مدني من دون نظام سياسي قادر على حمايته من التخريب والتشويه والاحتواء الداخلي، وكذلك لا توجد سياسة في إطار التنافس الراهن من دون تجاوز الدولة كما هي قائمة الآن.

إن المتغيرات الدولية الكبرى وثورة المعلومات والاتصالات في عالمنا المعاصر اليوم تفرض على دول العالم وشعوبه التفكير بمعايير قارية كبرى، وليس بمعايير الدولة القطرية، والتكوينات الرسمية المجرّدة؛ وتمكن الإشارة إلى الولايات المتحدة الأمريكية التي قامت بتوحيد اقتصادها مع اقتصاد المكسيك وكندا، واليابان التي تضم حولها النمور الآسيوية الجديدة، وأوربا التي خطت خطوات كبيرة في اتجاه التوحيد الاقتصادي، والاتحاد السوفييتي السابق (روسيا الحالية) التي تسعى بشتى السبل إلى الاحتفاظ بالوحدة المهدّدة، إنّ هذه المساعي والجهود تأتي في سياق التفكير بتشكيل المدنية الأمريكية، المدنية اليابانية، المدنية الأوربية، المدنية الروسية (١٣).

استنادًا إلى ذلك فإنّ بناء المجتمع المدني العربي وفي كل قطر يستلزم اليوم بناء السياسة العربية في ما وراء سياسة الأقطار (١٤)، وبما يمكّن من تجاوزها والجمع بينها في الوقت نفسه، أي بناء الجماعة العربية نفسها من حيث هي علاقة تجمع بين أفراد متعددين، ومن حيث هي علاقة مع العالم تعبّر عن آمال وطموحات ومصالح مشتركة (للدول العربية) ولا يعني هذا إلغاء أحد سواء على صعيد الدول أو على صعيد تعددية الأطراف في المجتمعات، ولكنْ إيجاد القاعدة التي تعمل معًا في سياقها في سبيل هدف واحد بدل عمل إحداها ضدّ الأخرى (غزو العراق لدولة الكويت).

ويمكن القول - أخيرًا - إن المشكلة ليست مشكلة مدنية (مجتمع مدني) ولا سياسة (الدولة) وإنما هي حيو/سياسية أي لا بدّ من بناء استراتيجية المدنية العربية المعاصرة، كنتيجة لجمع الشعوب والأقطار العربية وتفاعلها وتضامنها في المواجهة الحضارية (١٥).

المراجع

١- علي الصاوي، «التنظيمات غير الحكومية والتحول الديموقراطي في الوطن العربي»، مجلة شؤون عربية، العدد ٧٥، ١٩٩٣م ص١٠٥.

٢- برهان غليون، «بناء المجتمع المدني دور العوامل الداخلية والخارجية»، مجلة المستقبل العربي، العدد ١٥٨، ١٩٩٢م ص١٠٩.

٣- برهان غليون، مجلة المستقبل العربي، مصدر سابق ص١٥٩.

٤ ، ٥ ، ٦ . نقلاً عن مجلة شؤون عربية، مصدر سابق ص١٠٨ و ١٠٦و ١٠٣.

٧- حليم بركات، «الاغتراب وأزمة المجتمع المدني»مجلة الآداب البيروتية، العدد٣، آذار/مارس ١٩٩٩٤م ص١٩.

٨- برهان غليون، المستقبل العربي، مصدر سابق ص١١٢.

٩- المستقبل العربي، مصدر سابق ص١١٣.

١٠ ، ١١، ١٢، ١٣، ١٤. ١٥ - المستقبل العربي، مصدر سابق ص١١٢، ١١٥، ١٢١، ١٢٢، ١٢٣، ١٢٤.





فن التـذهـيـب والنقـش والزخرفـة
فـــي المخطـــوط المغـ

...ربي والأندلسي

السعيد بنموسى

الرباط ـ المغرب

استخدم عرب المغرب والأندلس في العصر الوسيط التذهيب والزخرفة في جلود الكتب. فقد كانوا يذهبونها بطوابع أو أختام حديدية بعد صبغها بالبقم. فيقطعون صفائح الذهب الحر على قد الخاتم، ثم يضغطون عليه بالنحت (آلة الضغط) بعد تسخينه في الجمر. وأشكال الأختام التي كانت تعمل في وسط غلاف الكتاب هي: المربع أو المثمن أي نجمة بثمانية أضلاع أو العشر أي خاتم عشاري الضلوع أو الدائرة. وحتى المسدس أي نجمة سداسية الأضلاع كانت تستعمل في المخطوط المغربي والأندلسي. وطبعًا هذا يدل على أن العلاقات المنسجمة التي كانت قائمة بين المسلمين واليهود في المغرب والأندلس بفضل الإسلام الذي لا يعرف التعصب غير الإنساني. وما زال موجودًا إلى الآن بمدينة فاس[1] مخطوط زخرفته في شكل مسدس وسط الدائرة. وهذه الأشكال النجمية المتعددة الأضلاع هي ذاتها استخدمت في زخارف السجاد والتحف النحاسية والخشبية وغيرها.

أما الأختام الصغيرة التي كان يزخرف بها حول المربع إذا كان الخاتم في شكل مربع أو مثمن أو غير ذلك فهي اللوزة، والوردة، والنقطة، والضفرة.

ومن المعروف أن كل شكل من هذه الأشكال التي ذكرنا كان له رمز. فمثلاً المربع كان يرمز إلى القعود والسكون، والدائرة تحيل إلى الحركة والحياة. وحتى التركيب بين هذه الأشكال كان يوحي بدلالات كثيرة ومتعددة، فمثلاً المثمن أي نجمة بثمانية أضلاع فهي تتكون أصلاً من مربعين متقايسين أحدهما يرمز إلى الجهات الأربع، والثاني يمثل العناصر الأربعة المعروفة التي تشكل رفقها الكون وهي النار، والماء، والهواء، والتراب.

وقد أعجب الغربيون بهذه الرسوم الهندسية، وقلدوها في أول الأمر، فوضعوا غلافات مذهبة تحاكي الزخرفة الأندلسية والمغربية، ثم ابتكروا أسلوبهم الأصيل الذي تفوقوا فيه فيما بعد.

واستخدم عرب المغرب والأندلس أيضًا حدائد الضرس وهي حدائد طويلة تدور على غلاف الكتاب المتخذ من الجلد السطحي كله، وأنواعها متعددة، وكل نوع كان له اسم مثل الطويل، والصلة، والتكحيل، والسلسلة، وغيرها. وقد وصف لنا الشيخ بكر بن إبراهيم الإشبيلي (ت ٦٢٨) وهو معاصر لدولة الموحدين في كتابه «التيسير في صناعة التسفير»[2] طريقة استعمالها فيقول: «الضرس يجري مجرى القاطع والمقطوع، وهو باب منه يستنبط فيه صنائع كثيرة مختلفة الأنواع، ولها أسماء وأصل العمل فيه أن يبيت له أبيات على قد الحديدة بالضابط أو بالعين تقديرًا، وبعض المسفرين (المجلدين) لهم حديدة متخذة للتثبيت كالقانون ليلا يجيء أكبر من بيت، وفي تبييتكم للطرر نترك طرتين؛ لأنها أربع طرر تدور بالكتاب. فتترك منها طرتين يكون في أولهما عند التبييت نصف بيت، لأن الصنعة حكمها

ظهرت في المغرب طريقة أخرى في فن التذهيب، وهي الكتابة والزخرفة بماء الفضة وماء الذهب على ورق الكاغد، وورق الرق، والجلد العادي

أن تنعقد أركانها في نصف بيت، ثم تنزل حديدة الضرس، ثم الطويل بعدها، ثم الصلة، ثم التكحيل، ثم الضفرة، ثم النقطة...إلخ».

أما بواطن الكتب (الأشداق) فكان يفعل فيها مثلما يفعل في الوجه أي الإكثار من الزخرفة والهروب من الفراغ.

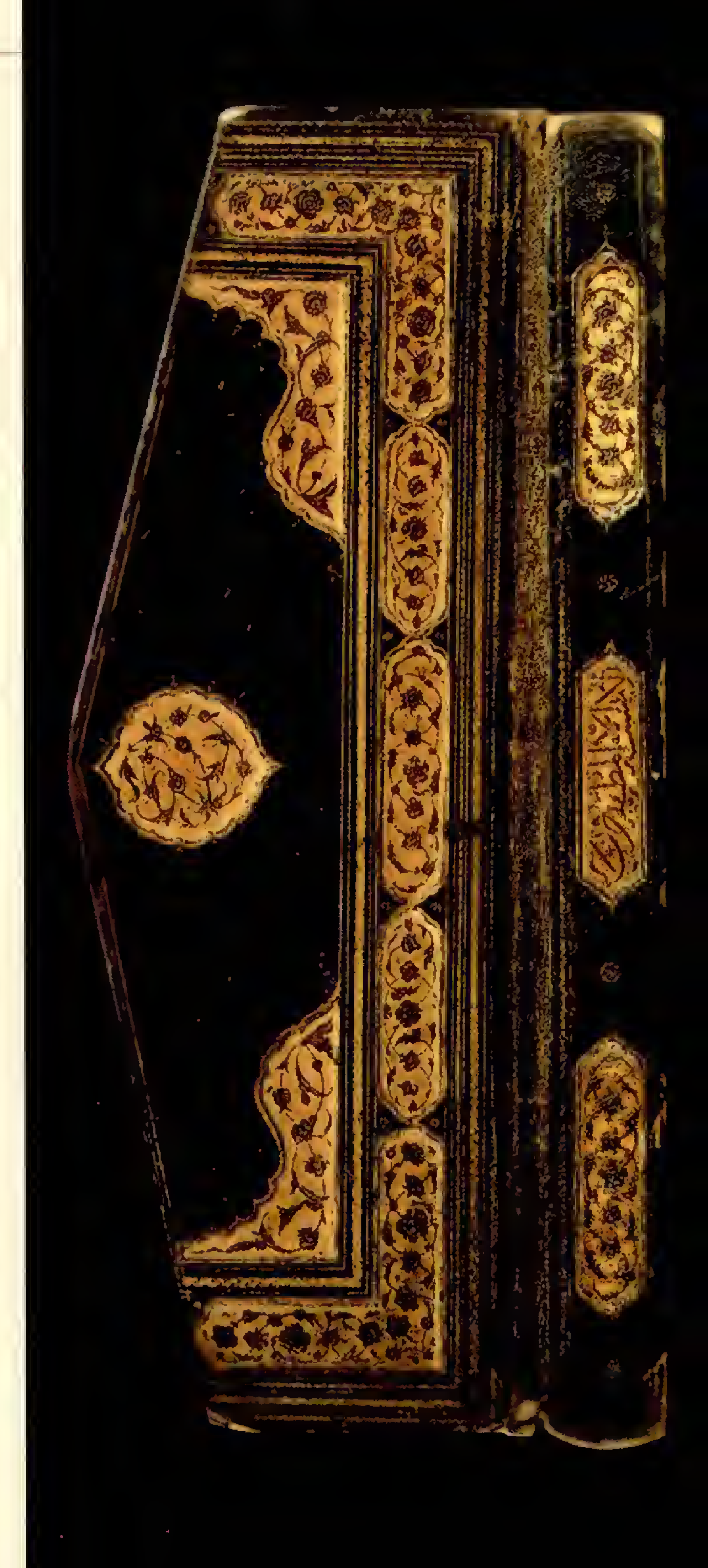
التذهيب المصري المختصر

إلى جانب التذهيب المغربي الأندلسي، كان هناك نوع آخر يستخدم في العصر الوسيط في المخطوط المغربي والأندلسي ألا وهو التذهيب المصري المختصر أي الذي زخرفته مختصرة لا تغطي جلدة الكتاب كلها مثل الزخرفة المغربية والأندلسية التي كان من أهم خصائصها الإكثار من التذهيب والزخرفة كما رأينا قبل.

والعمل في الأسفار المختصرة كما يقول الشيخ الإشبيلي السابق الذكر: «وذلك أن تسفن وتدلك لها طرة، وتخيط بالطريق على بعد من الطرة، وتنزل الركن في مجتمع أطراف الطريقين، والعشر في وسط السفر، واللوزة حوله ويسمى هذا النوع التسفير المصري....إلخ».

الزخرفة بالترنجة الفارسية

في القرن السادس عشر الميلادي عمت في المغرب طريقة أخرى للتزيين على الأغلفة الجلدية ألا وهي







نماذج من فنون تجليد الكتب

الزخرفة بالترنجة. والترنجة مصطلح فارسي، وهي جلد شبه إطار صغير منقوش يلصق على الحفر وغالبًا ما يكون بجلد رقيق لونه أحمر أو أخضر. وهذا النوع أصله فارسي، وسمّاه الفقيه محمد السفياني وهو معاصر لدولة السعديين في كتابه «صناعة تسفير الكتب وحل الذهب»(٣) بالتسفير المشرقي أي المشرق الإسلامي. وكيفية استخدامه كما يقول الفقيه محمد السفياني: « دبد وأقسم الدفة الأولى بالتحنيس على نصفين، واجعل الترنجة على وسط الدفة إن كانت صناعة التسفير مشرقية، ودور عليها بالتحنيس، وبعد ذلك أتبع التحنيس بالحفر بالمفرط، وقس الترنجة على الحفر، واخرف ما زاد ونقص حتى ترى أنك إذا نزلت الترنجة في الحفر تراها رائجة ولا عليها ضيق في نزولها...إلخ».

فن النقش العثماني

استخدم المغاربة أسلوبًا آخر للتزيين والزخرفة لا شك أن أصله تركي عثماني ألا وهو النقش بالتوريق النباتي المحفور على الترنجة المربعة والأركان وغيرها. وطريقة استخدامه أن ترسم بالقلم التوريق المشكل من نباتات وأزهار، وغصون، وأوراق العنب. وغير ذلك، ثم تقطع هذه الأشكال الزخرفية بالمشرط فتبدو هذه الفراغات آية في الجمال الفني.

وقد وصفه لنا الفقيه محمد السفياني بدقة متناهية في «باب صفة عمل الترنجة من الجلد للتسفير».

التذهيب بماء الفضة وماء الذهب

ظهرت في المغرب طريقة أخرى في فن التذهيب، وهي الكتابة والزخرفة بماء الفضة وماء الذهب على



مصحف قديم يظهر فيه فن الزخرفة والتذهيب

ورق الكاغيد، وورق الرق، والجلد العادي، ولا شك أن المسلمون ورثوا هذا الفن عن بيزنطة، ثم طوّروه، وأضافوا إليه ابتداعهم الخاص.

تقول: ج. هـ. هس مؤلفة كتاب العالم البيزنطي (٤): «... ومن بين أقدم الخطيات نجد الكتب «الأرجوانية» التي يتأرجح تاريخها ما بين نهاية القرن الخامس إلى السادس، وتحتوي على أجزاء من الكتاب المقدس «كتاب المزامير» كتبت بالفضة على «نسيج» أرجواني....»

ومن هذا النص يمكن أن نستخلص أن الكتابة بالفضة أصلها بيزنطي، ثم تقدم المسلمون فيما بعد، وحلّوها بصناعة رائقة، وأضافوا إليها إبداعهم الفني، وقد وصف لنا الإمام أبو عبدالله محمد بن أبي الخير الحسني الأرميوقي في الباب العاشر من كتابه «النجوم الشارقات في بعض الصنائع المحتاج إليها في بعض الأوقات» (٥) بأنها كانت تحل في قنينة زجاج بالماء والصمغ العربي الأبيض المسحوق، والغراء الشامي والعسل النحلي التخين وملح الطعام، وطبعًا الفضة أو بقايا فتات الفضة. وينصحنا بغسل اليدين وقص الأظفار قبل التحلية، والاحتراز من الوسخ، ولا بد أن تكون القنينة نظيفة، والصحن سالمًا من الأوساخ. وقبل الكتابة بماء الفضة كانت بعض أوراق الكاغيد تصبغ بصباغة خاصة، ولحسن الحظ وصل إلينا قرآن كريم (٦) مكتوب بماء الفضة على ورق الكاغيد مصبوغ بلون أخضر وبخط مغربي، وهو الآن محفوظ بالخزانة العامة للكتب بالرباط.

واستخدم المسلمون كذلك ماء الذهب للكتابة

والزخرفة على ورق الكاغيد وورق الرق والجلد العادي، ويحدثنا الفقيه محمد السفياني بتفصيل كبير عن طريقة حله في «باب صفة حل الذهب». ونكتفي هنا بتلخيص ما ذكره: «تأخذ ورقة الذهب وتفركها بالفرك في صحن مزجج وتمزجها بالعسل. ثم تدلكها بعود مثل الخفيف حتى تتهيأ جدًا. وافرغ عليها الماء وحركها واتركها هنيهة. وصب عليها الماء في آنية أخرى مزججة، وزد على الذهب ماء آخر وصفيه على الماء المتقدم الأول، وكرر عليه الصب بالماء والتصفية حتى يذهب منه طيبة العسل. وإن أردته للكتابة على الورق اعمل فيه الصمغ العربي قدر ما يكفيك أو غراء الحوت المطبوخ على نار لينة، وتجعل ليقة من صوف وحركها بالقلم واكتب ما تريد في الورق فإذا يبس في الورق اصقله بمحارة. وإذا أردت أن تكتب به على الجلد فلا تخدم فيه الصمغ العربي، وإنما يخدم فيه غراء الحوت. فإذا كتبت به اصقله كذلك بمحارة أو شبهها...إلخ».

الحبر البلدي

إلى جانب ماء الذهب وماء الفضة، كان يستخدم طبعًا الحبر العادي للكتابة أو الحبر البلدي: أي المصنوع في البلد. فقد كان المغاربة يصنعونه من العفصة والزاج والصمغ، وأحيانًا يمزجونه مع خليط من المبيدات الحشرية وذلك لطرد الأرضة عن المكتوب، وطريقة استخدامه نظمه بعض الصنّاع المغاربة في هذه الصنعة بأرجوزة في تسعة أبيات:

من بعد حمد الله ذي الإنعام
خذ وصف حبر نافع الأنام
أوقية ونصف عفصها أخضرا
أوقيتا صمغ يكون أشقرا
كذلك رطل الماء ونصفه جرى
والوزن بالمصري فيما قدرا
والزاج أوقية منه تكفي
واسحق جميع ما ترى في الوصف
ثم انقع العفص الذي دققته
في ذلك الماء الذي حررته
واتركه فيه نحو أسبوعين
حتى ترى احمراره بالعين
وصفه وألق فيه الصمغا
واسمع لما قلت إليك واصغ
من بعد ذوب الصمغ فيه جهرا
ألق عليه الزاج يأتي حرا
من غير شمس صنعه ونار
والحمد لله اللطيف الباري

وقد عني المغاربة والأندلسيون بصناعة التجليد والتذهيب والترميم وحل الذهب والفضة والأغرية وغيرها، وألفوا الكتب الكثيرة، ولسوء الحظ فإن الكثير منها غير موجود، ويعدّ في عداد الكتب المفقودة باستثناء الكتب السابقة الذكر التي وفقنا الله لتحقيقها ومقارنتها، وشرح ما غمض منها لنفيد بها الباحثين أو البحث العلمي.

المراجع والهوامش

١. محفوظ بخزانة القرويين تحت رقم ح/٤٠، عدد ٨٥.
٢. شرحه وحققه وقارنه السعيد بنموسى.
٣. تحقيق ومقارنة السعيد بنموسى.
٤. ترجمة الدكتور رأفت عبدالحميد.
٥. قارن بعض أبوابه مع كتاب «صناعة تسفير الكتب وحل الذهب» لمحمد السفياني، المحقق السعيد بنموسى.
٦. قاعة إبراهيم الكتاني، مخطوط تحت رقم ١٢٠٤.





برج بيزا المائل.. هل يكـ

...كف عن الميلان؟

رضا عبدالحكيم

الزقازيق ـ مصر

إن برج بيزا الشهير يميل منذ القرن الثاني عشر.. وأملاً في إنقاذ هذا الصرح القديم يستخدم المهندسون تقانة الألفية الثالثة. طوال العقد الماضي تقريبًا كان برج بيزا المائل في إيطاليا موقع بناء وتشييد ضخم. فقد كومت فرق العمال ٩٠٠ طن من (الطوب) المصنوع من الرصاص حول قاعدة البرج، وفي الآونة الأخيرة حفروا ثقوبًا تحت البرج ومدوا خلالها أنابيب وشفطوا ٧٠ طنًا من التربة لكي تنقل بعيدًا على متن أسطول من الشاحنات. وكصمام أمان في حالة انهيار البرج خلال هذه العملية، أحاط المرممون قطاعه الأوسط بسلك سمكه أربعة سنتيمترات.. لقد أوشكت آخر الجهود لمنع البرج الذي يبلغ عمره ٨٠٠ سنة من أن يصبح واحدًا من أنقاض إيطاليا الكثيرة. على الانتهاء.. وبالحظ سوف تنتهي سلسلة من الأخطاء الهندسية والحوادث التي تمتد عبر معظم الألفية الثانية. وكان منتصف يونيو/حزيران عام ٢٠٠١م هو موعد تسليم المهندسين البرج للمسؤولين بمدينة بيزا في احتفال رسمي.

في الماضي..

لم تنجح الجهود التي بُذلت من أجل تصحيح ميلان البرج لقرون.. ذلك البرج المقام في ساحة المعجزات Piazza dei Miracoli في بيزا. الذي بني منذ عام ١١٧٣م كبرج لجرس الكاتدرائية القريبة هناك.

يقرر المؤرخون أن هذا العام شهد بداية أعمال تشييد البرج، ولم يستطع المؤرخون على الرغم من شهرة البرج أن يحددوا المهندس المعماري الأصلي. في عام ١١٧٨م، عندما وصل العمال إلى الطابق الثالث لاحظوا أن البرج يميل ناحية الشمال. وكان البناء قد توقف بسبب الحرب التي خاضتها بيزا مع جيرانها. وفي عام ١٢٧٨م، مع الطابق السابع بدأ البرج يميل ٨١سم ناحية الجنوب، وقد توقف البناء مرة أخرى، بسبب الحرب على الأرجح. في المدة من ١٣٦٠ إلى١٣٧٠م انتهى البناء بإضافة برج الجرس. وتطلب الميلان إضافة درجة سلم من الناحية الجنوبية.

تبين للمهندسين في عام ١٨٢٨م أن كشف سلالم الأساس الغارقة والأعمدة يؤدي إلى انتقال البرج مسافة ٦٠سم تقريبًا.

أمر موسوليني القائد العسكري الشهير عام ١٩٣٤م المهندسين بتقويم البرج، فقاموا بحفر ٣٦١ ثقبًا في الأساس المبني بالحجر، وحقنوا٨٠ طنًا من الخرسانة، وقد أدت جهودهم في الحقيقة إلى ميلان البرج سنتيمترين إضافيين. ويذكر أن البرج أغلقته الحكومة الإيطالية أمام الجمهور في عام ١٩٩٠م بسبب انهيار برج بافيا المدني، وبعد عامين استخدم المهندسون دعامات من الصلب لدعم البرج. وخلال المدة من عام ١٩٩٣م إلى١٩٩٤م بنى العمال حلقة من الخرسانة حول قاعدة البرج لدعم الأثقال المضادة من الرصاص. وقد نجحت الأثقال في عكس ميلان البرج بمسافة سنتيمترين.. وقد أدت الأثقال إلى تشويه خطوط البرج البديعة.

في عام ١٩٩٥م، قبل استبدال نظام سلك مصنوع من الفولاذ بأثقال الرصاص، ضخ المهندسون النيتروجين السائل في الأرض لتثبيت البرج، وقد أثر هذا - من دون قصد - في الأساس، واهتز البرج بمسافة ٢,٥ملم. ولوقف الاهتزاز أُضيف المزيد من الأثقال.

والآن..

هناك لجنة يقودها الباحثون، مؤكدين أنها أجرت تأمين البرج لـ ٣٠٠ عام مقبلة، ففي عملية مصممة بعناية، يحاول العلماء إنقاذ البرج المشهور من الانهيار.. فقد وضعوا دعامات أمان لتثبيت البرج، إذ غرس المهندسون ٤٠ أنبوبًا أو أكثر من الأنابيب لإزاحة التربة نحو خمسة أمتار تحت أساس البرج.. حفرت الحفارات داخل الأنابيب ثقوبًا في الأرض واستخرجت التربة، والحالة حاليًا - فيما يرجحه الباحثون - أن البرج يستقر وتقل درجة ميله بنحو نصف متر.

ثمانية قرون من الميلان

إن برج بيزا لم يكن قط منتصبًا، إذ لم يمض وقت طويل على البدء ببنائه عام ١١٧٣م، حتى هبطت أساساته بشكل غير متساو، فبمجرد أن انتهت عملية بناء البرج تقريبًا بدأ أساسه المشيد بالرخام يغوص في التربة الصلصالية المشبعة بالماء في ميدان كامبودي ميراكولي (ميدان المعجزات). وهو موقع قاع نهر مدفون.. لقد بني على أرض رخوة وبارتفاع حرج، وهو يزن ١٤,٧٠٠ طن متري. والعجيب - فيما يدهش مهندسي الأجيال - أنه إذا تسنى لبرج بني على هذا الارتفاع من المواد على أرض بهذه الخاصية الإسفنجية أن يميل بنسبة ٥,٤ درجات، فإن قوانين الهندسة تقضي بسقوطه، لكن البرج ظل على حاله بشكل غامض، بدرجة ميلان قدرها ٥,٥ درجات.





من أعمال صيانة البرج

بدأ البرج بالميلان نحو الجهة الشمالية، ولدى متابعة بنائه، بعد ما يقرب من ١٠٠سنة من التوقف، تزحزح المبنى مرة أخرى حتى أصبح في عام ١٢٧٢م مائلاً وبوضوح إلى الجهة الجنوبية.

وتقع قمة البرج اليوم على مسافة ٢٢٧ . ٥م بعيدًا عن المركز ومائلة باتجاه الجنوب.

وخلال تاريخ هذا النصب التذكاري Monument حاول المعماريون والمهندسون إيقاف الميلان. ولكن منذ بدء المراقبة المنتظمة عام ١٩١١م ازداد انزياح قمة البرج بمعدل منتظم تقريبًا بمقدار نحو ٢ . ١ملم في كل عام. وتعاظم الخوف على سلامة الصرح عندما انهار في عام ١٩٨٩م برج جرس كاتدرائية بافيا الذي بُني بشكل مماثل، وبعد ذلك بزمن قصير أغلق برج بيزا أمام الزوار.

وفي عام ١٩٩٠م شكلت الحكومة الإيطالية لجنة خاصة مؤلفة من خبراء إيطاليين وأجانب في مجالات الهندسة الإنشائية وميكانيك التربة وتاريخ الفن وترميم الصروح مهمتها تحديد سبل جديدة لإنقاذ البرج.. وكانت جهود اتحاد مشروع برج بيزا قد أشرفت على عدة مشروعات أدت إلى إحلال الاستقرار في المنشأة، وقلّت من معدل ميلانها، وقد ركزت الجهود الأولية في البرج من الخارج، ولكن الباحثون قاموا بالتخطيط لتجريب تقانات أخرى مختلفة جذريًا لإيقاف ميلانه. مع إجراء تطبيق هذه الأساليب مباشرة على التربة، لتعديل قاعدة النصب التذكاري.. وحيث انتصب البرج في موقعه أجريت تجارب حقلية ضخمة، وبوشرت بعيدًا عن الصرح ذاته.. وقد أخذ الباحثون في الحسبان أن أي تعديل في الأرض على مقربة من البرج، يمكن أن يؤدي إلى أضرار لاحقة بالمنشأة.

لم يكن هدف المهندسين النهائي تقويم استقامة



السلالم المؤدية إلى أعلى البرج

البرج، لأن المنشأة مالت باتجاهات مختلفة خلال مراحل بنائها الأولى، مما جعلها تأخذ شكل الموزة بانحنائها، لذا فإنها لن تقف مستقيمة أبدًا، وعوضًا عن ذلك، كان أمل الباحثين إرجاع القمة إلى الوراء مسافة ١٠ أو ٢٠سم.

في البداية كان البرج يميل باتجاه الشمال، ولكن خلال معظم تاريخه انحنى المبنى باتجاه الجنوب.

وقد بلغ معدل الميلان أقصاه في بداية القرن الرابع عشر. وتحركت قمة البرج، بين عامي ١٩١١م الذي ابتدأت فيه المراقبة الجديدة و١٩٩٠م، بمعدل ما يقارب ١.٢م في السنة، وكان عام ١٩٩٣م تأريخًا واقعيًا لبداية الجهود المثمرة فعلاً في التخفيف من معدل الميلان.

الأساسات: مكونات التربة أسفل القاعدة

أثبت الخبراء أن طبقات التربة تحت البرج المؤلفة من الطين والرمل قد ارتصت (دُمكت) بشكل غير متساو، مما أدى إلى ميلان البرج. فالأمتار السبعة العلوية تحت المنشأة مؤلفة من مزيج من الطمي Mud والطين وتربة رملية. وتحت هذه الطبقة حتى عمق ٢٠ مترًا، يوجد شريط من تربة تُسمى محليًا بطين بانكون Pancone Clay مشهور بلونه الرمادي الضارب إلى الزرقة. ويمتد الحد الرملي الفاصل بين هاتين الطبقتين الأوليين أفقيًا تحت معظم ساحة المعجزات ما عدا تحت البرج حيث يشكل هذا الحد منخفضًا له بشكل قوس. وتتناوب طبقات من الطين والرمل لعمق يقارب ٧٠م. وتغوص كامل منطقة الساحة تدريجيًا، ولكن - فيما يقرره الباحثون - من الواضح أن بعض الرقع فيها تغور بسرعة أكبر من الرقع الأخرى، ولم يكن المصممون الأوائل يعرفون أنهم اختاروا لبناء البرج إحدى المناطق المشؤومة.


البرج وبعض المعالم المحيطة به

عزل قاعدة البرج

تاريخيًا، كان للجهود المبذولة لإنقاذ البرج آثار جانبية غير مقصودة، مثلاً عام ١٩٣٥م فكر بعض الباحثين في أن المياه الزائدة تحت البرج تضعف الأساس. لذا حاول العلماء عزل قاعدة البرج لمنع تسرب المياه إليها من الأسفل، فتضمنت الخطة الثقب المتكرر في الأساس بشكل مائل ومن ثم ملء هذه الثقوب بمونة من خلطة أسمنتية. ويذكر أنه في عام ١٩٣٥م قفز معدل الميلان إلى أكثر من ست مرات من معدل الميلان في العام الذي سبقه.

تقنيات تقويم البرج

ابتدأ برج الجرس في بيزا بالميلان تدريجيًا خلال فترة بنائه، وتم ذلك على ثلاث مراحل امتدت عبر ٢٠٠ عام تقريبًا.

المرحلة الأولى (١١٧٣ ـ ١١٧٨م).. وضعت الحجارة الأولى عام ١١٧٣م، وفي مرحلة العمل الأولية مال الصرح قليلاً باتجاه الشمال، ويمكن رؤية دلائل هذا الميلان في تصميم البرج ذاته: قام العمال للحفاظ على استواء الطوابق الأولى، بصنع الأعمدة والأقواس للطابق الثالث في الجهة الشمالية الغائرة أطول قليلاً من مثيلاتها في الجهة الجنوبية. وكما ذكر أن القلاقل السياسية في بيزا عام ١١٧٨م أدت إلى إيقاف العمل في منتصف بناء الطابق الرابع.

المرحلة الثانية (١٢٧٢ ـ ١٢٧٨م) استؤنف العمل عام ١٢٧٢م، أي بعد ١٠٠ سنة تقريبًا، مال البرج خلالها باتجاه الجنوب ـ اتجاه الميلان الحالي. ومن جديد، أمل المصممون في تعديل الميلان، باللجوء هذه المرة إلى تعديل ارتفاع الطابق الخامس، جاعلين الجانب الجنوبي أطول بعض الشيء من الجانب الشمالي، وفي عام ١٢٧٨م، ومع سبعة طوابق منتهية بالكامل، توقف العمل في البرج مرة أخرى بسبب الاضطرابات السياسية، وبحلول عام ١٢٩٢م كان الميلان واضحًا جدًا مما استدعى الطلب إلى عدد من البنائين للتحقيق بالمشكلة. وهذه هي الأولى من اللجان الكثيرة التي عيّنت لدراسة البرج عبر الـ ٧٠٠ سنة الماضية.

المرحلة الثالثة (١٣٦٠ ـ ١٣٧٠م) خلال هذه الفترة بُني الطابق الثامن، وهو حجرة الجرس، التي كانت الإضافة الأخيرة إلى البرج. حاول المعماريون فيها مرة أخرى ـ لتصحيح الميلان باتجاه الجنوب ـ إمالة حجرة الجرس بزاوية تتجه نحو الشمال. ويمكن رؤية التعديلات المختلفة للمصممين الأوائل بشكل أفضل في مصوَّر يبين مقطعًا طوليًا للبرج.. وحالت تلك الجهود المبذولة، إضافة إلى بطء عملية البناء زمنيًا (التي أعطت للتربة أسفل أساس المنشأة الوقت الكافي

للانضغاط، ومن ثم لاكتساب المقاومة لتأثير الانحراف) دون تحطم البرج حتى الآن.

ضمن الجهود الحديثة لتقويم البرج، درست اللجنة الدولية الحالية المكلفة بإنقاذ البرج عدة تقانات مختلفة للمحافظة على ثبات النصب. فمثلاً، يتعرض الجدار الجنوبي إلى إجهادات استثنائية بسبب الميلان الكبير، الذي قد يؤدي في النهاية إلى انهيار البرج. وفي عام ١٩٩٢م قام العمال بتحزيم الطابق الأول للمبنى بشرائح فولاذية للحيلولة دون تكسر البناء الحجري.. وفي محاولة أجريت (من شهر ١٩٩٣/٦م حتى شهر ١٩٩٤/٢م) بحث الخبراء كيفية إيقاف ميلان البرج، ومن أجل ذلك وضعوا كمية من سبائك الرصاص يتجاوز وزنها ٧٥٠ طنًا فوق الجانب الشمالي للحلقة الخرسانية التي تحيط بقاعدة البرج، فأدت هذه الأثقال إلى إيقاف انحرافه، وإلى إزاحة قمته باتجاه الشمال مسافة ٢,٥سم خلال المدة المشار إليها.

كما بدأ المهندسون في ١٩٩٥/٦م، بتركيب حلقة خرسانية أخرى حول النصب التذكاري، مثبتة في طبقة من التربة الرملية على عمق ٥٠م من سطح الأرض بواسطة كابلات فولاذية تمتد إلى الأسفل من الجانب الشمالي. وهذه الحلقة الثانية والمقرر الاستعاضة عنها بسبائك الرصاص في النهاية، تُعطي قوى مثبتة أكبر. ويتوقع الباحثون أن تشد هذه الطريقة قمة البرج إلى الخلف مسافة لا تقل عن ٢,٥سم أخرى.

هل يمكن استقرار البرج بشكل أكثر استواءً؟

وهناك قيد الدراسة تقانات أخرى، ستؤدي إلى تغيير في مواصفات التربة تحت البرج، فالباحثون يدرسون إمكانية استخدام التناضح الكهربائي Electro - Osmosis لزيادة تماسك (رص) طبقات الطين من ١٠





اختلاف حول فتح البرج أمام الجمهور العام

حتى ٢٠م أسفل البرج، إذ يمكن لأقطاب (مسار) كهربائية كبيرة مُصنعة من أنابيب فولاذية تولج في الأرض، أن تولد مجالاً (حقلاً) كهربائيًا في الطين (الغضار) Clay. ويمكن لهذا المجال الكهربائي أن يجذب الماء نحو الأقطاب، سامحًا بذلك للمهندسين باستخلاص كمية قليلة من ماء الطين الموجود تحت الجزء الشمالي للأساس مما يحتم على طبقات الطين أن تنضغط لتسمح للجدار الشمالي بأن يغور ببطء ليصبح مستويًا مع الجدار الجنوبي، وكحل بديل، يمكن لوسائل حفر معقدة أن تستخرج حجومًا صغيرة من التربة من تحت الجانب الشمالي، منقصة بذلك سماكة الطبقات، ومسببة استقرار البرج بشكل أكثر استواء.

يؤكد الخبراء أنهم أضافوا نحو ٣٠٠ عام إلى عمر البرج، وأنه حاليًا سالم ولا مانع من ارتياده للسياحة، وإن كان فريق يؤثر تخصيص الصعود فحسب لكبار الزوار مؤقتًا إلى حين استيفاء شروط الأمن بصفة مؤكدة.

المراجع

- تقويم برج مائل، مجلة الـ News Week، العدد ٥٤، ١٩ يونيو ٢٠٠١م، ص٥٠ و٥١.
- برج بيزا المائل، مجلة العلوم، مجلد ١٢، العدد٤، إبريل/نيسان ١٩٩٦م، ص ١٢:١٧ -
- Paolo Heiniger, The Leaning Tower of Pisa, Scientific American, April 1996 Volume 12 Number 4.



الانترنت: فوائدها ومخاط

...رها وتحدياتها

نايف بن ثنيان بن محمد آل سعود

الرياض ـ السعودية

تعني كلمة (شبكة) أن أكثر من حاسب سيتم توصيلها معًا لأي غرض من الأغراض سواء أكان تبادل معلومات (أي إرسال ملفات واستقبالها) أم كان اتصالاً من طرف واحد (أي إرسال فقط واستقبال فقط).

وهذا التوصيل إما أن يكون بكابل مباشر بين الحاسبات وفي هذه الحالة تسمى (شبكة محلية) Local Ayeo Network أما أن يكون التوصيل عن طريق خطوط (الهاتف) بمعنى استخدام مسار المكالمات الهاتفية نفسه في تبادل المعلومات الخاصة بالحاسب. وتسمى الشبكة في هذه الحالة Wide Ayeo Network Wan (١) وهذه الطريقة تستلزم ما يسمى بـ (المودم Modem) الذي هو جهاز يحول البيانات أو المعلومات من معلومات تناظرية Amol تسلك مسار المكالمات الهاتفية ـ إلى معلومات رقمية Digital ـ لكي تناسب طبيعة الحاسب. وكما أمكن نقل المكالمات الهاتفية بواسطة الأقمار الصناعية أو الكابلات البحرية. فإن البيانات والمعلومات سوف تستخدم بالضرورة المسار نفسه.

وتؤدي الخصائص التقانية (التكنولوجية) للشبكات دورًا حيويًا في تبسيط دورة المعلومات من المنتجين إلى المستهلكين خاصة بعد ظهور النظام المتكامل لتبادل المعلومات Full Duplex الذي يتيح فرصة التبادل الثنائي والمتعدد الأطراف. كما أن البلدان المتطورة تستفيد من الخدمات الكبيرة التي تقدمها هذه الشبكات، إذ إنها أصبحت من المظاهر العلمية في الجامعات والمعاهد لما تقدمه من فرصة الحصول على المعلومات بأنواعها وأساليبها المختلفة، فقد أتاحت التقانة (التكنولوجيا) المعلوماتية خدمة (الڤيديو تكست Videotext التي تعد من أهم الوسائل التي تقوم بنقل المعلومات المطبوعة والصوتية والمصورة (٢).

ما هي الإنترنت Inter net؟

يمكن تعريف الإنترنت بأنها: شبكة معلومات عالمية، وهي مجموعة من شبكات الحاسب موصولة بعضها مع بعض، وقد كانت الإنترنت في البداية عددًا من أجهزة الكمبيوتر لا يزيد على عشرة أجهزة في عدة جهات داخل أمريكا، وكانت التجربة الأولى في عام ١٩٦٩م، حين تم توصيل حاسبات وزارة الدفاع الأمريكية بعضها مع بعض، وبدأ كل طرف يتحدث إلى الآخر عبر هذه الشبكة، وبعد نجاح هذه التجربة تم توصيل حاسبات هذه الشبكة مع حاسبات جهات أخرى ونجحت هذه التجربة أيضًا، وبعد ذلك أخذ عدد الحاسبات يتزايد، ونشأت مجموعة من الشبكات مثل Milnet، وهي شبكة خاصة بوزارة الدفاع الأمريكية، وتعني الشبكة العسكرية Military Net work. وهكذا أصبحت شبكة الإنترنت مجموعة من شبكات المعلومات المختلفة، لذلك يقال: إن الإنترنت هي (شبكة الشبكات)، ولكنها ليست الشبكة الوحيدة الخاصة بالمعلومات، إذ يوجد الكثير من الشبكات الخاصة بالمعلومات، منها، على سبيل المثال:

وأي شخص يتصل بهذه الشبكة ويخصص له عنوان يصبح جزءًا منها وشريكًا فيها.

وفي بداية عمل شبكة الإنترنت لم تنل هذه الشبكة ما تستحقه من اهتمام، وبعد أن اتضحت إمكاناتها الهائلة بدأ ازدياد الطلب عليها من أماكن مختلفة (الشركات، والمؤسسات، والدول، ...) ولكنها تطلب إدخال خدمة الإنترنت، ومعظم هذه المؤسسات تريد إنشاء قواعد بيانات خاصة بمنتجاتها أو تسويق هذه المنتجات مثل الشركات العالمية، وأيضًا الشركات الصغيرة التي تريد النهوض بمنتجاتها، ودور النشر ... إلخ.

إلا أن هناك مؤسسات أخرى لا تسعى إلى الربح؛ لأن مهمتها إمداد الناس ببعض المعلومات المفيدة عن برامجها، كالأمم المتحدة أو المؤسسات العلمية، أو الجامعات؛ بل إن هناك دولاً تعرض تاريخها وعاداتها وآثارها على شبكة الإنترنت، وهذا أحد أساليب الغزو الثقافي الموجه من دولة إلى شعوب دولة أخرى بغرض التأثير في ثقافات تلك الشعوب وعاداتها.

وقد ظهرت اللغة العربية على صفحات الإنترنت بصورة كبيرة، إذ ذكرت نتائج دراسة أجريت في أبريل/نيسان ١٩٩٧م أن عدد المواقع التي تستخدم اللغة وصل إلى ٦٠ موقعًا (٤).

ومنذ ذلك الحين حتى الآن، حدثت تغييرات كثيرة فقد أنشئ عدد من المواقع التي لم يكن لها وجود، وطرأت تحسينات كبيرة على بعض المواقع التي كانت قائمة بالفعل.

وأدى انتشار الإنترنت بين الدول إلى تجاوز الحدود الجغرافية، أصبح جميع العالم على أرض واحدة، وكسرت الحواجز المصطنعة بين الدول.

أما بالنسبة إلى المبالغ التي تدفع إلى الجهات الموزعة للخدمة عند الاشتراك في خدمة الإنترنت، فهي تكون مقابل بث البرامج الموصلة للخدمة، وصيانة



هوس الهاتف المحمول من نتائج الثورة التكنولوجية

- شبكة كمبوسيرف Compuserve.
- شبكة أمريكا أون لاين America On Line.
- شبكة بت نت Bit Net (٣).

وهذه الشبكات تملكها شركات مقرها الولايات المتحدة الأمريكية، ومن البديهي أن هذه الشبكات العالمية والمحلية التي تملكها الدول أو الشركات الخاصة يتم التحكم في نوعية خدماتها ومعلوماتها، ولكن هذا يختلف بالنسبة إلى شبكة الإنترنت؛ فهذه الشبكة لا تملكها أي جهة في العالم، ولا سلطان ولا هيمنة عليها من أي شخص أو أي منظمة دولية. بل هي ملك العالم أجمع



مقاهي الإنترنت يجتذب الشباب

الخطوط وزيادة سرعتها، ولكن المعلومات نفسها لا يؤخذ عنها مقابل إلا في القليل من الحالات حسب أهمية المعلومات.

وبناءً على هذا أصبح الوصول المجاني إلى المعلومات هو السبب الأول للذيوع والانتشار اللذين تتمتع بهما هذه الشبكة، وأما السبب الثاني في انتشارها فهو الزيادة المستمرة في عدد المشتركين مما يزيد من كميات المعلومات المتاحة.

ولكن الظاهرة المؤسفة في العالم العربي أن معظم المواقع التي أنشئت على الإنترنت كان هدفها تعريفياً أو إعلامياً وليس تفاعلياً أو تجارياً، وأن المواقع الإعلامية مفيدة إلا أن الفائدة الحقيقية تنبع من الأعمال التفاعلية كالتجارة والخدمات الإلكترونية، إذ إن الشبكة العالمية w.w.w قادرة على توفير المال والوقت والجهد إذا أحسن الاستفادة من التسهيلات التي تقدمها.

لذلك، فالمطلوب من أصحاب المواقع العربية تكثيف الجهد والتخطيط لإستراتيجية عمل لمواقعهم، وتحديد أهدافها وتوجيهاتها وطريقة عملها حتى يمكن تحقيق الاستفادة الحقيقية منها على أكمل وجه.

كيف يمكن الاستفادة من شبكة الإنترنت ؟

إن العمل الأساسي لخدمة الإنترنت المعلوماتية هو الوصول إلى قواعد البيانات العالمية، والمطبوعات، وآخر الأخبار، وأنواع المعلومات المختلفة وغيرها. فمن خلال خدمة الإنترنت تستطيع الآن قراءة معظم الصحف العالمية. وتستطيع أن تبحث داخل الموسوعات العلمية والثقافية، مثل: (دائرة المعارف البريطانية)، وتقرأ فيها وأنت جالس مكانك.



تزايد مطّرد في عدد السيدات اللاتي يستخدمن الإنترنت

وتتمثل أهم الخدمات التي تقدمها الإنترنت فيما يأتي (٥):

- البريد الإلكتروني (إرسال الرسائل واستقبالها).
- توصيل أي كمبيوتر بآخر في أي مكان في العالم.
- نقل الملفات من هذه الحاسبات وإليها.
- البحث عن أي معلومة في مختلف المجالات.
- التحدث إلى أي مستخدم للحاسب في أي مكان من العالم

ومن أبرز هذه الخدمات:

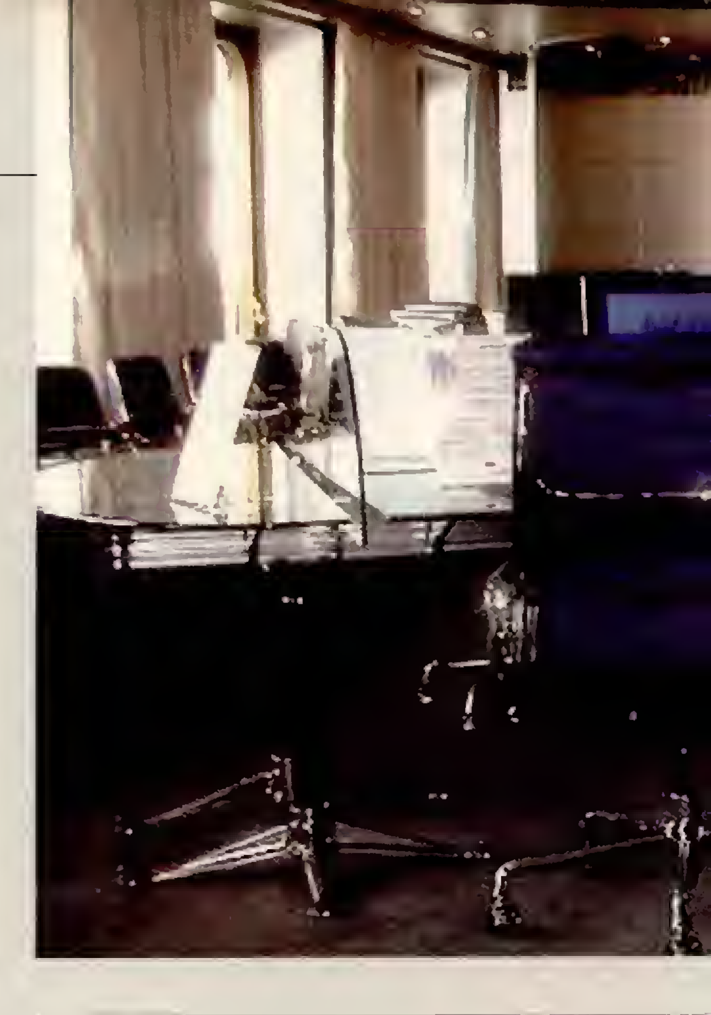
البريد الإلكتروني

تعدّ خدمة البريد الإلكتروني من أكثر الخدمات انتشارًا واستخدامًا داخل شبكة الإنترنت. وقد صمم البريد الإلكتروني في الأصل لكي يتيح لشخصين على حاسبين منفصلين أن يتصلا معًا، وكانت برامج البريد الإلكتروني قديمًا تزودنا بإمكانية واحدة، وهي السماح للشخص الذي يستخدم أحد الحاسبين بطبع رسالة وإسالها عبر الإنترنت إلى الشخص المستخدم للحاسب الآخر.

ولكن أنظمة البريد الإلكتروني أصبحت الآن تزودنا بخدمات اتصالية معقدة ومثيرة ومن هذه الخدمات (٦):

- إرسال رسالة واحدة إلى أكثر من شخص.
- إرسال رسائل تشتمل على (نصوص، صور، صوت، فيديو).
- إرسال رسالة إلى مستخدم شبكة أخرى خارج الإنترنت.

وغيرها من الخدمات المعقدة التي يتم تنفيذها الآن بواسطة البريد الإلكتروني الذي يتميز بأنه سريع (عادة) وغير مكلف، وتستطيع الحاسبات الآن أن تنقل رسائل



كبيرة أو صغيرة عبر الشبكات في اللحظة نفسها باستخدام البريد الإلكتروني، وهذا يستلزم بالضرورة امتلاك صندوق بريد Mail Box وهو جزء من الوحدة التخزينية الخاصة بالحاسب، ويتم فيها حفظ جميع الرسائل التي تصل إلى الحاسب حتى يجد المستخدم وقتًا لقراءتها، ولا بد أن يملك الحاسب - طبعًا - برنامج البريد الإلكتروني، الذي يقوم بتخزين الرسائل آليًا في صندوق المستخدم البريدي، وصاحب هذا الصندوق هو الوحيد الذي يستطيع أن يمحو الرسائل التي تم استلامها وقراءتها. وكل مستخدم له عنوان وحيد لصندوقه البريدي لا يمكن أن يتشابه مع عنوان آخر، لكي يتميز كل مستخدم بالخصوصية، كما أن إرسال رسالة إلى مستخدم آخر يستلزم بالطبع معرفة عنوانه البريدي، ولإتمام عملية البريد الإلكتروني يجب في البداية تشغيل البرنامج الخاص بالبريد الإلكتروني، ثم كتابة الرسالة، وسوف يقوم البرنامج بإرسالها عبر الإنترنت إلى العنوان المذكور داخل الرسالة.

ومعظم الحاسبات تعطي إشارة للمستخدم بوجود رسالة جديدة تم استلامها، وتختلف هذه الإشارات، فبعضها يكون إشارة كتابية تظهر على الحاسب، أو إشارة صوتية، أو إشارة مسجلة على الحاسب تبلغ باستلام رسالة جديدة وبعض الحاسبات تنتظر حتى ينتهي المستخدم من عمله الخاص داخل التطبيق الذي يعمل داخله، وبعدها تعطي له إشارة بوصول الرسالة، ولكن في جميع الأحوال يفضل المستخدم أن يفحص بنفسه صندوقه البريدي.

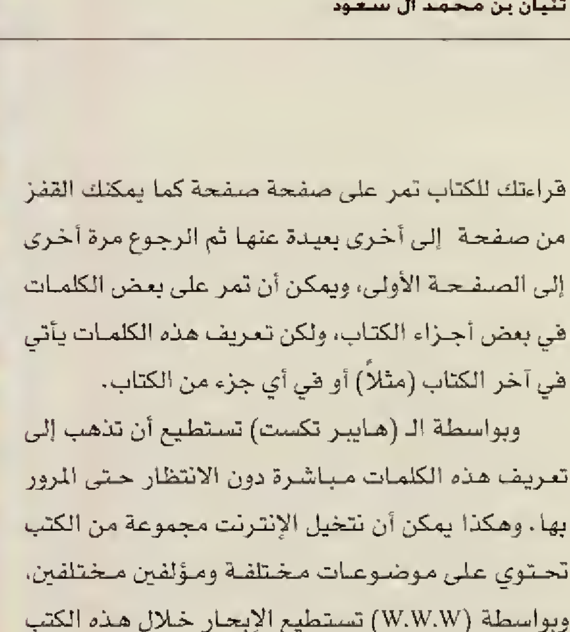
كما أن عملية إرسال رسالة بريد لمستخدم إنترنت آخر تمر بثلاث خطوات هي:

- تحديد عنوان الشخص الذي يرغب في إرسال رسالة له.
- كتابة الرسالة الفعلية.
- إرسال الرسالة.

الصفحة الإعلامية العالمية World Wide Web

إذا تخيلنا أن الإنترنت مجموعة من الحاسبات المتصلة معًا وهذه الحاسبات تحمل معلومات من مختلف التخصصات، وتحمل أيضًا برامج يستطيع أي شخص تحميلها، وأن بها أيضًا برامج مهيمنة على المعلومات بحيث تستطيع عمل بحث عن موضوع معين ويمكن حصره في عدد معين من الحاسبات في دول مختلفة..

إذا تخيلنا ذلك فإن (W.W.W) هي كل هذه الأشياء موصلة معًا بحيث تستطيع أن تذهب من جزء إلى آخر وهكذا .. وتعتمد (W.W.W) أساسًا على ما يسمى بـ (هايبر تكست HYPER TEXT)، وهي طريقة لإدارة المعلومات، ويمكن تمثيلها بكتاب يحتوي على صفحات، والصفحات تحتوي على مقطوعات وكلمات، وعند



قراءتك للكتاب تمر على صفحة صفحة كما يمكنك القفز من صفحة إلى أخرى بعيدة عنها ثم الرجوع مرة أخرى إلى الصفحة الأولى، ويمكن أن تمر على بعض الكلمات في بعض أجزاء الكتاب، ولكن تعريف هذه الكلمات يأتي في آخر الكتاب (مثلاً) أو في أي جزء من الكتاب.

وبواسطة الـ (هايبر تكست) تستطيع أن تذهب إلى تعريف هذه الكلمات مباشرة دون الانتظار حتى المرور بها. وهكذا يمكن أن نتخيل الإنترنت مجموعة من الكتب تحتوي على موضوعات مختلفة ومؤلفين مختلفين، وبواسطة (W.W.W) تستطيع الإبحار خلال هذه الكتب بالاعتماد على الهايبر تكست.

الصفحة الإعلامية Web

يمكن أن تكون مجموعة كثيرة من الصفحات التي تستطيع أن تبحر خلالها. وهذه الصفحات متصلة معًا بحيث يمكن الانتقال من صفحة إلى أخرى بعد الانتهاء من كل صفحة. بواسطة التأشير على كلمات أو سطور معينة داخل الصفحة، يمكن الانتقال مباشرة إلى الصفحة، التي تحوي الموضوع الخاص بهذه الكلمة، وكل شخص على الإنترنت يستطيع أن يضع الصفحة الخاصة به أو الويب Web الخاص به، وهذه الصفحة قد تحوي نصوصًا وصورًا، ويمكن أن تحوي أيضًا أصواتًا وبعض لقطات الفيديو، وتسمى هذه الصفحة أو الويب بالصفحة التعريفية Home Page.

وهذه الصفحة الإعلامية الموجودة على شبكة الإنترنت هي دليل (كتالوج) أو مؤلف تعريفي لشركة أو لمنتج أو لمكان معين مثل وكالة أو مؤسسة أو جامعة، وتستطيع أي جهة وضع صفحة تعريفية خاصة بها ويمكن لأي شخص في أي مكان في العالم أن يصمم الصفحة الإعلامية الخاصة به، ويضعها على أي حاسب في أي جهة من العالم، ولن يؤثر ذلك في طريقة



اهتمام إعلامي واسع بعالم الإنترنت وقضاياه

استرجاع هذه الصفحة.

وتوجد عدة شركات أو جهات تقوم بخدمة تصميم الصفحات الإعلامية وتأجير جزء من الوحدة التخزينية الخاصة بها لوضع هذه الصفحات الإعلامية، وذلك بمقابل مادي سنوي أو شهري.

ولكل صفحة إعلامية عنوان خاص بها، ويمكن الوصول إليها مباشرة عبر الإنترنت في حال معرفة العنوان، وفي حال عدم معرفته يتم استخدام الإمكانات البحثية في شبكة الإنترنت.

لا شك أن الخدمات المعلوماتية قد أحدثت تحولات جذرية في المجتمعات المتقدمة، وما زالت آثارها تزحف على المجتمعات النامية بسرعة أقل، وحسبنا أن نتأمل في هذه التحولات حتى ندرك أن معالم حياتنا الحالية قطعًا ستشهد تغيرًا شاملاً في الأجيال القادمة، وسوف تزداد مجالات هذه التحولات؛ لأن التقدم مستمر بخطا

سريعة، فشبكة الإنترنت توفر حاليًا نشر ١٥٠٠ صحيفة و٣٧٠٠ نشرة دورية و٥٠ ألف كتاب، بما يعني أنها بذرة للصحافة الإلكترونية وإيذان بانتهاء عرش (الورق والطباعة والأحبار).

ومن المتوقع أنه بعد أعوام سيحدث تغير في ركائز التعليم بالتلقين في المدارس والجامعات؛ لأن الطالب أيضًا يمكنه أن يتلقى العلم وهو في منزله عن بعد بالضغط على بعض الأزرار، ويمكن أن يتبادل المواد مع متخصصين ويطرح ما يشاء من أسئلة ليجد الإجابات تظهر أمامه على الشاشة، وهذا ما يطلق عليه (التعليم التفاعلي) (٧).

وفي المستقبل القريب، سوف يستطيع الإنسان البحث عن كتاب داخل المكتبات العالمية أوالمحلية - عبر الإنترنت - واستعارته وقراءته، أو أن يشتري شريطًا موسيقيًا أو فيلمًا سينمائيًا من داخل الشبكة بمجرد إعطاء رقم كارت الصرف الخاص به، بل ويستطيع الإنسان الذهاب إلى رحلات سياحية إلى بلاد مختلفة ويزور أهم المعالم التاريخية أو الأثرية فيها، كل ذلك دون أن يتحرك من على مكتبه ودون تحمل أي قدر من المتاعب أو مشقة السفر، ودون تكبد التكاليف الباهظة للقيام بهذه الرحلات السياحية.

وليس من باب المغالاة القول إن (العلاج الطبي) عن بعد قد بدأ، فقد أصبح المريض يستشير طبيبه على الحاسب، ويشرح له الأعراض التي يشكو منها ليرشده إلى الدواء الذي يستخدمه، وقد تطورت هذه الخدمة حتى أصبحت هناك عمليات جراحية يمكن أن تتم عن بعد، فبعض المستشارين الجراحين يمكن أن يوجهوا رهطًا من الأطباء في قارة أخرى إلى خطوات إجراء جراحة لمريض.

وقريبًا سيأتي اليوم الذي يجد فيه الزعماء والسياسيون أن خير وسيلة لعقد الاتفاقات الدولية أو المعاهدات يمكن أن تتم عبر الشبكة بدلاً من عقد المؤتمرات والتحلق حول الموائد والاختلاف عليها لكونها مستطيلة أو مستديرة !!.

وقريبًا لن يحتاج الإنسان إلى التعامل مع المحلات التجارية لشراء مستلزماته الشخصية؛ لأن عملية البيع والشراء سوف تتم عبر الإنترنت في سرية تامة دون حصول أي شخص على رقم كارت الصرف الخاص بشخص آخر.

ومع كل هذا؛ فإن التصورات لمستقبل الإنترنت كثيرة لا يمكن حصرها، لأن خدمات الإنترنت دائمًا في تقدم، وذلك لاعتماد الكثير من المؤسسات العالمية ورجال الأعمال على هذه الشبكة مصدرًا للمعلومات.

الترويج السياحي من مزايا الإنترنت





لقد تحدثت آنفًا عن مفهوم شبكة الإنترنت ومزاياها والخدمات التي يمكن أن تقدمها للبشرية. ولكنني تعلمت أن الأمانة العلمية للباحث تحتم عليه أن يذكر الشيء بمزاياه وعيوبه مجردًا من الهوى والتحيز.

فعلى الرغم من مزايا الإنترنت المتعددة، إلا أن استخدامها يترتب عليه عدد من التأثيرات السلبية من المجتمع، ويجب علينا أن ندرك ذلك تمامًا حتى لا نقع في هوة الانبهار بهذه التكنولوجيا الجديدة. ولا شك أن كل تكنولوجيا لها تأثيرات مرغوبة وغير مرغوبة، ولا تعد الإنترنت استثناءً من هذا، ولكن في بعض الأحيان تصبح التأثيرات غير المرغوبة للتكنولوجيا مدمرة ... لدرجة ربما تهدد بإلغاء فوائدها المنشودة. ويمكنني أن أوضح بعض مخاطر الإنترنت أو تأثيراته السلبية في المجتمع في عدة أمور:

المخاطر الاجتماعية والأخلاقية

على الرغم من أن ظاهرة تفجر المعلومات وتعدد خدمات الاتصال سمة من سمات المجتمعات الغربية المتقدمة، إلا أن طبيعة التطور ونقل التكنولوجيا سوف تفرض امتداد هذه الظاهرة إلى المجتمعات النامية مع ما قد تنطوي عليه من مخاطر تفتيت الاتصال Demossification وهذا ما سيؤدي بالتبعية إلى تضييق اهتمامات الأفراد ونقص الخبرات المشتركة التي يحققها الاتصال الجماهيري، وصعوبة التفاهم بين طبقات المجتمع نتيجة تقلص الوسائل التي تحقق الوحدة والاندماج بين الجماهير.

كما أن انتشار شبكة الإنترنت مع ما يصاحبها من كلفة باهظة قد يؤدي إلى توزيع المعلومات على نحو سيئ أو بطرائق غير عادلة، حيث تتاح المعلومات لمن يستطيع تحمل نفقاتها، وقد يؤدي ذلك إلى تقسيم المجتمع الواحد إلى طبقتين متمايزتين: الأولى تتسم بالثراء في المعلومات وتملك اتخاذ القرارات الصائبة، والثانية فقيرة في المعلومات وتابعة للطبقة الأولى وغير فعالة في تطوير المجتمع (٨).

ومنذ بداية عام ١٩٩٧م، توصل العلماء إلى تصنيع جهاز واحد يمكن توصيله اتصالاً مباشرًا مع الإنترنت لكي تتوحد فيه كل الإمكانات المنزلية لنقل صوت الهاتف، وصوت التلفاز، وأشرطة الفيديو، والكاميرا الخاصة بالفيديو بحيث تكون مبرمجة على الحاسب الشخصي. ولا شك أن هذا الجهاز سيحتل موقعًا مهمًا كبديل لما تنتجه الشركات الصناعية الكبرى من وسائل إغراء مختلفة لتوفير أنواع من الأجهزة تجمع بين بعض هذه الخدمات.

وهكذا؛ فإن شبكة الإنترنت أصبحت متشعبة الأطراف ويستعصي اخضاعها لسيطرة أحد، كما يصعب فرض أي قيود عليها، ولذلك يقف المسؤولون عاجزين أمام الممارسات السلبية لاستخدام الإنترنت لأغراض شريرة مثل إعلانات الدعارة، ونشر الصور الجنسية الفاضحة، ونقل التعليمات بين الإرهابيين، وانتهاك سرية المعلومات العسكرية، ولذلك يحاول العلماء وضع قيود فنية لمنع السطو والتسلل عبر الإنترنت !! (٩).

وقد كشفت الدراسات أن الاستخدام السلبي لشبكات المعلومات يزداد يومًا بعد يوم من جانب العناصر الهدامة للمجتمع، كشفت الجهات الأمنية في المجتمعات المستخدمة لشبكة الإنترنت رسائل مشفرة تتواصل بين الأشخاص الذين لهم علاقة بتهريب المخدرات والحث على التخريب والعنف من قبل المتطرفين، كما أن أعمال التجسس تعدّ من أخطر السلبيات لهذه الشبكة العالمية.

وأشارت دراسة حديثة . أجرتها الدكتورة نجوى عبدالسلام بقسم الإعلام بكلية الآداب بجامعة عين



التسلية والترفيه في مقدمة استخدامات الإنترنت

شمس حول دوافع استخدام الشباب المصري لشبكة الإنترنت. إلى أن نحو ٣٨ ٪ من الشباب المصري الذين يستخدمون الإنترنت تقل ساعات مشاهدتهم التلفاز ومطالعتهم الصحف والمجلات (١٠).

وأوضحت الدراسة تنوع استخدام الشباب للإنترنت، إذ تبين أن استخدامها بدافع الحصول على المعلومات كان بنسبة (٥٧,٥٪)، وأن من يستخدمونها بدافع التسلية والترفيه كانوا بنسبة (٤٢,٣٪)، وبدافع الفضول وحب الاطلاع على المستجدات العالمية بنسبة (٢٥,٥٪) ، وبدافع تجربة الجديد في مجال الاتصال بنسبة (٤,٥٪).

وأشارت الدراسة إلى أن هناك علاقة معنوية بين مستوى التعليم واستخدام الإنترنت بدافع التسلية والترفيه، فكلما زاد المستوى التعليمي قل استخدام الإنترنت للتسلية والترفيه، والعكس صحيح.

ونبهت الدراسة على ضرورة إجراء دراسات مستقبلية في مجال استخدام الإنترنت لدراسة آثارها في زيادة الفجوة المعرفية بين أفراد المجتمع، وفي التعرض لمختلف وسائل الاتصال، وفي أنواع المضامين التي يسعى الأفراد إلى الوصول إليها عبر الإنترنت مع التعرف إلى أثر استخدام الشباب لبرامج المحادثة، وإقامة صداقات تتخطى الحدود الجغرافية، وانعكاس ذلك على قيم المجتمع وعاداته، وعلى النواحي الدينية والأخلاقية لهؤلاء الشباب.



أدت ثورة الاتصالات الى تزايد انتشار العنف والجريمة

المخاطر العقائدية

تعد الصهيونية من أخطر أعداء الإسلام، وقد حرصت على محاربته بما تفرضه من قهر سياسي وفكري، وبكل ما تملكه من وسائل التكنولوجيا الحديثة؛ بل لقد تطاولت إسرائيل على القرآن الكريم فقامت بعدة محاولات لطبع نسخ من المصحف أسقطت منها بعض الألفاظ أو بعض الآيات أو تناولت بعض الآيات بالتحريف، وتحريف معاني القرآن والتشكيك في سلامة كتاب الله. ومن هذه المحاولات، ما قامت به إسرائيل للنيل من عقيدة الإسلام عام ١٩٩٨م، باستخدام شبكة الإنترنت، فقد قامت إحدى المنظمات المشبوهة من خلال الإنترنت بمحاولة لتشويه القرآن الكريم، وطالبت

هذه المنظمة زوار موقعها على الإنترنت بتأليف سور تحاكي السور القرآنية الكريمة، في محاولة منها لإقناع جمهور الشبكة العالمية بأن القرآن ليس معجزة إلهية من عند الله؛ بل هو من وضع البشر. وبعد كم كبير من الاحتجاجات الهائلة من قبل المسلمين المستخدمين للشبكة العالمية على استضافة الشبكة لهذه المنظمة مع ما تبثه من أفكار هدامة وإساءتها إلى الإسلام. أعلنت شركة (أمريكا أون لاين) America On Line التي تدير الإنترنت رفضها بث أفكار هذه المنظمة.

وعلى الرغم مما تثيره هذه المحاولات السيئة البذيئة من غضب واستياء في نفوس المسلمين .. إلا أنها تمثل إنذارًا مباشرًا ينبهنا على أننا بحاجة إلى إعداد الدعاة المسلمين المؤهلين للتعامل مع تقنيات العصر الحديث، والذين يتمتعون بفهم جيد للإسلام، ويتحدثون لغة أجنبية بطلاقة، ويستطيعون استخدام تكنولوجيا الحاسبات الرقمية، ويمكن لهم أن ينفذوا إلى مثل هذه المواقع على الشبكة العالمية، ويعدوا الرد المناسب على ما تبثه من أكاذيب ودعاوى مضللة تسيء إلى الإسلام والمسلمين، وإظهار الصورة السمحة للإسلام والمسلمين، والرد على الدعاوى الكيدية التي يروجها الإعلام الأمريكي والإسرائيلي ضد المسلمين وإلصاق تهمة الإرهاب بهم خصوصًا بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر عام ٢٠٠١م، في الولايات المتحدة الأمريكية.

ومن أواخر عام ١٩٩٨م .. تكررت محاولة تحريف القرآن الكريم على شبكة الإنترنت، ولكن في موقع جديد يبث نصوصًا تشبه سور القرآن الكريم من حيث الشكل والمحاكاة اللغوية من خلال أربع سور مزعومة أطلقت عليها أسماء (المسلمون، الإيمان، الوصايا، التجسيد)، وتتهم هذه النصوص المحرفة المسلمين بأنهم في ضلال مبين، وتدعي على لسان الرسول صلى الله عليه وسلم أقوالاً مكذوبة (١١).

ولا شك أن الرد الحقيقي على هذا العبث هو تقديم القرآن الكريم على الإنترنت؛ لأن هذا التحريف المتعمد يتنافى مع كل الأعراف والمواثيق الدولية التي تؤكد ضرورة احترام المعتقدات وعدم المساس بالمقدسات الدينية (١٢).

وانطلاقًا من هذا؛ فإنه يجب اتباع إستراتيجية ثابتة تجاه المحاولات المتتالية لتحريف القرآن الكريم تتضمن الرد المباشر على الافتراءات التي تروج من حين إلى آخر ضد الإسلام ونبيه - عليه الصلاة والسلام - عبر الشبكة الدولية، واتخاذ الإجراءات القانونية لمقاضاة كل من يبث أي افتراءات أو معلومات مغلوطة عن الإسلام على الإنترنت، واستخدام هذه الشبكة العالمية في إتاحة المعلومات الصحيحة لكل من يرغب أن يعرف شيئًا عن الإسلام.

المخاطر الصحية

يؤكد الدكتور تورمان سارنوريس - رئيس الهيئة العالمية للطب النفسي - أن الثورة التكنولوجية الحديثة أفرزت أمراضًا نفسية لم تكن معروفة من قبل مثل إدمان الكمبيوتر، والإنترنت، وهوس الهاتف المحمول، والفيديو. وهذه الأمراض لا تقل خطورة عن إدمان المخدرات في إثارة السلبية على السلوك العام، وأن التقدم التكنولوجي وثورة الاتصالات التي يشهدها العالم حاليًا سيكونان وبالاً على الإنسانية إذا أسيء استخدامهما لدورهما في انتشار الجريمة والعنف والفوضى واضطراب السلوك الإنساني.

وأضاف دكتور تورمان: أن الأمراض النفسية والعصبية والعضوية سوف تتزايد بشكل عام في السنوات القادمة، ولا سيما الاكتئاب والقلق والاضطرابات العصبية، ويرجع ذلك إلى ظهور الكمبيوتر والإنترنت والفيديو والهاتف المحمول، ودورها



العزلة والانطواء والاكتئاب من نتائج إدمان الإنترنت

في عـزلة الإنسـان وانطوائه وإنهاء عـلاقـاته وترابطه الأسـري، فـقـد جـعلتـه ينظر إلى ذاته دون الاهتـمـام بالآخـرين مما أحـدث جـمـودًا عـاطفـيًا نتج منه ظهـور الاكتئاب والقلق والخوف وعدم الرضا، كذلك أكدت آراء علماء النفس أن استخدام الإنترنت قد يتحول إلى إدمان في حالة الإكثار من استخدامه دون وعي.

وبشكل عـام فـقـد كـشـفـت دراسـة بريطانية أجـريت في أواخر عام ١٩٩٨م، عن تزايد مطّرد في عدد السيدات اللائي يستخدمن الشبكة إلى حد الإدمان، وبشكل يفوق استخدامها الذي كان مقصورًا على المراهقين والبالغين من الرجال في العالم (١٢).

وعلى الرغم من الخـدمـات الهـائلة التي يمكن أن

تقدمها لنا شبكة الإنترنت إلا أنه - يا للأسف الشديد - يمكن القول: إن جرائم الإنترنت أصبحت كثيرة ومتنوعة، ومن الواضح أن هذه الجرائم لها صفة العمومية أو العالمية خصوصًا ونحن نعيش في عصر العولمة Globalization، ومن الواضح أيضًا أن القوانين العالمية لا تستطيع التعامل بفاعلية مع هذه الجرائم.

ولكن يجب على الدول العربية والإسلامية أن توحد الجهود وتضع إستراتيجية لمواجهة المنظمات التي تحاول تشويه الصورة السمحة للإسلام، والرد على الدعاوى التي تحاول هذه المنظمات بثها، وذلك من خلال التعريف الصحيح بالإسلام، وشرح تعاليمه، وتقديم تفسير القرآن الكريم وترجمة معانيه، بالإضافة إلى الأحاديث النبوية.

وكذلك إدخال تكنولوجيا مكافحة الجريمة، والعمل على تأمين شبكات المعلومات العربية حتى لا يدخل إليها المتسللون من لصوص المعلومات، واستخدام برامج حظر التجوال في المواقع الإباحية على شبكة الإنترنت بما يحمي أطفال العرب والمسلمين من التعرض لهذا الانحلال المقيت.

وختامًا: أود أن أذكر أن من أهم الصعوبات التي واجهتني عند إعداد هذا البحث ندرة المراجع التي تتحدث عن تأثير شبكة الإنترنت في المجتمع الشرقي؛ وذلك لأن معظم المراجع في هذا الموضوع أصلها مترجم عن مراجع أجنبية، وهي تتحدث عن الإنترنت كناحية فنية وعن مدى قدرتها على خدمة المجتمعات الغربية.

ولا شك أن ما يخدم المجتمعات الغربية قد لا يخدم - بل قد يسيء - للمجتمعات الإسلامية والعربية.

وقد أوجزت في هذا البحث بعض الآثار السلبية للإنترنت في مجتمعنا، ولكن الأمر لا يجب أن يقف عند ذلك، لذا فإنني أدعو كل باحث عربي مسلم، إلى البحث في هذا المجال الجديد بغرض وضع إستراتيجية للتغلب على الآثار السلبية لهذه الشبكة مع الاستفادة من كل الإمكانات الهائلة التي تقدمها.

المراجع

١. أحمد ريان، خدمات الإنترنت، ط١،الإمارات العربية المتحدة، المجمع الثقافي، أبوظبي ١٩٩٧م.
٢. عبدالفتاح مراد، كيف تستخدم شبكة الإنترنت في البحث العلمي وإعداد الرسائل والأبحاث العلمية، ط١، القاهرة، ص ٢٦١ .
٣. أحمد الريان، خدمات الإنترنت، مرجع سابق.
٤. شريف درويش اللبان، تكنولوجيا الاتصال - المخاطر والتحديات والتأثيرات الاجتماعية - ط١، الدار المصرية اللبنانية، ٢٠٠٠م.
٥. بيل جيتس، المعلوماتية بعد الإنترنت، ترجمة عبدالسلام رضوان، الكويت، مطابع الرسالة، ١٩٩٨م.
٦. فاروق سيد حسني: الإنترنت - الشبكة العالمية للمعلومات، ط١، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٨م.
٧. سعد شعبان، الفضاء عصرنا، ط١، القاهرة، الهيئة العامة للكتاب، ٢٠٠٠م، ص١٤٩.
٨. حسن عماد مكاوي، تكنولوجيا الاتصال الحديثة في عصر المعلومات، ط ١، المواد المصرية اللبنانية، ١٩٩٣م.
٩. شريف درويش اللبان، تكنولوجيا الاتصال - المخاطر والتحديات والتأثيرات الاجتماعية، مرجع سابق.
١٠. عبدالفتاح مراد، كيف تستخدم شبكة الإنترنت في البحث العلمي وإعداد الرسائل والأبحاث العلمية، مرجع سابق.
١١. محمد يونس مواجهة جديدة لمحاولات تحريف القرآن الكريم على الإنترنت، الأهرام، ١٤ نوفمبر ١٩٩٨م.
١٢. عبدالحكيم عقيفي، غسيل المخ وتحطيم العقائد، ط١، القاهرة، الزهراء للإعلام العربي، ١٩٩٣م.
١٣. عواطف عبد الرحمن، الإعلام العربي وقضايا العولمة، ط١، القاهرة،العربي للنشر والتوزيع، ١٩٩٩م.





الموت القلبي المفاجئ: تش

...ـبح العصر

نزار الناصر
حلب - سورية

في سبق علمي طبي حدد العلماء في مؤتمرهم العالمي الأخير لأمراض القلب خمسة مسارات لاقتفاء أثر الموت القلبي المفاجئ خاصة عند صغار السن والشباب وقبل ٥٠ سنة وفي كيفية التصدي له قبل حدوثه. إذ إنه وفي لحظة غير متوقعة يتوقف القلب النابض بالحياة ليعلن النهاية المأساوية لصاحبه مخلفًا وراءه شبحًا من الذهول والهلع عند أهل المصاب وأقاربه والمحيطين به.

هذا الحادث المروّع هو المسؤول الأول عن الوفيات القلبية المفاجئة التي تحدث خلال أول ٢٠ دقيقة أو خلال ساعة أو ٢٤ ساعة من بدء الأعراض، وفي بعض الأحيان سببه التأخر في مراجعة الطبيب أو المشفى، ويكمن ذلك في الفترة الزمنية التي تنقضي بين بدء أعراض الألم الصدري وقرار المريض لاستدعاء الطبيب، ومعظم حالات توقف القلب يسبقها عادة انسداد خثري مفاجئ في شريان أو عدة شرايين مغذية للقلب، مما يؤدي ذلك إلى نقص الوارد من الأوكسجين بشكل قوي ومفاجئ، ومن ثم حدوث أذية وتنخر في نسيج العضلة القلبية التي تفقد قدرتها على التقلص وتنخفض إمكانية ضخ القلب للدم مع تطور حالة اضطراب خطير في نظم القلب من تسارع أو رجفان بطيني أو تباطؤ شديد في ضربات القلب مما ينتج من ذلك توقف القلب والوفاة.

أو تكون الإصابة بالموت المفاجئ هي الظاهرة الأولى لديهم دون سوابق تصلب شرايين أو أي إصابة قلبية أخرى، ويختلف من مريض إلى آخر.

وتشمل عدة أسباب أهمها:

أسباب جينية ولادية وتتمثل بخمسة مسارات:

- تنبيه كهربائي للقلب يحدث بشكل غير طبيعي قبل التنبيه لناظم الخطا القلبي (العقدة الجيبية Preexcitation)، ويمكن موازنة ذلك بدارة كهربائية قصيرة في القلب.
- تدنٍّ أو خلل تنسج في الناظم القلبي للعضلة القلبية.
- متلازمة تطاول مسافة QT في تخطيط القلب الكهربائي نتيجة خلل في الأقنية (Canaux Ioniqus) الأيونية الشاردية.
- متلازمة Brugada خلل جيني آخر يحدث أيضًا نتيجة اضطراب أو خلل في الأقنية الشاردية متمثلاً بحصار غصن أيمن وارتفاع موجة st من v1 إلى v3 في تخطيط القلب الكهربائي.
- اعتلال العضلة القلبية الانسدادي الذي يحدث نتيجة انسداد عضلي داخل البطين.

أسباب أخرى للموت المفاجئ

- تكوّن خثرة الصفيحات.
- الزيادات المفاجئة من متطلبات عضلة القلب للأوكسجين نتيجة كمية الأدرينالين الزائدة إلى درجة هائلة في الدم تعود إلى شيء من الأذى على صعيد الأوعية الشعرية التي تبدأ حينذاك في تسريب الدم إلى الأنسجة المحيطة بها مما يؤدي إلى انخفاض سريع في كمية الدم في الجسم الذي يصاب بصدمة صحية يسيء بشكل واضح إلى عمل القلب والجهاز العصبي لديه متسببًا في



الوراثة تؤدي دوراً كبيراً في الموت المفاجىء

توقف القلب والوفاة.

- تغيرّ التحكم العصبي المستقل للجملة الناقلة في القلب سببه استثارة الجهاز الباراسمبتاوي (نظير الودي) مما يؤدي في تباطؤ شديد في عمل القلب، وإلى انخفاض مفاجئ في حرارة الجسم، ومن ثم إلى الموت.
- تشنج الشرايين الإكليلية المغذية للقلب.
- تشوهات خلقية وولادية في شرايين القلب الإكليلية، تظهر أعراضها بشكل مفاجئ عند صغار السن أو الشباب أو عند من أعمارهم أقل من ٤٠ سنة نتيجة الشدة النفسية أو على أثر تمارين رياضية مجهدة، وخصوصًا عند بعض الرياضيين.
- البحث عن سوابق إغماء أو فقدان وعي وخصوصًا بعد الجهد قد يكون سببًا للموت القلبي المفاجئ وبدرجة أقل بكثير شبه الإغماء والتسارع في القلب.
- عوامل مساعدة أخرى مثل السكري، عامل النبض، الزيادة في الحموض الدهنية الحرة في الدم، تقدّم السن، التدخين، ارتفاع ضغط الدم، فرط كولسترول الدم الضار LDL، التوتر والانفعال الدائمان، الحياة الخاملة وقلة الحركة، موانع الحمل عن طريق الفم.
- حدوث بطء في القلب نتيجة لاعتلال داخلي في العقدة الجيبية (نقص التلقائية في العقدة الجيبية نفسها) Automaticity بسبب عطل في جهاز النقل أو بسبب استجابة الأنسجة الطبيعية لعوامل خارجية: مثل أدوية حاصرات بيتا، حاصرات قنوات الكالسيوم، ديكوكسين، بعض أدوية ارتفاع ضغط الدم وبعض أدوية اضطرابات النظم القلبية، اضطرابات الشوارد في الدم، وهبوط الحرارة وقصور الدرق - ارتفاع الضغط داخل القحف - فرط تنبيه المبهم.

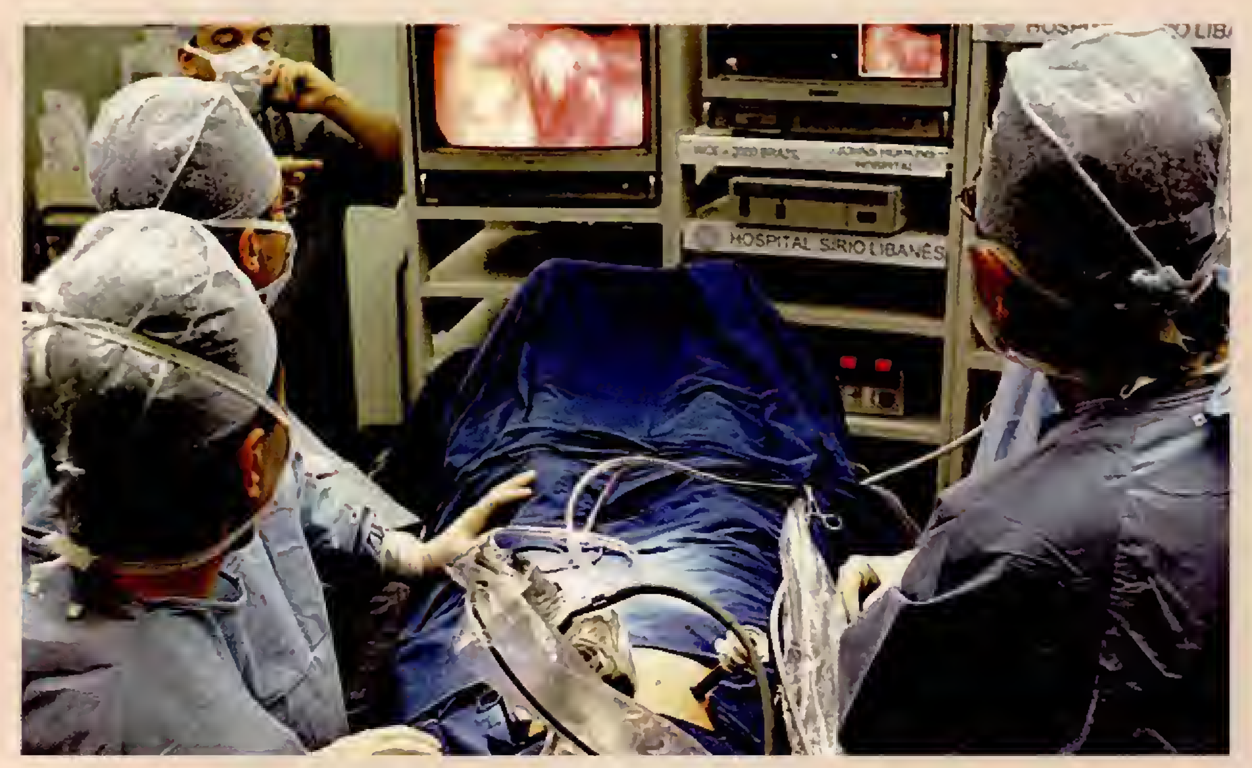
الوسائل التشخيصية التي تساعد على اقتفاء أثر الموت المفاجئ قبل حدوثه

في أغلب الأحيان كل هذه الاضطرابات قد تكون صامتة واكتشافها يكون في أثناء حدوث الأزمة القلبية - ويمكن أن نكتشف هذه الاضطرابات القلبية قبل أن تحدث الوفاة بزمن طويل أو قصير؛ وذلك بعمل تخطيط قلب كهربائي لهم، ولكن يا للأسف لم يسبق لأغلبهم أن عرّضوا أنفسهم للفحص الطبي، وكان من الممكن إنقاذ حياة عدد كبير منهم.

أما أهم الوسائل التشخيصية فهي تخطيط القلب الكهربائي قبل أو بعد الجهد ECG هوبلر (أي المستمر ٢٤ ساعة) - إيكوغرافي قلبي - التصوير الومضائي بالنظائر المشعّة وخصوصًا في أثناء تخطيط قلب بعد الجهد - التصوير الطبقي المحوري للقلب - التصوير بالرنين المغناطيسي - القسطرة القلبية.

كيف نتقي خطر الموت القلبي المفاجئ

هناك مرضى مهيؤون للإصابة، إذ توجد عائلات من جيل إلى آخر يوجد فيها أفراد ماتوا فجائيًا وخصوصًا



هناك وسائل كثيرة لإنقاذ المريض خلال أربع دقائق من توقف القلب

عند صغيري السن والشباب أقل من ٤٠ سنة، لذا يجب فحص بعض أفراد هذه العائلات من أطفال وإخوة ووضع سياسة وقائية عندهم؛ وذلك بعمل تخطيط قلب كهربائي لكل واحد منهم وعلى الأقل قبل كل عملية جراحية حتى ولو كانت بسيطة، أو بمناسبة تقرير طبي (لياقة بدنية) قبل الزواج أو قبل التوظيف أو قبل القيام بنشاط رياضي منتظم. وبالإمكان بعد تشخيص أسباب الخلل أوالخطورة توجيه المريض إلى اختصاصي خبير بالفحص الكهربائي الفيزيولوجي Electrophysiologiste الذي يسعى إلى استئصال الدارة الكهربائية القصيرة غير الطبيعية بواسطة مسبار يوضع داخل الوريد الفخذي، أما في حالة متلازمة Brugada وتطاول مسافة QT الولادية، وكذلك في حالة القصور في مضخة القلب بسبب اعتلال العضلة القلبية، وخصوصًا عندما يكون تقلّص وضخ البطين أقل من ٣٠٪، وكذلك عند الذين لديهم سوابق تسارع بطيني أو رجفان بطيني والذين تخطوا أزمتهم القلبية بسلام.

عند هؤلاء جميعًا نعمد إلى استخدام طريقة حديثة ألا وهي زرع صادم مكانيكي يعمل أتوماتيكيًا داخل الصدر.

وفي حالات التباطؤ الشديد في ضربات القلب (حصار أذيني بطيني من الدرجة الثالثة) نعمد إلى زرع ناظم خطي قلبي على شكل بطارية تحت الجلد أو داخل الصدر.

ويمكن في عدة حالات إنقاذ المريض خلال أربع دقائق من توقف القلب؛ وذلك بإجراء التنفس الاصطناعي، وتدليك القلب خارجيًا، أو صدم القلب بواسطة صادم كهربائي خارجي.

وقد يحتاج الأمر إلى عمل قسطرة قلبية ونفخ بالون من دون زرع شبكة داخل الشريان المتضيق أو معها أو إلى إجراء عمل جراحي على قلب نابض أو بقلب مفتوح (مجازة إكليلية) لإبعاد خطر شبح الموت القلبي المفاجئ.





الأبعاد الإعلامي

ـــة لغـزوة بـــدر

عبدالمؤمن عبدالله القين

جدة ـ السعودية

نشعر بالحنين والشوق كلما شاهدت أعيننا أسماء الأماكن الخالدة في تاريخ الإسلام. وذلك في الصورة الفوتوغرافية أو المتحركة (سينما ـ تلفاز) أو في الكتب والصحف والمجلات. فما بالنا لو رأينا هذه الأماكن في الطبيعة ووقفنا على مواقعها في مختلف أرجاء العالم الإسلامي؟ ثم ما بال الأثر الذي تخلفه المعاينة لتلك الأماكن التي وردت أسماؤها في القرآن الكريم فأصبحت ألفاظًا تعبدية كبقية ألفاظه يتعبد بها المسلمون في تلاوة الذكر الحكيم؟

فمن تلك الأسماء أسماء مدن ومواقع حفظت بوجودها تاريخ الأحداث التي جرت فيها فضلاً عن أسماء الأنبياء والرسل وبعض صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم «كزيد» رضي الله عنه وكذلك أسماء بعض الطغاة «فرعون» .. إلخ، مما لا يسمح المجال لذكره هنا، وإنما الذي يهدف إليه هذا المقال بالذات أسماء «بدر» المدينة و«العدوة الدنيا» و«العدوة القصوى» الموقع.

قالت تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ﴾ [آل عمران:١٢٣]. أي في العدد والعدة، وقال سبحانه وتعالى: ﴿إِذْ أَنْتُم بِالْعُدْوَةِ الدُّنْيَا وَهُم بِالعدوةِ القُصْوَى﴾[الأنفال: ٤٢]. وذلك ﴿يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ﴾ [الأنفال: ٤١] وهما جيش محمد صلى الله عليه وسلم وجيش قريش بقيادة فرعون هذه الأمة «أبوجهل».

إن تحليل الصورة الطبيعية ـ إذا جاز هذا التعبير. وهي تلك التي يراها المرء بعينه ويقف على ما تضم من آثار متأملاً بعض قراءته عنها، قمين بأن يزوّده بمعلومات مفيدة وحقائق علمية تثير الفضول عنده بحيث يصل فيها بين الماضي والحاضر لأخذ العبرة والدرس من حقائق العلم التي يحضّ عليها الدين ولا تتعارض معه، قال تعالى: ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ﴾ [العنكبوت: ٢٠]، كما ستأتي الإشارة إليه.

إن نظرة تأملية في المعنى اللغوى تفيدنا في تعرف المدلول الجغرافي أو الجيولوجي لهذه الكلمات، ومن ثم معرفة حقائق علمية عن الموقع الذي دارت فيه معركة الفصل بين الحق والباطل، وذلك على النحو الآتي:

ـ العدوة الدنيا: بضم العين العُدوة: هي شاطئ الوادي وجانبه وحافته أو ضفته (١)، وهي المكان المرتفع، أوصلابة من شاطئ الوادي. (الدنيا) أي مما يلي المدينة .. والجمع عِدًى وعُدًى وعدوات (٢) .. ويتكون الجزء المرتفع من هذه المنطقة من كثيب رملي أشار إليه الدكتور محمد عبده يماني في كتابه (بدر الكبرى ـ المدينة والغزوة) باسم «كثيب الحنان» ووصفه بأنه يتكون من رمال دقيقة متماسكة على هيئة كثيب رملي (٣) ـ وذلك عندما تناول التحليل طبوغرافية مدينة بدر وجيولوجيتها ـ ويتميز باللّون الأبيض.



أما صاحب اللسان فيقول: إن الحنّان، بكسر الحاء وفتح النون مع التشديد، هو جمع حنّاء، وهو النبات الشديد الخضرة (٤)، وهنا يدور في الذهن سؤالان: الأول عن العمر الزمني لهذا الكثيب، وهل هناك فرق بين الرمال المتماسكة والرمال المتحركة بالنسبة إلى تعرض كل منها للرياح؟، وإذا كان الطفح البركاني الذي تتكون منه منطقة بدر مكونًا من الحجر الرملي الناعم وبعض الرخام (٥)فهل يعني ذلك أن أثر الرياح لا يكاد يذكر في تغيير شكل الكثيب من فترة إلى أخرى منذ أكثر من ١٤٢٤عامًا؟

أما السؤال الثاني فيتعلق بكسر الحاء في كلمة الحِنّان وهي جمع حناء، فهل يعني ذلك أن سبب التسمية يعود إلى اشتهار المنطقة بزراعة أشجار الحناء؟ ويمكن لخبراء الزراعة الإجابة عن هذا السؤال.

وما يمكن أن نذهب إليه هو ما أورده عاتق بن غيث البلادي، إذ يشير إلى أن الحنّان هو «رمل يشرف على قرية بدر من الشمال، وتسميه العامة قوز علي» (٦)، وفي حديثه عن الدّبّة قال: إن الحنّان «كثيب عظيم كالجبل» معتمدًا في ذلك على ما جاء في سيرة ابن إسحاق (٧).

ومهما يكن من الأمر فإن الدلالة المهمة في نزول أول جيش إسلامي منظم بقيادة رسول الله صلى الله عليه وسلم في العدوة الدنيا إلى جانب هذا الكثيب ذي الاسم الجميل واللون الأبيض، قائمة على التفاؤل، فقد تفادى صلى الله عليه وسلم النزول بوادي الصفراء الذي يضم جبلي مَسْلِح ومُخْرِئ ويسكنه بنو النار وبنو حرّاق، وقطع عليه الصلاة والسلام وادي ذفران ثم سار إلى الدّبّة فمر على ثنايا الأصافر ثم نزل الحنّان ثم نزل قريبًا من بدر (٨). ويشير البلادي إلى احتمال خطة حربية خلف هذا التحرك (٩)، بالإضافة إلى تفادي المرور بالأماكن ذات الأسماء القبيحة.

وما يضفي على هذا الكثيب معنى ذا طبيعة إنسانية هو ما نوه به الدكتور محمد عبده يماني، من خبر هذا الكثيب عندما تتحرك رماله فيصدر منه صوت يشبه صوت الحنين (١٠)، ففي هذه الحالة يمكن القول: إن الحنان بفتح الحاء وليس بكسرها.

- العدوة القصوى: أي حافة الوادي وضفته، والقصوى الأقرب إلى مكة وتتكون من كثيب العقنقل المنبسط أمام جبل العقنقل أو جبل كراش، ومعنى العقن - كما يقول الأزهري - إنه ليس له مشتقات مستعملة إلا أن يكون العقيان فعيالاً منه وهو الذهب، ويجوز أن يكون فعلانًا من عقى يعقي (١١) ولا يعدّ البلادي العقنقل كثيبًا، إنما يقول: إنه أكمة أو حشمة ما زالت ماثلة، والوصف ينطبق عليها (١٢).

وبعد هذا التحليل اللغوي - الجغرافي يجدر بنا أن نتوقف عند إشارة المقدم المتقاعد عاتق البلادي حول احتمال وجود خطة حربية خلف تحرك النبي صلى الله عليه وسلم بجيش المسلمين حتى نزل قريبًا من بدر، كما ذكرنا آنفًا، فنجد هذا الاحتمال حقيقة، وننوه بخطة الرسول صلى الله عليه وسلم العسكرية والتفافه عند

وصوله إلى بدر حسب ما يشرحها اللواء الركن المتقاعد الدكتور أنور بن ماجد عشقي كما في التعليق الآتي:

خطة الرسول صلى الله عليه وسلم العسكرية والتفافه عند وصوله إلى بدر

إذا تأملنا في غزوات الرسول صلى الله عليه وسلم، وجدنا أولاها غزوة بدر الكبرى، وثانيتها غزوة أحد. كانت بدر يحكمها تقدير الموقف الذهني، بينما غزوة أحد كانت محكومة بالتخطيط الإستراتيجي، فتقدير الموقف الذهني يدل على حكمة القائد، أما التخطيط الإستراتيجي فيدل على حنكته.

ففي كل موقف من مواقفه عليه الصلاة والسلام يوم بدر كان هناك دليل على حكمة عظيمة تخللتها فعندما وصل عليه الصلاة والسلام مع أصحابه إلى (ذفران) في طريقه إلى بدر، أتاه الخبر بأن قريشًا قد سارت تمنع عيرها، فقال لأصحابه: «إن القوم قد خرجوا من مكة على كل صعب وذلول فما تقولون؟ العير أحب إليكم أم النفير؟» وبهذا خيّر رسول الله صلى الله عليه وسلم الصحابة من المهاجرين والأنصار بين الغنائم من القافلة والقتال في سبيل الله.

كان صلى الله عليه وسلم قد أرسل طلحة بن عبيدالله، وسعيد بن زيد يتحسسان الخبر، ولما اقترب المسلمون من بدر ركب عليه الصلاة وسلام وركب معه أبوبكر حتى وقفا على شيخ من العرب، فسأله النبي صلى الله عليه وسلم عن قريش وعن محمد وأصحابه، وما بلغه عنهم، فقال الشيخ: لا أخبركما حتى تخبراني من أنتما، فقال صلى الله عليه وسلم: إذا حدثتنا أخبرناك، فقال الشيخ ذاك بذاك، قال عليه الصلاة والسلام: نعم، قال الشيخ: قد بلغني أن محمدًا وأصحابه قد خرجوا يوم كذا وكذا، فإن كان صدق الذي أخبرني فهم بمكان كذا وكذا، وذكر المكان الذي نزل به رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه، وقال بلغني أن قريشًا خرجوا يوم كذا وكذا، فإن كان الذي أخبرني صدق فهم اليوم بمكان كذا وكذا، وهو المكان الذي نزلت به قريش إلى نهاية القصة.

أدرك عليه الصلاة والسلام أن مكان المسلمين معلوم لدى المشركين، فخشي أن تنصب قريش كمينًا للمسلمين عند مرورهم بين ممر الصّدمتين الذي هو أشبه بالوادي، فعمد رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى تغيير مساره منطلقًا بالمسلمين إلى وادي (يَلْيل) وترك (الصّدمتين) على يمينه متجهًا إلى الجنوب فمر بمقيص، ثم (شعب أدمان)، ثم انحدر من جزع وادي يليل حتى نزل بالعدوة الدنيا في موقعه ببدر.

وبهذا استخدم عليه الصلاة والسلام أسلوب التقدم غير المباشر الإستراتيجي على الرغم من طول الطريق وصعوبة المسالك، ولكنه كان أكثر أمنًا لقواته في أثناء تقدمهم إلى مواقعهم التي اختارها صلى الله عليه وسلم فحقق بذلك المفاجأة الإستراتيجية للعدو، فهذا هو تقدير الموقف الذهني، وهذه هي العملية الحربية.

الدعاية والآثار التاريخية

تفخر الأمم منذ القدم بمنجزاتها الحضارية بهدف ترسيخ عدة مبادئ أهمها: هيبتها وعظمة تلك الإنجازات على المستويات المحلية والإقليمية والعالمية، فعلى سبيل المثال، كانت مسلة حمورابي مرسخة لتشريعاته، وكانت الأهرامات في مصر شاهدة على سموق البناء الفرعوني وإحدى عجائب الدنيا السبع، وكان سور الصين العظيم إحدى عجائب الدنيا السبع أيضًا ... إلخ.

والدور الذي تؤديه الدعاية في إبراز المعالم الآنف ذكرها هو دور الجذب السياحي - في المقام الأول - ومن ثم المنفعة الاقتصادية، وهي - أي الدعاية - في هذا

السياق تعدّ «دعاية بيضاء» ليست رمادية ولا سوداء.

وحينما تتناول الدراسات الإعلامية ـ حسب النظرية الإسلامية ـ الآثار الإسلامية فإنها تكون من منطق الدعاية البيضاء، فإلى جانب الجذب السياحي الذي يعود بالمنفعة الاقتصادية، هناك الجانب الروحي الخالد للرسالة المحمدية، لكن دون الإيغال في الاعتقاد بأن زيارة هذه الآثار من واجبات الدين ومن ثم تقديسها إلى درجة الاعتقاد بأنها تجلب منفعة دينية للإنسان المسلم، فذلك من باب البدع والشطط والزيغ، إذ إن المبدأ الراسخ في الدين الإسلامي ـ حسب قول المصطفى صلى الله عليه وسلم ـ لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة: المسجد الأقصى ـ أولى القبلتين ـ والمسجد الحرام والمسجد النبوي «أو مسجدي هذا» على حد قوله صلى الله عليه وسلم.

ويأتي كتاب الدكتور محمد عبده يماني «بدر الكبرى ـ المدينة والتاريخ» لتحقيق هدفين: أولهما دحض «الدعاية السوداء» التي أطلقها بعض المستشرقين حول الهدف من خروج النبي صلى الله عليه وسلم إلى بدر بأنه لقطع الطريق، وثانيهما إبراز ما للحدث من أهمية حضارية كبرى في تاريخ الإسلام، مما يستنهض الهمم ويثير الفخر والاعتزاز في نفس كل مؤمن بالله ورسوله. ولعل هذا المنهج ينأى بعيدًا بالتهمة الملقاة على عاتق الإعلام من قبل التاريخ بأنه مشغول ـ أي الإعلام ـ باللحظة الراهنة بشكل دائم، مما يدمر الروابط مع الماضي. فذاكرة الإعلام ـ بحكم طبيعتها ـ ذاكرة قصيرة لا تزيد على ٤٠ سنة، وتاريخ ما قبل ١٩٠٠م بالنسبة إليه بمنزلة ثقب أسود ـ على حد قول بعضهم ـ لذا نرى أن الإعلام يركز في التاريخ القريب الذي تتوافر له مادته من أرشيف تسجيلاته التي لا يمل تكرار استخدامها، فهي كالنار تتغذى على نفسها (١٣).

بيد أن الإعلام ـ من جهة أخرى ـ له فضل كبير على التراث، فهو يسجل الحاضر لحظة بلحظة، ويحافظ على تراث الماضي الذي كان عرضة للاندثارفي ظل الشفاهة. إضافة إلى ذلك، يمكن لتكنولوجيا الاتصال الحديث أن تطرح التراث في سياق تاريخي وحضاري أشمل (١٤).

إن ما قام به الدكتور يماني ـ من جهد بالكلمة والصورة الفوتوغرافية جعل ـ أولاً ـ الماضي التليد لغزوة بدر الكبرى إضاءة جميلة يختفي وراءها الثقب الأسود ويجد فيها الباحث بالعظة والدرس في (يوم الفرقان) ما يروي غليله حتى دون الغوص الكثير في كتب السير والمغازي، فبمجرد أن يقف الإنسان المسلم على آثار هذه الموقعة الخالدة، ويتأمل ما قرأه عن بعض أسماء الأماكن فيها «كالعدوة الدنيا» و«العدوة القصوى» و«الوادي» فإن ذلك يكفي أن يشخص الأثر أمام عينيه وكأن الحرب قد دارت رحاها في الأمس القريب وليس قبل ١٤٢١ عامًا.. ثم يقرأ أسماء الشهداء معلقة على النصب التذكاري، وهذا ما يسمى بتوثيق الأنماط أو النماذج أو الرموز التاريخية، وهو جزء مهم من الدعاية البيضاء. وللمشاهد بعد ذلك أن يقرأ عن سيرة كل بطل من هؤلاء الأبطال قبل الحرب وبعدها، ليزداد معرفة بهم، متأملاً قول الله عز وجل: ﴿وَلا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ* فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ* يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللَّهَ لا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ* الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقَوْا أَجْرٌ عَظِيمٌ *﴾ [آل عمران: ١٦٩ـ١٧٢] (١٥).

إن الدرس العام العظيم الذي يستفيده الإنسان المسلم من تلك المعركة، هو في قوله عز وجل: ﴿كَم مِّنْ

فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٤٩]، وهذه الفئة التي كانت مع محمد صلى الله عليه وسلم هي الفئة نفسها - من حيث العدد - التي كانت مع طالوت، ولذلك قال عليه الصلاة والسلام حينما وجد عدتهم ثلاثمئة وثلاثة عشر رجلاً وهو فَرِحٌ بذلك، قال: «عدة أصحاب طالوت الذين جاوزوا معه النهر»(١٦)، والآية السابقة تؤيد ذلك في مطلعها حيث يقول سبحانه: ﴿فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُم بِنَهَرٍ ..﴾ إلى قوله تعالى: ﴿قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَاقُوا اللَّهِ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [البقرة:٢٤٩].

والتقنية الإعلامية الحديثة التي استخدمها الدكتور يماني - كما أشرنا - في دراسته هي التصوير الفوتوغرافي برًا وجوًا، فقد ضم كتابه صورًا لكل من :

- مسجد العريش المقام على موضع العريش الذي اقترح بناءه سعد بن معاذ رضي الله عنه للنبي صلى الله عليه وسلم ليراقب ميدان المعركة من مكان مرتفع ص ٧٦، ١١٠، ١٤١.
- العدوة الدنيا (كثيب الحنّان) ، ص ٢٥، ١١٢، ١١٦(منظر جوي).
- العدوة القصوى (العقنقل)، ص ٢٦، ٢٧، ١١١، ١١٢.
- الوادي (ميدان المعركة)، ص ٩٧.
- القليب (مدفن أبي جهل وصحبه)، ص ٩٨، ٢٢٥.
- مكان البئر الذي أبقاه الرسول صلى الله عليه وسلم بناء على رأي الحباب، ص ١٧٢.
- مقبرة الشهداء، ص ٢٦٧.
- الحوض الذي شرب منه الصحابة رضوان الله عليهم عند البئر التي أبقوها وغوروا بقية الآبار، ص ١٨١.
- ممر الملص الذي مر به أبو سفيان فارًا (مفلتًا) بقافلته من جيش محمد صلى الله عليه وسلم، ص١٣٦.
- لقطتان للمكان الذي اتكأ فيه الرسول صلى الله عليه وسلم، ص ١٤٤، ١٨١.
- ثلاث لقطات لأسماء الشهداء (نصب تذكاري)، ص ٢٦٦.
- لقطة لجبلي الصدمة الشرقي والغربي حيث خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من بدر في طريق عودته إلى المدينة المنورة، ص٤٠، ٤٩.
- لقطة لأرض بدر(دراسة جيولوجية)، ص ٤٠/٤١.
- أشجار السلم المنتشرة في منطقة بدر، ص ٤٢.
- عينة من متمود الصفرا، ص ٤٨.
- نموذج من صخور متكون بدر، ص ٤٨.
- جانب من صخور القاعدة يظهر عمليات التحول والتداخل في صخور المنطقة ص ٤٨.

أما الخرائط فهي على النحو الآتي:

- خريطة رقم (١) توضح موقع مدينة بدر اليوم، ص ٢٨.
- خريطة تبين مسار جيش المسلمين والمشركين وقافلة (أبي سفيان)، ص ١٠٩.
- خريطة تبين مسار الجيوش، ص ١١٣.
- خريطة تبين أرض المعركة، ص ١٣٧.
- خريطة غزو بدر، نقلاً عن د. حسين مؤنس (يوم التقى الجمعان)، ص ١٤٧.

وتبعًا لذلك فإن التقنية الإعلامية الحديثة باستطاعتها توثيق المعلومات عن هذه الغزوة وغيرها من غزوات النبي صلى الله عليه وسلم ولا تقتصر على التصوير الفوتوغرافي بل تتعداه إلى التصوير التلفازي أيضًا. وهذا التوجه الإعلامي من شأنه أن يضيء حقائق التاريخ من أرض النبوة منذ بدايته حتى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

كما أن من شأن هذا التوثيق أن يتيح الفرصة لحوار هادئ مرتكز على حقائق العلم التي لا تتعارض مع قيم الإسلام ومبادئه مع أي حوار آخر مرتكز على

الموضوعية، مع الأخذ في الحسبان أن الفرق بين التفسير المادي للتاريخ والتفسير الإسلامي للتاريخ كبير، كما سيأتي الحديث عنه ومع الأخذ بمبدأ التنزل إلى مستوى الخصم استئناسًا بقوله تعالى: ﴿وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدًى أَوْ فِي ضَلالٍ مُّبِينٍ﴾ [سبأ: ٢٤]، ومن أهم النتائج المرجوة الجيدة لهذا التوجه كشف عملية «الاسقاط» في مناهج المستشرقين في تاريخ الإسلام. والتي ناقشها الدكتور شوقي أبو خليل (١٧)، كما سيأتي الحديث عنه.

الأبعاد الإعلامية

يمكن للقارئ الباحث استخلاص عدد من الأبعاد الإعلامية من استعراض ما ورد في كتاب «بدر الكبرى - المدينة والغزوة»، كالآتي:

- الطبيعة الاستطلاعية والاقتصادية للتحرك الإستراتيجي قبل غزوة بدر الكبرى، حيث يمكن إعداد تقرير منفصل عنها يتضمن الدوافع والأهداف.

- الارتكاز في البلاغ القرآني على أمر القرآن الكريم للنبي صلى الله عليه وسلم إذ يقول عزوجل: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ * قُمْ فَأَنذِرْ* وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ* وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾ [المدثر: ١-٤](١٨)، فبدأ صلوات الله عليه وسلم بالدعوة سرًا وبعد ثلاث سنوات نزلت عليه: ﴿فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ﴾[الحجر:٩٤] ، وقد لخص الدكتور يماني ذلك في المقدمات والأسباب، ثم أضاف بقوله: «فكان لا بد من الجهر بالدعوة فكان البلاغ، وكان الصدام، وتوالت الأحداث» ... إلخ (١٩)، وأورد مرادفًا حديثًا للبلاغ وهو «الإعلان» (٢٠)، ثم اختتم حديثه بقولة النبي صلى الله عليه وسلم الحاسمة التي تغلق أبواب الجدال والمساومة - في حواره مع عمه أبي طالب: «والله ياعم لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر ما تركته حتى يظهره الله أو أهلك دونه» (٢١).

- بيان الحرب النفسية الإعلامية التي شنتها قريش وأعلنتها على محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه بالأيدي والألسنة وغير ذلك من صنوف الأذى وألوانه (٢٢). هذا على المستوى المحلي في مكة.

- وعلى المستوى الدولي أطلق كفار مكة أبواق دعاياتهم المسمومة ضد محمد صلى الله عليه وسلم وما جاء به، ناشرين الشائعات والأكاذيب، بين الوفود القادمة للقائه، مزيفين لها الحقائق ومشوهين صورة الإسلام ونبيه، هذا بالإضافة إلى الوشاية عند النجاشي، والهجاء بالشعر (٢٣).

- تحويل القبلة: وهو حدث إعلامي عظيم تم فيه إخراس ألسنة المغرضين المغالطين من اليهود والنصارى (٢٤). ودحض حجتهم بأن محمدًا يدعي ملة إبراهيم ويخالف قبلته، مثيرين بذلك الشبهات، ليفتنوه فيتبع قبلتهم، فأجاب الله عن ترهاتهم بأن لله المشرق والمغرب، وبأن لكل شريعة قبلة كما يعلمون، ثم أيأسهم من رجوع الرسول إلى قبلتهم، فقال تعالى:﴿وَلَئِنْ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَّا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ وَمَا أَنتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ﴾ [البقرة:١٤٥] (٢٥).



هذا عرض مختصر للدروس الإعلامية المستفادة قبل غزوة بدر. أما تلك المستفادة خلال الغزوة فهي على سبيل المثال:

- تقرير إعلامي: عن تحرك الجيش بقيادة النبي صلى الله عليه وسلم لملاقاة عير أبي سفيان من المدينة المنورة إلى بدر مع وصف لمعالم الطريق ثم تغير الحال من ملاقاة العير إلى النفير، فاستشار النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه حيث تكلم أبو بكر الصديق وعمر بن الخطاب والمقداد بن عمرو وسعد بن معاذ رضي الله عنهم، ثم عقد صلى الله عليه وسلم الألوية فأعطى اللواء الأبيض لمصعب بن عمير ورايتين سوداوين لعلي بن أبي طالب وسعد بن معاذ رضي الله عنهما، وذلك لإرهاب قريش وإعطاء انطباع بأن هناك علاقة بين اللون الأسود ومحاربة الضلال (٢٦).

- إبراز الدلالة الإيمانية والحكمة من وراء قلة الجيش الإسلامي وعدته، وفرح النبي صلى الله عليه وسلم حينما عدهم عند الروحاء فوجد جيشه ثلاثمئة وثلاثة عشر رجلاً، وقال «عدة أصحاب طالوت الذين جاوزوا معه النهر» (٢٧)، وفي هذا الصدد يقول الله عز وجل: ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوااللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [آل عمران: ١٢٣] ، وقد تقدمت الإشارة إلى ذلك.

- تأكيد درس عظيم من إعلان النبي صلى الله عليه وسلم الذي قال فيه: «لا ننتصر بأهل الشرك على أهل الشرك» حينما أراد حبيب بن يساف مع أبناء عمومته من المسلمين أن يشاركهم في القتال والغنيمة (٢٨).

- جواز المعاريض تفاديًا للكذب، وذلك في إجابة سفيان الضمري حينما سأل النبي صلى الله عليه وسلم وأبا بكر: من أين أنتما؟ فأجابه: «من ماء» (٢٩) وذلك حفاظًا على السر الحربي حينما كانا خارجين يتحسسان أخبار قريش.

- بيان أهمية الماء في مشورة الحباب بن المنذر بن الجموح (٣٠).

- استخدام أبي سفيان حين أفلت بالقافلة لضمضم لكي يذهب إلى مكة مستنفرًا قريشًا باستخدام أساليب الإثارة للدفاع عن أموالهم وتجارتهم وأن يخبرهم خبر خروج محمد للاستيلاء على العير، فدخل ضمضم مكة وقد جدع بعيره بقطع أنفه وأذنيه وحول رحله وشق قميصه من أمام ومن خلف ووقف على ظهر بعيره يصرخ بأعلى صوته: «يا معشر قريش اللطيمة (الإبل تحمل الطيب والمتاع) أموالكم مع أبي سفيان قد عرض لها محمد في أصحابه لا أرى أن تدركوها الغوث الغوث» (٣١).

- الدلالة الإخبارية لرؤيا عاتكة بنت عبدالمطلب، حيث خرج بنو هاشم مع أبي جهل ليس عن رضا ورغبة ولكن مسايرة لأشراف قريش (٣٢).

- بيان إرجاف المنافقين بعد عودة الرسول صلى الله عليه وسلم وجيشه من الغزوة منتصرًا وعند تأهبه للخروج إلى بدر الآخرة (٣٣).

- بيان أن الملائكة لم تقاتل مع المسلمين وإنما نزلت لتبشير أو بشارة وطمأنينة المسلمين، قال تعالى: ﴿وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلاَّ بُشْرَى لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِ ...﴾[آل عمران: ١٢٦]..

وهذا الأمر من المعجزات في بدر حيث نزلت الملائكة بأنواع ثلاثة وأعداد مختلفة ومسومة بعمائم المسلمين أنفسهم، قال تعالى: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلائِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾[الأنفال: ٩].

وقال سبحانه: ﴿إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَن يَكْفِيَكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلاثَةِ آلافٍ مِنَ الْمَلائِكَةِ مُنزَلِينَ۞ بَلَى إِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُم مِن فَوْرِهِمْ هَذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ آلافٍ مِنَ الْمَلائِكَةِ مُسَوِّمِينَ﴾ [آل عمران: ١٢٤،١٢٥]

- التنويه بالعِلْم الإخباري النبوي مثل:

أ. ما حدث في قصة عمير بن وهب حينما أراد قتل النبي صلى الله عليه وسلم وقدم إلى المدينة بحجة افتداء ابنه وهب، فأنبأه نبي الله عليه الصلاة والسلام بنيته فأسلم (٣٤).

ب. قصة وضع العباس لماله عند أم الفضل حيث أخبره بذلك النبي صلى الله عليه وسلم فقال: فو الذي بعثك بالحق، ما علم به أحد من الناس غيري وغيرها، وإني أعلم أنك رسول الله (٣٥).

ج. قصة حاطب بن بلتعة وتسريبه خبر الرسول صلى الله عليه وسلم في كتاب إلى المشركين بعثه مع امرأة من المشركين (٣٦).

- بيان القيم الإسلامية في شعر شعراء الرسول صلى الله عليه وسلم الذي قالوه في بدر.

- بيان القيم الجاهلية في شعر قريش في بدر (٣٧).

بين التفسير المادي والروحي للتاريخ الإسلامي

إنه على الرغم من اعتبار بعض الباحثين (٣٨) أن العرض الخاص بسيرة النبي صلى الله عليه وسلم في القرآن الكريم لا يدخل في عرض الواقعة التاريخية بالنسبة إلى التفسير الإسلامي للتاريخ، فإنه يمكن القول بأن العرض التاريخي لغزوة بدر الكبرى في سورة الأنفال. هو كغيره. يعدّ حجر الزاوية لجميع الدروس المستفادة من هذه الغزوة، وهو أيضًا يقدم(٣٩). على المستوى الحضاري. عددًا من المبادئ الأساسية المهمة لعلاقة الإنسان المسلم بربه إذا ما توكل عليه حق التوكل، ويمكن تأمل مدلولات هذا العرض الذي يمزج بين الأسلوب والمضمون واعتماده ليؤكد الارتباط العضوي العميق بينهما في القرآن إذ يقول عز وجل: ﴿ وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ* إِذْ هَمَّت طَّائِفَتَانِ مِنكُمْ أَن تَفْشَلَا وَاللَّهُ وَلِيُّهُمَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [آل عمران:١٢١-١٢٢] .

وإن من إيجابية البحث التاريخي واتساعه وشموله السعي إلى ما وراء العصور التاريخية، وقد أكد القرآن على ذلك بمعنى أن يكون هذا البحث هو حجر الزاوية هنا لأجل المسح الجيولوجي والبيولوجي، لتتاح للإنسان «رؤية» أنفذ لقدرة الله المبدعة، ولسننه الدائمة التي رافقت مجرى التاريخ منذ تكويناته الأولى، قال سبحانه وتعالى: ﴿أَوَ لَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ* قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [العنكبوت: ١٩-٢٠] (٤٠).

إن الحدث التاريخي العظيم في غزوة بدر الكبرى كغيره من الأحداث التاريخية الإسلامية إنما حدث تعبيرًا عن إرادة الله التي صيغت من خلال الإنسان عن طريق اتصالها بالزمان والمكان (٤١)، ولا يجب أن تفوتنا الإشارة هنا إلى أن أحد أهم الملامح الأساسية للتفسير الإسلامي للواقعة التاريخية عن سائر التفاسير المادية أنه يفرد للبعد الغيبي، ماضيًا وحاضرًا ومستقبلاً مساحات واسعة ويجعله أحد الشروط الأساسية للإيمان، بل أهمها على الإطلاق، إذ من دونه لن تتحقق أي تجربة إيمانية (٤٢).

ولهذا نجد بعض المستشرقين يعزون إلى الرسول صلى الله عليه وسلم أمورًا يشمئز منها الذوق السليم، ويبرأ منها النقد النزيه، كما أن بعضهم يريد أن يقلل من أهمية الرسالة ويحكم على الرسول صلى الله عليه وسلم حكمًا جائرًا يدفعهم إلى التعصب والتحزب وبغضهم للإسلام ومقتهم لنبيه، وذلك بتطبيقهم على التاريخ الإسلامي بعض أنماط من النقد المتطرف وطرائقه القاسية. ومن هؤلاء الأب اليسوعي لامانس ... نراه يحيد عن الطريق السليم حين يعرض المسائل الإسلامية.. وقد فند كاتب فرنسي معتدل في حكمه هو

مسيو إميل در منجم في كتابه «حياة محمد» ما يقوله لامانس عن الدعوة الإسلامية (٤٣).

وحتى في مجال الإنصاف نجد المستشرقين يوازنون محمدًا صلى الله عليه وسلم بعظمائهم، مثل فنلي الذي يعدّه مزيجًا من كفايات ليكورغوس والإسكندر (٤٤).

مما يدعونا إلى التساؤل هل يفعلون ذلك بالنسبة إلى عيسى وموسى عليهما السلام؟ وبالنسبة إلى غزوة بدر الكبرى التي كان هدف الدكتور محمد عبده يماني في كتابه - السالف الذكر- عنها هو دحض آراء المستشرقين الذين يذهبون فيها إلى أن النبي محمدًا صلى الله عليه وسلم خرج لملاقاة عير قريش لقطع الطريق والنهب والسلب. فقد كنت أتمنى عليه أن يذكر بعض هؤلاء المستشرقين ومؤلفاتهم لتعم الفائدة.

وعلى أي حال أشار بعض الباحثين إلى افتراء بعض المستشرقين - وهو «سفاري» - على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى التاريخ الكذب، وذلك حين تناوله سرية عبدالله بن جحش رضي الله عنه، إذ يقول: إن النبي صلى الله عليه وسلم أمر بالنهب، في حين أن الحقيقة أنه صلى الله عليه وسلم ثار هو وأصحابه لما حدث، وقال: «ما أمرتكم بقتال في الشهر الحرام»، وأبى هو وأصحابه أخذ شيء من الغنيمة حتى نزلت الآية: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِندَ اللَّهِ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ﴾ [البقرة: ٢١٧] (٤٥).

ومن القضايا المهمة - أيضًا - بعض التطبيقات القاسية التي وردت في رأي سفاري عند حديثه عن القتال في بدر حيث يذهب إلى أن النبي صلى الله عليه وسلم عدّ تلميذه عليًا - الذي قدم أدلة على بطولته في المعركة - «إله الحرب في الشرق» (٤٦) ، هكذا يقول، فمعاذ الله أن يكون رسول التوحيد كذلك، كما أن هذا المستشرق يعتقد اعتقادًا فاسدًا بأن القرآن قد نسج النبي آياته وأحكامه بنفسه .. فهو يرى أن محمدًا صلى الله عليه وسلم دفع به الخلاف في تقسيم الغنائم إلى سن هذا القانون: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ ..﴾ [الأنفال: ٤١].

لقد انبرى أكثر من مفكر وباحث إسلامي للرد على آراء المستشرقين، فعلى سبيل المثال، بالنسبة إلى معركة بدر الكبرى، ناقش الدكتور محمد حسين هيكل مقتل النضر وعقبة من أسرى بدر، فأشار إلى تساؤل غير واحد من المستشرقين ونصه: «أليس في ذلك ما يدل على ظمأ هذا الدين الجديد إلى الدم ظمأ لولاه ما قتل الرجلان، ولكان أكرم للمسلمين بعد أن كسبوا الموقعة أن يردوا الأسرى وأن يكتفوا بالفيء الذي غنموه» (٤٧).

وهكذا يريد هؤلاء النيل من هذا الدين وصاحبه بتساؤل يثير في النفوس عوامل إشفاق لم يكن له يومذاك موضع. ويوازن الدكتور هيكل بين مقتل النضر وعقبة وما يجري «وسيجري دائمًا ما دامت الحضارة الغربية، التي تتشح بوشاح المسيحية متحكمة في الأرض» ...إلخ (٤٨).

وكما كشف بعض الباحثين عن الآراء المتعدلة والمنصفة لفئة من المستشرقين، فقد أوضح هذا البعض - أيضًا - مواقفهم السلبية والمغرضة، مما حدا بالعلماء والباحثين المسلمين إلى مناهضة تلك الشبهات والمطاعن التي عكف على افترائها المستشرقون فترة طويلة (٤٩).

وبالنسبة إلى المطاعن والشبهات التاريخية يتساءل بعض الباحثين أنه إذا كان التاريخ طريق الإنسانية إلى الله كما يقول أرنولد توينبي في كتابه «دراسة التاريخ»، فأي فجوة تحدث لو طعن في تاريخ الرسول؟ كما يتساءل أنه إذا كان التاريخ تتبعًا للحضارات الإنسانية كما يرى ول ديورنت في كتابه (قصة الحضارة) فأي تحقير للحضارات إذا دس على حضارة الإسلام

دسائس؟ (٥٠).

إن نظرة المستشرقين إلى التاريخ الإسلامي ـ بالإضافة إلى ما تقدم ـ هي نظرة قائمة على «الريبة أحيانًا وعلى الإنكار العلمي»(٥١) للدين الإسلامي.

وقد استدل بعض الباحثين على ذلك بإنكار النبي صلى الله عليه وسلم على عمر بن الخطاب رضي الله عنه «رجوعه إلى التوراة والقرآن بين ظهرانيه. ولم يكن يخشى عليه من الانحراف، ولكنه المنهج النبوي الذي يدعو إلى التعمق في الإسلام وعدم الانشغال عنه. فإذا كان هذا هو موقف الإسلام من النصرانية واليهودية وهو يعترف بهما فما بالكم بموقف الآخرين من الإسلام وهم لا يعترفون به؟» (٥٢).

ولو رجع هؤلاء المستشرقون غير المنصفين الذين لا توجد لديهم دوافع سياسية أو دينية أو اقتصادية .. إلخ، لو رجعوا إلى أنفسهم وكان دافعهم الوحيد لدراسة التاريخ الإسلامي هو الدافع العلمي النزيه المتجرد، لوجدوا في منهج المحدثين المسلمين الذي احتذوا به في مدارسهم، نبراسًا من حيث اتسامه بالضبط الشديد والتحري الدقيق لكل ما ينسب إلى الرسول صلى الله عليه وسلم من قول أو عمل (٥٣). وقد استفاد المؤرخون وكتاب السيرة من هذا المنهج، معتمدين على الأسانيد والروايات الموثوقة.

وتعدّ كتب المغازي والسير من المصادر الأصلية للسيرة النبوية، وقد انفردت هذه الكتب بالتخصص في جوانب معينة وانفصلت عن كتب الحديث شأنها في ذلك شأن العلوم الإسلامية المختلفة (٥٤). وليس المجال هنا للحديث عن بيبلوجرافية هذه الكتب أو سردها، ولكن للتنويه بأهميتها وبأسبقيتها لكتب المستشرقين ذوي الميول والاتجاهات المغرضة المنحرفة.

وعودًا على بدء، فإن من يدعي من المستشرقين أن الفتوحات الإسلامية كان الدافع الأساسي لها هو حب العرب للغنائم، من أمثال يوليوس فلهاوزن وتوماس أرنولد وستانلي لان بول وفيليب حتّي وغيرهم، يمكن تفسير آرائهم ونظراتهم بأنها «إسقاط ينطبق على المسيحية ولا يعرفه الإسلام» (٥٥).

وقد بين الدكتور شوقي أبو خليل كيف أن العرب عرفوا الخيرات في الشمال ولم ينطلقوا إليها قبل

المراجع والهوامش

١ـ حسنين محمد مخلوف، تفسير كلمات القرآن، دار الفكر الإسلامي، ط٤، دمشق، ١٤١٨هـ ـ ١٩٩٨م، ص ١٨٢.

٢ـ ابن منظور، لسان العرب المحيط، إعداد وتصنيف: يوسف خياط ونديم مرعشلي، دار لسان العرب، بيروت، ج٢،ص ٧١٤، مادة (عدا).

٣ـ د. محمد عبده يماني، بدر الكبرى، «المدينة والغزوة»، ط٢، دار القبلة للثقافة الإسلامية، مؤسسة علوم القرآن، جدة، دمشق، بيروت، ١٤١٨هـ ـ ١٩٩٨م، ص ٣٧.

٤ـ ابن منظور، لسان العرب، ج١، ص ٧٢٢، مادة (حنن وحنا)، ع٣.

٥ـ د محمد عبده يماني، السابق، ص ٤٥: (تظهر الصورة الفوتوغرافية في ص ١١٦ شكل الكثيب كالكثبان الرملية المتحركة بحافة في أعلاه مكونة بفعل الرياح على الأرجح.

٦ـ عاتق بن غيث البلادي، معجم المعالم الجغرافية في السيرة النبوية، دار مكة للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤٠٢هـ ـ ١٩٨٢م، ص ١٠٧.

٧ـ السابق، ص ١٢٤.

٨ـ د. محمد عبده يماني، السابق، ١٠٤، ١١٥.

٩ـ عاتق البلادي، السابق، ص ١٢٦.

١٠ـ د. محمد عبده يماني، السابق، ص ١١٩(الحاشية).

١١ـ ابن منظور، لسان العرب، ج٢. ص٨٤٩، (مادة عقا). وانظر: البلادي، معجم المعالم الجغرافية، ص ٢٠٢.

١٢ـ عاتق البلادي، معجم المعالم الجغرافية في السيرة النبوية، ص ٢٠٢.

١٣ـ د. نبيل علي، الثقافة العربية وعصر المعلومات، «رؤية لمستقبل الخطاب الثقافي العربي»، عالم المعرفة «إصدار ثان» مطابع الوطن، الكويت، ٢٠٠١م، ص ٥٨٥.

١٤ـ السابق، ٥٨٦.

١٥ـ انظر: د. يماني، بدر الكبرى، ص ١٨٢، ١٨٨، لمعرفة أسماء الشهداء التي كانت ولا تزال تدوي في الآفاق.

١٦ـ د. محمد عبده يماني، السابق، ص ٩٧. الجدير بالذكر أن المؤلف لخص الكتاب في كتيب صغير.

١٧ـ د. شوقي أبو خليل، الإسقاط في مناهج المستشرقين والمبشرين،ط٢،

ذلك وهم في باديتهم المقفرة، ورد على الزعم القائل بأنهم كانوا يخشون الفرس والروم ثم حينما ضعف هؤلاء خرجوا، «فقد بقي العرب يتهيبون الأكاسرة والقياصرة حتى كتب الله لهم النصر بالقادسية واليرموك» (٥٦).

وحينما أرسل الرسول صلى الله عليه وسلم الرسائل إلى الملوك والأمراء يدعوهم إلى الإسلام، لم يطمع بما بين أيديهم. وينوه الدكتور أبو خليل بأن الفتح الإسلامي خلص الشعوب من الضرائب الباهظة، فلم يكن المسلمون - على حد قول دريبر - يتقاضون عن مقهوريهم إلا شيئًا ضئيلاً من المال، لا يوازن بما كانت تتقاضاه عنهم حكوماتهم الوطنية (٥٧).

دارالفكر المعاصر، بيروت ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.

١٨. د. يماني، السابق، ص ١٠٢، ١٠٣.

١٩. د. محمد عبده يماني، السابق، ص ٤٩ - ٥٠، ٥٣، ٥٥.

٢٠. السابق، ص ٥٣.

٢١. السابق، ص ٥٥.

٢٢. السابق، ص ٥٩، ٦٣.

٢٣. السابق، ص ٦٤، ٦٨.

٢٤. السابق، ص ٨٨، ٩٠.

٢٥. انظر: د. حسن إبراهيم حسن، تاريخ الإسلام، ج١، ط٥، دار الجيل مكتبة النهضة المصرية، بيروت، القاهرة ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م، ص ١٤٣.

٢٦. د. يماني، السابق، ص ١٠٢، ١٠٣، وانظر للتوسع: د. محمد بن مخلف المخلف،الحرب النفسية في صدر الإسلام (العهد المدني)، ص٢، دار عالم الكتب، الرياض، ١٤١٣هـ -١٩٩٣م، ص ٣٢٢ وما بعدها.

٢٧. السابق، ص ٩٧.

٢٨. د. محمد يماني، بدر الكبرى، ص ٩٩.

٢٩. السابق، ص ١٠٥.

٣٠. السابق، ص ١١١، بين المؤلف حكمة نزول المطر إذ كانت تطهيرًا للمسلمين ونقمة على المشركين وكان لذلك دور في سوء حالتهم النفسية، انظر: ص ١٣٤.

٣١. السابق، ص ١١٧، ١١٩.

٣٢. السابق، ص ١٢٦.

٣٣. السابق، ص ١٩٢، ٢٢٣، ٢٢٤.

٣٤. السابق، ص ٢٠٠، ٢٠١.

٣٥. السابق، ص ٢٠٧.

٣٦. السابق، ص ٢٢٠، ٢٢١.

٣٧. السابق، ص ٢٤٧، ٢٦٥.

٣٨. د. عماد الدين خليل، التفسير الإسلامي للتاريخ، دار العلم للملايين، ط٥، بيروت، ١٩٩١م، ص ٩٨، ٩٩، ١٠٠.

٣٩. السابق، ص ٩٨، ٩٩، ١٠٠.

٤٠. السابق: ص ١١٣، ١١٤.

٤١. السابق، ص ١١٨ وما بعدها.

٤٢. السابق، ص ١٣٢ وما بعدها.

٤٣. د. حسن إبراهيم حسن، تاريخ الإسلام، ج١، ص ١٣٩ - ١٤١.

٤٤. السابق، ص ١٤١.

٤٥. سفاري كلود آتين، مختصر حياة محمد، «السيرة النبوية وكيف حرفها المستشرقون»: محمد عبدالعظيم علي، تحقيق: عبدالمتعال محمد الجبري، ط١، دار الدعوة، الإسكندرية، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م، ص ١١٩.

٤٦. المرجع السابق، ص ١٢٢.

٤٧. سفاري كلود، السابق، ص ١٢٢.

٤٨. د. محمد حسين هيكل حياة محمد، ط١٦، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨١، ص ٢٧٨.

٤٩. السابق، ص ٢٨٧، ٢٨٨.

٥٠. نذير حمدان، الرسول صلى الله عليه وسلم في كتابات المستشرقين، ط٢، دار المنارة للنشر والتوزيع، جدة ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م، ص ١٠٣، ١٠٦.

٥١. السابق، ص ١١٧، ١١٨.

٥٢. د. علي بن إبراهيم النملة، الاستشراق في الأدبيات العربية، ط١، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، الرياض ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م، ص ٤١.

٥٣. السابق، ص ٤١.

٥٤. د. مهدي رزق الله أحمد، السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية، ط١، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، الرياض ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م، ص ٩، مقدمة بقلم د. زيد بن عبدالمحسن آل حسين.

٥٥. السابق، ص ٢٠.

٥٦. د. شوقي أبو خليل، الإسقاط في مناهج المستشرقين والمبشرين، ط٢ دار الفكر المعاصر، دمشق، بيروت، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م، ص ١٨٢.

٥٧. السابق، ص ١٨٢.





الفارس المطعون بحراب الأهل

محمد جبر الحربي
الرياض - السعودية

لا تحزني يا حرةً عربيةً ملكتْ زِمامَ منيّتي
فلقد ذكرتكِ والرماحُ نواهِلٌ
مني وبيض الهندِ تقطر من دمي
فوددتُ تقبيلَ السيوفِ لأنها
لمعتْ ولمْ
يحضرْ أحدْ.

هي شمعةٌ أشعلتُها من غيظِ أحزاني، وفيْض طويّتي
فجرًا ولم يحضرْ أحدْ.
والوردةُ الأولى على أطرافِ ليل الصابرين غرستُها
بين اليقين، ونوح نائحتين قرّبتا المثاني في جنان
الله لم تحدا ولمْ يحضرْ أحدْ

هي قطعة من عزفِ مجهولين فات أوانهم
ظلّت معلقة على ناي الفراتِ
تهدّب الصحوَ الخفيضَ
وقسوةَ الإنسان والأوطان
لم يحفلْ بدعوتها، وقطفِ الصبح فلاحو الغنائمِ
ما استفاق النُوّمُ الثملون من سُكرِ الهزائمِ
والكلامِ المثقلِ الأجفانِ بالأوهامِ
لم يحضر على قلقٍ أحَدْ.

هي لحظةٌ من نقش ناحلتين حارستين أدمنتا الترقب خيفةً
هي لحظةٌ فانعمْ بنَومِك هانئاً
يا صاحِ نام الناسُ مثلكَ
لم تفُتك غنائمٌ،
وتحررت من عبئها الأنفالُ،
لا نصرٌ تيامَنَ،
لا ثقاةٌ خُلّصٌ يُهدون للتاريخ بيضَ رقاعِهِمْ.
ما اخضرّت الدنيا على إيقاعهمْ
هذا مُثارُ النقع:
تلك على اليمين مقابرُ الزمن الجميلِ،
وتلك شهبُ قلاعِهمْ.
وهنا قلوبُ العاشقين لأمةٍ عظمى توقف عزفُها
وروى الخليقةَ نزفُها..
هي فتنةٌ عظمى:
لصوصٌ مارقون تمكنوا منا ومن أشياعِهِمْ.
شيعٌ وتجارٌ وأشباهٌ شواحبُ من غثاءِ السيلِ
باعوا عَرشنا
لا دودةٌ حفلت بمنسأةٍ
ولا إنسٌ أفاقوا
فتنةٌ كبرى ولم يحضرْ أحدْ..

لوداع أحزان الظهيرةِ..

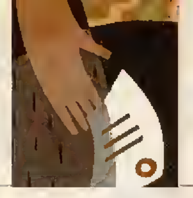
يا خديجة خبّري عني التلفّت والندى
أني أميرٌ ما أسرتُ إذا أسرّت من العدا
ردءًا أردتُ فكان مستندًا رماديَّ الرّدى
الموتُ في عينيه لم أبصرْهُ كنتُ مُرمَّدًا
والموتُ في أعطافهِ ولبسته باللردا
إني الخُذلتُ وكنت وحدي أبْلجًا ومهندًا

ما خنتُ:
كفّنت الشهيدَ،
وناذرًا للموت.. مبتدرًا غدًا.
أفشيت سرًا؟
لم أخنْ.
خانوا ولم يحضرْ أحدٌ.
هو نهرٌ خلاني يُغنيه الفرات
وترتدي أحزانَه أضواءُ دجلة
رجّها المجدافُ
مرتني بباب النوم أهدتني مكاني
بين أسياد الكلام وسادة الفوضى العظامِ
على ينابيع النظام.
كلما قلبتُ رأسي شدّني
لعظيم حكمتِهِ
وفارغ صبرهِ
وطوى الكتابَ على وميض الدهشة العينانِ
لامعتانِ لا صوتٌ، ولا جسدٌ يعيقُ تدفقَ
المعنى الكتابُ يمرّ من مبنىً إلى مبنىً
ومن غيمٍ إلى غيمٍ على كتف الجبالِ
الأرضُ واقفةٌ على طللِ الرشيدِ
ووحدها الأفكارُ لا تفنى

ولا يفنى القصيدُ.
هي رؤيةٌ فُتحت لباب الشمسِ
من غَبَش الشواهدِ
نبتة أورقتُها
للريح.. للمطرِ الجديدِ أسوقه لفرادةِ التاريخِ
أحفظُهُ لميلادِ الوليدِ
مهدهدًا شبنا..
ولمْ يحضرْ أحَدٌ.

العنوان واللوحة: ضياء العزاوي
مجموعة المتحف الوطني للفن الحديث - بغداد





يا رفيقه

علي صالح طمبل
الخرطوم ـ السودان

يا رفيقةْ
ليس هذا
ليس هذا بالذي
قد كنت أرجُو
لم تعودي شعلةً
تجلو الدياجي
حين تشجُو
لم تظلّي ثورةً كبرى وروحًا ما لها إلا
من الإخلاص نهجُ
كيف أرنو بعد فَقْدِ
الشعلة المُثلى صباحًا
كيف أنجو؟!
كنتُ من أجلِ الوفا
أُطري الورى أو
كنتُ أهجُو
كان لي من عمق ما نصبو إليه في الدُّنى
زادٌ
مواساةٌ
ووَهْجُ
❖❖❖
يا رفيقةْ

خبِّريني بالذي
سوّاكِ نجمًا للحيارَى
أُصدقيني إنني قاسيتُ
في قلبي مُعاناة
ونارًا
كيف قد تُمسي
الحقول الخُضْرُ يبْسًا
كالصحارَى؟
كيف تغدو الأَعينُ الوَلْهَى
سُكارَى؟
كيف يُضحي الخلُّ شوكًا
بعد أن كان النُّضارا
كيف يغدو الزهر وهْمًا
باهتًا
حتى يُوارَى؟
كيف يهوي الحُلْمُ من عليائهِ
كابوسَ شؤمٍ
لا يُجارَى؟
كيف قد تغدو طموحات الورى
زيفًا بغيضًا
مستعارا؟
ليتني يا حيرتي قد طُفتُ طَوْعًا
قلبَكَ النائي
لأرمي بالشجون
ليتني يا حيرتي غَيْثٌ
لأروي ما توارى
من فنون
ليتني عبر الفيافي قائدٌ فَحْلٌ
فأغزو فيكِ
جدرانَ السجون
ليتني أُمسي طبيبًا كي

أُداوي فيكِ
أصفادَ الجراحِ
أو أخًا في ظلمةِ الدنيا
رفيقًا في الكفاحِ
أو شعاعًا لاح يبغي
إنتصارًا للصباحِ
هل لنا في عودةِ القنديلِ
هل بعدَ الظلامِ؟
هل لصرحِ الصمتِ بعد
الجورِ من غزوِ الكلامِ؟
هل لهاتيكِ الأماني يقظةٌ
بعد ارتضاها بالمنامِ؟
في غدٍ نلفي رحيقَ البسمة الأولى
على ثغرٍ مِنَ الأشجانِ دامِ
في غدٍ يُخزي بعزمٍ
كلّ بأسٍ
أو تَراخٍ
وانهزامٍ





لونا .. تلك المرأة الطاهرة

سياد فتاح اجتش
ترجمة: إسماعيل أبو البندورة
الرمثا - الأردن

غطّى الثلج الرصيف والطريق المعتم المتجمد، وكانت لونا .. تلك الامرأة الطاهرة تخطو بانقباض في ذلك الوقت العصيب .. في الليل عندما كان كل شيء ينبض: القلب، والخطا، ومجاري المياه.

تعجلت الوصول إلى البيت الدافئ والأشياء الحميمة إلاّ أن العجلة غير ممكنة في كانون حيث يزحزح الثلج الأرض تحت الاقدام في ليل متأخر حيث تغط المدينة في النوم.

وعندما خطت على الدرج، فتحت الباب، ودخلت رأسا إلى الغرفة وفكرت: يا إلهي! يبدو لي أنني سأموت حياءً وخجلاً ! واكملت في الغرفة المعتمة التي ينبعث منها حلم رجالي.

- هل أنت نائم؟

همست وهي تقترب من الجسد المسجّى على السرير.

- هل أنت نائم يابوريس؟

لونا الامرأة المعززة بالقيم والتي قضت أعوامها قرب الرجل الذي يغفو الآن في أواخر ليلة من ليالي كانون وهو الذي تسكّع دون أن يعبأ بهذه الليلة المجللة بالثلج، وهو الذي ينسى ما يدور عندما يكون وحيدًا في مجتمعه المحبب، بينما لونا تقف فوق رأسه في العتمة وصيحة مكتومة على شفاهها .. آه .. قالت لذاتها: إنني شريرة!

ثم مدت يدها بحنان، وكأنها تتوسل وتستعيد الماضي، ولامست كتفه، ونادت عليه باسمه وكأنها تواسي جريحًا أو كأنها تستمطر بركات والدها.

سألته: هل أنت نائم؟

قال بوريس: نعم غفوت.

هل أيقظتك؟ هل تعلم لماذا أيقظتك؟

لا جواب .. ها هو ذلك العالم وأولئك البشر .. تلك الغرف والأشياء فيها متجمدة وبعيدة .. أولئك الاصدقاء .. وذلك الحب .. وتلك الهمسات وأنت تنام .. ولا جواب.

- هل تعلم كم هي الساعة/ هل تعلم أي ساعة من الليل؟

- لا اعرف .. قالها ناعسًا .. لقد غفوت قبل قليل.

- انقضى منتصف الليل يا بوريس .. انقضى منذ زمن.

- هذا يعني بأني نمت طويلاً .. لقد استلقيت باكرًا ولا أزال راغبًا في النوم.

- لقد حضرت الآن.

- حسنا اخلعي ملابسك ونامي.

- لماذا لا تسألني عن سبب مجيئي المتأخر الآن؟ ولم يسمع بوريس فالليل معتم والغرفة يغشاها الظلام .. من يسمع الحديث في غرفة مظلمة .. في غرفة بلا ساعة وضوء؟ من يسمع عندما تتهادى الأحلام وتسكن الأرض؟

- قالت له بوريس ونادته يابوريس .. انقضى منتصف الليل منذ زمن .. وأنا حضرت الآن.

- قال وهو صاح، صاح، وماذا بعد؟ صاحيًا أو لا زال مغمورًا في الظلام البعيد الحالم.

قالت لونا .. هذه الليلة .. وكانت تقف في العتمة، وتحدق في ظلام آخر ليس هنا أو هناك، ليس فوق أو تحت، وإنما ظلام عتمة دكناء وثقيلة تستقر قريبًا منها



وتريد أن تتنفس وتشرب وتأكل كما يشرب ويؤكل ماء النبع والخبز .. هذه الليلة قالت لونا .. هذه الليلة خدعتك مع رجل آخر.

- سألها بوريس لماذا لا تنامين؟

- هل سمعت ما قلته؟ هل سمعته حقًا؟

- هل .. سمعت .. استلقي ونامي.

- يا بوريس قلت: إني خدعتك الليلة مع أحد الرجال، هل تفهم؟ خدعتك مع أحد الرجال!

- قال بوريس وماذا بعد؟ توقظيني من النوم لكي تقولي لي هذا؟

- أنت لا تصدق؟

- قال لها .. لا أصدق.

لكنها الحقيقة ! ..لا أعرف كيف تم الأمر لكنه حدث، جلست على سريره وبدأت قصتها وهي تشعر بأن مع كل كلمة من كلماتها تتساقط من لسانها الأحجار والشظايا .. انت لا تعرف كم هو صعب عليّ ذلك .. اشعر بأني من سقط النساء ! .. كأني خائنة، تخون ذاتها .. لانني يا بوريس أخون ذاتي في الحقيقة وأخون كل ما بنيته وأنشأته برفقتك خلال هذه الأعوام. أعترف بأن الأمر كذلك.

- تكلم .. وكانت على وشك البكاء.

- قالت له .. اعترف بأن ما اقترفته معيب آه .. أخذت نفسًا .. كما يعذبني ضميري! تكلمت بينما كان هو يستلقي مثل جثة ويتخيل ذلك العالم من خلال عالمه.

- قالت فجأة: ساعدني .. ساعدني حتى لا اشعر بأنني مضيعة تكلم أو افعل شيئًا ما.

- جلست على السرير لونا - المفعمة بالقيم - راكعة ومحطمة هذه الليلة .. جلست بالغرفة وكأنها تجلس ليلاً في غابة معتمة ولكن لا تنبعث منها رائحة الصنوبر.

- قال لي بعد ذلك .. استلقي ونامي .. سنتحدث عن ذلك في الغد.

ولم يبق للونا أي كلام والنهار بعيد .. ليلة كانون هذه - والثلج على النوافذ والماء في المجاري التي تتوقف عن الحركة والاهتزاز - طويلة ومعتمة. والآن كيف يمكنها في ليلة كانون هذه التي تمضي كأنها قرن أن تنتظر الصباح؟ الصباح في ليلة يتوالد فيها الوقت بصعوبة .. يأتي بآلام ولادة .. ولا صراخ من أحد!

لم يذب الثلج بقي ملقىً بإصرار في أماكنه القديمة .. ولم تكن هناك أي قوة للنهار أو الشمس الساطعة.

- قالت لونا من المؤكد أنك نسيت:

كان ذلك في الصباح، حلق ذقنه، وأزّت آلة الحلاقة وكانت تقف خلفه على مسافة بعيدة في الغرفة العتيقة..

قال بوريس:

- ماذا نسيت؟

- عندما أتيت ليلة البارحة.أتيت متأخرة.

- قال بوريس: نعم.

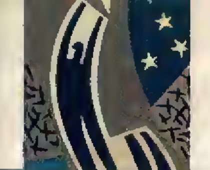
- سألته لونا: ألا تتذكر؟

- أتذكر .. أتيت متأخرة.

- ولا شيء غير ذلك ؟ هل تتذكر ما أخبرتك به؟

ازت آلة الحلاقة بينما كانت لونا هادئة في وسط الغرفة بلا أي متكأ وبلا أي نظرة يمكن أن توظفها، وبلا أفكار، الآن يجب أن أتكلم وأنقذ ما يمكن إنقاذه.





قلت لك بأني خدعتك مع أحد الرجال، ولا أعلم شخصيًا كيف حدث ذلك؟.

ذهبت البارحة للتسوق، ثم صادفت رجلاً .. وبالكاد كنت أعرفه، وكنت متعبة ومعتكرة البال، ذهبنا معًا إلى المقهى للحظة وأتذكر أنه تحدث كثيرًا وأننا ضحكنا معًا ثم ذهبنا إلى مكان ما، وحدث ما حدث يا بوريس .. إن كل ذلك بالنسبة إلي معيب .. ساعدني.

ـ قال بوريس تختلقين القصص مرة ثانية.

ـ أختلق .. لم أختلق شيئًا قط .. كنت دائمًا أقول الحقيقة.

ـ انتهى من الحلاقة تمامًا ومسح وجهه بالدهون .. من قبل قال لها من قبل .. كنت تتحدثين هكذا ولم يكن حقيقيًا.

ـ كان الأمر حقيقيًا دائمًا، وكلما كنت أقول لك كان ذلك يحدث لي وكنت دائمًا بائسة.

قال: لا أستطيع أن أصدقك، كم من المرات استمعت إلى مثل هذه القصص، وكم من مرة تحققت منها وفحصت واستقصيت ولم أكتشف شيئًا على الإطلاق .. إنك تتوهمين دائمًا.

ـ كانت حقيقة دائمًا يا بوريس .. منذ أن تعرفت إليك لم يكن لأحد وجود في حياتي .. ولكن يحدث لي أحيانًا ومن دون أن أعرف .. مثل تلك الأشياء الرهيبة .. وأنت لا تريد مساعدتي ..

لبس معطفه واستعد للخروج وملاقاة الثلج في صباح بارد .. لا يمكنني الاحتمال عندما أراك تتوهمين .. قال لها .. كيف يمكن أن أعيش مع زوجة واهمة ولا أستطيع تصديقها؟ .. لا يمكن أن أعيش مع مثل هذه الزوجة.

خرج وكان ذلك آخر خروج له، وبقيت لونا تلك الامرأة الطاهرة،وحيدة ودمعة في العين وعميقًا .. عميقًا داخل الروح.

العاصفة

معز الهميسي

طبرقة ـ تونس

في لحظة عاصفة مجنونة قرر قراره ووضع متاريس حول عاطفته وحدث نفسه قائلاً: سوف أتخلص من عذابك.. من السنوات المريرة التي عشتها معك.. ثم أنسى صوتك المبحوح الذي تابع خطواتي وأقلق غفواتي.. وأرتاح من أعمالك المدمرة.. سوف أنسلخ من ذاتي وأرمي بك هناك.

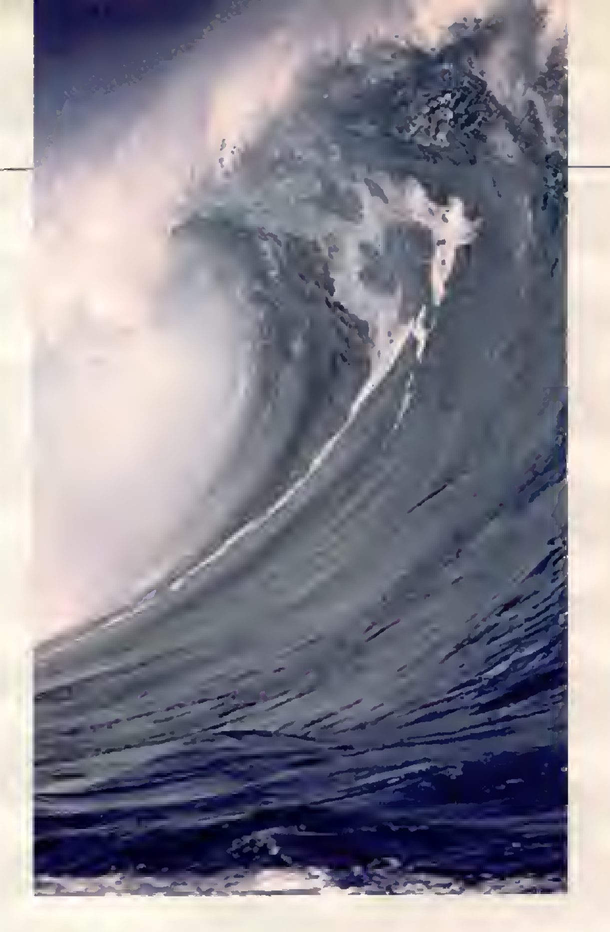
كان يحدث نفسه وهو يقود سيارته وقد وصل إلى أطراف المدينة مسترقًا النظرات إليها وهي نائمة على الكرسي بجواره.. ثم ينتابه شيء من الضحكات الهستيرية.. شاعرًا بنشوة النصر.. فقد زاد لها جرعة الحبوب المنومة.

أحس أن الظلام زحف مبكرًا.. فالسماء ملبدة بالغيوم، والهواء بدأ يعصف فقال لنفسه: سأسرع قبل أن تشتد العاصفة.. سأرمي بها بعيدًا ثم أهرب...

تلفت حوله وقال: «سأختار لها موقعًا مناسبًا.. وبعد العاصفة ستشرق حياتي مع بد اية الربيع».

توغلت سيارته في الطرق الترابية.. بدت له شجرة كبيرة ملتفة الأغصان فقال لنفسه: «هنا سأريح وأستريح».

ثم حمل الصغيرة ووضعها بهدوء.. نظر إليها نظرة وداع.. قاوم مشاعر متضاربة في داخله.. وركب سيارته مسرعًا قاصدًا العودة.



حاول الهروب بسيارته.. لكن العاصفة هاجمته قبل أن يبتعد كثيرًا عن الصغيرة النائمة... ضغط على مسرع البنزين كأنه بطل سباق.. فانغرست عجلات سيارته في التراب.

لف معطفه وأحكم رباط رأسه.. وخرج يحاول معالجة الموقف.. فتح باب السيارة، لفح وجهه الهواء البارد، فارتعدت مفاصله، ثم سمع صوت ذئب من قريب، فانهارت قواه، فبكى... أغلق باب سيارته، ووضع يده تحت ذقنه واسترسل في البكاء.. أخذ يذكر كلام أمها رحمها الله ـ: «إنها قدرنا يا رشيد... بل هو امتحان من الله لنا».. ويذكر إجابته لها: «أنا أدعو الله لها ليلاً ونهارًا»... فتجيبه بصوتها الحنون: «بل ادع لنا ولها يا رشيد».

تذكر ذلك وتنهد بعمق، ثم قال لنفسه: «كم عانت أمها معها وصبرت... أما أنا، فلم أحتملها سوى أشهر قليلة.. وها أنا أهرب من ذاتي وأرمي بها».

أحس أن ذنبه كبير جدًا لا يطاق، وأن نبع مشاعره تفجر فأغرق كيانه.. وعلم أنه سلك سبيل الشقاء والحزن...

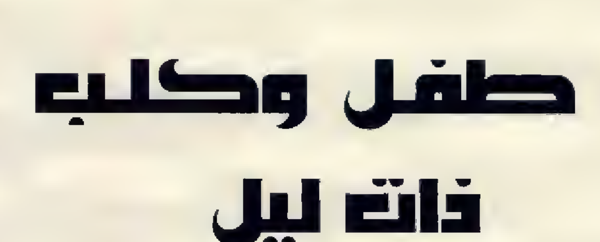
كيف يهرب من مشاعره الأبوية مدى الحياة؟.. وهو الذي استسلم بعد دقائق معدودات؟... بل كيف يتركها للذئاب تنهشها ويرمي نفسه بين رحى الألسن الحادة التي ستلاحقه، والنظرات المتسائلة التي ستتابعه؟...

اشتدت العاصفة، فنهض مسرعًا وخرج من سيارته باحثًا عنها كالمذعور وأخذ يركض بين الشجر.. رأى جميع الأشجار كبيرة، فأخذ يبحث تحت كل شجرة، ويشهق لهفة عليها، ويدعو الله ألا يكون قد اختطفها ذئب.. أو سرقها أحد.

لم يكتشف أنه غبي بليد، إلا في تلك اللحظات.. ركض ولهث وتعب، ثم سمع صوتها تبكي بذعر بالغ.. اختلطت الأصوات لديه: صوت الريح العاتية المنهمرة ممزوجًا بصوت الذئاب المذعورة. لكن صوتها هي: كان أخفت الأصوات في سمعه وأشدها في قلبه.

تابع الركض.. سارع الخطوات. خفق قلبه، قاوم مخاوفه.. إنه يريد أن يصل إليها عبر كل المتاهات التي يراها أمامه، بدأت خطواته تسير في الاتجاه الصحيح.. أصبح صوتها أكثر وضوحًا، اقترب منها، سبقت ذراعاه قدميه.. ضمها إليه.. عانقها بلهفة.. أغرقها بقبلاته ودموعه حدق في عينيها وقال: «عيناك الجميلتان قدري، وسوف أرضى به».

حملها ومسح رأسها وقال لنفسه: «رغم بلاهتها وتخلفها العقلي، فهي ابنتي... فلذة كبدي». وتذكر وجه أمها المضيء وثغرها الباسم وهي توصيه بابنته، قبل أن تلفظ أنفاسها إلى الأبد. ولم يلبث أن شق الصمت هدير السيارة عائدة من حيث أتت وحاملة بين ثناياها سعادة عائلة لن يقطعها إلا الموت.



آماليا رنديك
ترجمة: حسين عيد
الجيزة ـ مصر

تراجعت الشمس بأشعتها الذهبية وخبت. تمكن ضوء مصابيح الشارع الخافت بصعوبة أن يكبح الظلام والضباب، اللذين غزوا كل معسكر المنجم. وكانت مجموعة كبيرة من الرجال، مكوّنة من دقاقي الركائز، ميكانيكيين أو عمال، وزارعي ألغام، عائدة إلى بيوتها، خلال رحلة عودة بطيئة صامتة، لصعوبة التنفس من الهواء الضئيل؛ لأن منجم (شكيكاماتا) كان يقع على ارتفاع أكثر من ألفين وخمسمئة متر فوق سطح البحر.

وصلت المجموعة إلى مجاورة (بنكروفت) السكنية، وبدأت تتفرق وفق اتجاهات شوارع عمّال المعسكر المختلفة. وكان يمكن رؤية أضواء البيوت منسابة من النوافذ والأبواب نصف المفتوحة. استمر العامل جوان لابرا، الذي كان ميكانيكيًا قويًا وصديقًا مخلصًا، في السير عبر واحد من عدة شوارع ضيقة، لا تزال تتردد فيها أصداء من صفارات حادة وسارينات مناطق العمل. وسرعان ما تلاشت التجعدات من وجه لابرا الشاب، الذي تغضّن بتجعدات عميقة مثل عروق المعدن الخام، وملأت عينيه دفقة رقّة، بعد أن تقبّل بحفاوة استقبال أسرته المحب، فقد كان جوان الصغير يقف على باب البيت كما اعتاد أن يفعل كل يوم من فترة المساء. كان ولدًا عمره تسع سنوات، بعينين حيتين فضوليتين، قويّ تمامًا بالنسبة إلى عمره، وبقدمين محبتين للمشي. لم يمثّل المنجم أيّ أسرار بالنسبة إليه؛ فقد كان يعرف كل بوصة منه، وكل ما غمض من أمره. كما كان طفلاً كثير الكلام، ولم تكن ثرثرته تقاطع إلاّ بالابتسام. الآن، راح الطفل يراقب بفضول، وبوجهه الضاغط على بوابة الحديقة الحديدية، أمريكيًا شماليًا طويلاً جدًا يمشى وراء أبيه.

همس خائفًا لأبيه «أبي جرينجو يتبعك، إنه قادم إلى بيتنا!».

كان الشارع مهجورًا، وكان جوان الصغير مستثارًا بحضور بلاك، كلب الرعي الضخم، الذي يتبع سيده السيد ديفيز. كان بلاك واحدًا من أشياء قليلة، قدّر لها أن تلج إلى مشاعر ديفيز، كرفيق فريد لوجوده متوّحدًا على أرض أجنبية.

وتقدم، من فضلك يا سيد ديفيز، ماذا يمكنني أن أفعل من أجلك؟» قال عامل المنجم جوان لابرا باحترام، نازعًا خوذته المعدنية، وفاتحًا باب بوابة البيت الصغير، بعد أن تمكن بصعوبة من إخفاء دهشته لرؤية أحد ملاّك الشركة عند بابه.

«سوف أكون مختصرًا. ياسيد لابرا. إنني أحتاج معروفًا كبيرًا منك، لأنني يجب أن أغادر حالاً إلى (آنتوفا جاستا)، وأن أترك في كرم ضيافتك لعدّة أيام صديقي العزيز بلاك. ستكون رؤوما؛ لأنك في (كالما) نظّمت جماعة لحماية الحيوانات، وكل فرد يعرف ذلك» قال مستر ديفيز وهو ينظر إلى كلبه.

«هذا حسن. يا سيد ديفيز، وأشكرك على ثقتك بي. سيكون الكلب سعيدًا هنا، وسأتأكد دائمًا من أنه لا يعاني، ولسوف يعتني به في غيابي. ابني، جوان الصغير» هكذا وعد لابرا السيد، وهو يعدّل من وضع معطفه، شاعرًا برضا داخلي غريب.

«سأتركه بين يديك وأشكرك كثيرًا. أراك قريبًا يا سيد لابرا، سأعود سريعًا جدًا. بلاك... آه، لقد نسيت! سأترك هنا مخصصاته من لحوم معلّبة. إنها طعامه المفضّل»

بدا السيد وكلبه حزينين. تمسّح بلاك في بنطال سيده، وانحنى ديفيز ليربت رأس الكلب بخطمه البارز، ثم غادر الدار، فبدأ الكلب يتبعه، لكن ذراعي جوان الصغيرتين قيّدتاه كسلسلتين. نبح بلاك مترنحًا، وهو يتنشق الهواء. وكان لسانه الأحمر المبتل متدليًا من فمه وهو يلهث قلقًا. أغلق الولد البوابة. وقف بلاك منتصبًا. شاعرًا بالوحدة. كان فراؤه المتألق، نحوله، واحتماله الرزين لما يحدث، كلها دلائل على أصل كريم؛ فقد كان كلبًا ثمينًا. فاز في عدد من عروض الكلاب بفضل هذا الأصل.

بدأ الولد يتحدث مع الكلب كأخ أصغر، وفترة طويلة راقب كل منهما الآخر، دون أن تطرف أعينهما. كانت حملقة الكلب رزينة، بينما انعكس وجه الولد على عينيه مثل نقاط مضيئة بالغة الصغر. ربت بخجل ظهر الكلب، الذي كان يتنشّق الهواء، مجيبًا أخيرًا بحركة ممانعة من ذيله.

استمرّ جوان الصغير في حواره الذاتي مع بلاك. بدأ كل منهما يغرم بالآخر. ثم تفتّح يوم جديد، حين جاء الفجر عبر الظلام وساعات ضباب الليل، وبزغ كالمعتاد من بين رابيتين ضخمتين تكوّنان بركاني (سان بيدرو) و(سان بابلو) فبدا كل شيء مبتلاً باللون الأزرق.

صحا بلاك على صوت أول سارينة في فناء منزل العمال، وراقب حركة عمال المناجم، وبدا كما لو أن شيئًا عظيمًا قد استيقظ في قلبه أيضًا، فردّ على هذه الانطباعات بنباح بدا كالانفجارات. وكان أول ما فعله جوان الصغير، في عالمه المدهش، هو أن خرج ليرى صديقه الجديد. وخلال الأيام التالية، ذهبا معًا إلى كل مكان؛ تحدّيا الرياح، ركضا عبر زمام أرض شديد الرياح، كان هو الطريق إلى كالاما، مخترقين دون تعب الاتساع الهائل للهواء الضئيل.

لعبا معًا. غاصا في حفرة بقايا رمادية اللون لمنجم





صاص، كانت دون شكل، كتلة مهيبة من أرض معدنية. كما حاولا أن يجمعا معًا الانعكاسات المتألقة للأخضر المزرق والأصفر، التي تصنع ألوانًا براقة في ضوء الشمس.

هكذا، أمضيا ساعات طويلة بهذا الأسلوب، حتى ربطت الليالي بين جوان الصغير وبلاك بروابط صداقة، سرعان ما أصبحت أقوى وأقوى. لكن سحب قلق متنامية ظللت سعادة الولد الحيّة القصيرة، فقد كان يخشى اليوم الذي سينتهي فيه وجودهما معًا، لأنه كان متأكدًا أن السيد ديفيز سيعود ثانية.

«بابا، ألا يمكنك أن تطلب من السيد أن يعطينا بلاك؟ ولماذا لا يمكنك شراؤه؟»

أجاب العامل بابتسامة مريرة: «لا ياصغيري جوان، إن الكلب لن يكون لنا أبدًا. إنه كلب ممتاز، يساوي وزنه ذهبًا. إنه كلب رجل غني. يحب الجرينجو أن يمشوا مع كلاب مثل هذا الكلب، كما أنهم يقدمونها في عروض الكلاب»

أجاب جوان الصغير بإصرار: «حين أكبر سأشتريه» ثم ارتفع صوته موضحًا لأبيه ما يريد «أنا لا أريدهم أن يأخذوه! إنه صديقي!».

ذات يوم خلال عودتهما من نزهتهما سائرين على ضفاف نهر (لوا)، بدأت تهب رياح جبلية كريهة، حتى ابتلا من رذاذ ضباب رقيق. وحين وصلا إلى باب البيت توقفا، كما لو كان ذلك بسبب من خوف وفزع.

«السيد ديفيز!» لقد عاد. حاول الولد الصغير أن يشرح ما يعني الكلب بالنسبة إليه، لكن الكلمات غاضت في قلبه، وظلّ الظمأ في حلقه. لقد كانت لحظة حزينة.

«إلى اللقاء يا صديقي العزيز، وحظًا سعيدًا» تمتم الولد باكيًا، عاصرًا يديه بعصبية.

شكره السيد ديفيز بإخلاص. لكن الطفل، كرجل مهذب صغير، رفض أن يقبل أي مكافأة.

بدا بلاك كارهًا المشي وراء مالكه الرسمي، وراح متلهفًا يتفحص أركان الطريق، مودّعًا مجاورة العمال السكنية، في الطريق إلى المعسكر الأمريكي. كانت قد انتهت، الآن، مواجهة جوان الأولى مع اليأس، بعد أن تفكّر مليًا في حقيقة أنه لا يمكن له أبدًا أن يمتلك كلبًا ممتازًا، وفي الوقت ذاته استمر بلاك في مسيرته.

كان هناك انسجام في المشاعر قد ترسّخ بينهما.

لكن سرعان ما جاءت وحدة الليل، حين تفكّر الأرواح في نفسها حتى آخر شظية في الحياة ذاتها، فإذا هي تكتشّف عبث كل شيء. عندئذ انهارت دفاعات جوان الصغير وبدأ يبكي. ولعلّ شيئًا ما أثار شعور اتصال بين الولد والحيوان عبر الفضاء، لأنه في اللحظة نفسها بدأ الكلب يعوي في المعسكر الأمريكي، حين توهجت ذكريات بلاك عبر ذهن الولد، وكما لو كانت مدفوعة بقوة سرّية، فنبح الكلب بعنف ضار، سائلاً الريح أن تنقل رسالته إلى الولد. بدا الأمر حفلاً موسيقيًا حزينًا، سرعان ما أصبح يصيب بالصمم من شدّة النباح.

كما بكى جوان الصغير طوال الليل، متوسّلاً بالنواح، الذي سرعان ما أصبح حفلاً موسيقيًا غريبًا، ساط شوارع مدينة المناجم الساكنة.

كان السيد ديفيز مذهولاً من تصرّف بلاك. ماذا يمكن لرجل أن يفعل حين يواجه كلبًا يبكي؟، تملكت عقل الجرينجو حقيقة جديدة مفادها أن بلاك لم يعد يخصّه بعد الآن؛ فقد فَقَد حبّه.

لم يتمكن لابرا أن يريح ولده الصغير الباكي المحموم؛ لأنه ماذا يمكن لرجل أن يفعل حين يواجه ولدًا يبكي؟ أراد لابرا أن يرى ثانية ابتسامة ابنه السريعة الواثقة، وأحسّ بضرورة أن يسترد تلك الابتسامة. كم مرّة سابقة لسعه الفقر، لكنه لم يستطع أن يحتمل هذه

المرّة. يجب أن يحدث شيء غير عادي في مدينة المناجم في هذا الليل الصعب.

وكما لو أن الزمن قد جعل من كل الرجال إخوة، رمى لابرا عباءته على كتفيه، أخذ كشاف الضوء، ومضى إلى المجاورة السكنية العليا؛ ليرى إذا كان ممكنًا أن تتحقق معجزة. نعم، يجب أن يكون شجاعًا وجسورًا. لقد كان دائمًا عاملاً خجولا صامتًا، لكنه الآن يجب أن يطلب من أحد ملاّك الشركة بلاك العظيم، الجميل، الفائز بالجوائز. استنشق بعمق هواء الليل البارد وارتعش وهو يفكّر في جرأته الخاصة، ثم مضى صاعدًا باتجاه المعسكر الأمريكي.

فجأة، توهّجت على ضوء الفانوس عينان بنيتان فسفوريتان، فجفل لابرا. ولكن أوقفته رائحة غليون تدخين، وتبغ طيب ونباح أليف؟ ففي اللحظة ذاتها، كان السيد ديفيز قد خرج أيضًا كي يراه، وكان ماضيًا باتجاه منطقة سكن العمال!

لقد مسّ شيء ما قلبيّ الرجلين، فلم تعد للكلمات ضرورة.

«إنه لم يعد يخصّني بعد الآن» تمتم السيد ديفيز، مقدّما طوق بلاك المعدني الثقيل نحو يدي العامل.

أخذ لابرا الكلب بيديه المرتعشتين، وأطفأت ابتسامة سعيدة انقباضته لم تكن هناك عبارات شكر مفصّلة، بل فقط مجرّد فهم متبادل صامت. جرّ بلاك الرجل، وأجبره على أن يستمر متابعًا خطاه باتجاه مجاورة جوان الصغير.

في تلك اللحظة المعجزة، لطّف دفء جديد ليل منطقة شوكى.



الهوامش

- آماليا رنديك كاتبة تشيلية (١٩٢٨ ـ ١٩٨٨م)، تعدّ واحدة من أهم مؤلفي أدب الأطفال. كتبت أيضًا رواية بعنوان «باسوس ساتامبلوس» (١٩٦٩م).

هذه القصة من كتاب:

- Landscapes Of A New Land: Short Fiction By Latin American Women Edited by: Marjorie Agosin. White Pine Press, New York, 1989.

وقامت بترجمتها إلى اللغة الإنجليزية ميريام بن ـ آر



الفيصل فراشة الأمس واليوم والغد

تابعتها ... وسرت في أجوائها
عَلّي أجس السرّ في بلوائها
وأكشف المستور في أنبائها
وأعرف الأسباب في أرزائها
وأقرأ الغيوب في خبائها

«د. سعد ظلام ـ الفيصل العدد ٩٢ ـ نوفمبر ١٩٨٤م».

اخترتُ أن أبدأ رسالتي بهذا المقطع الجميل من قصيدة «فراشة تحتضر» للدكتور سعد ظلام التي نشرتها الفيصل قبل نحو تسعة عشر عامًا من اليوم، كنت حينها مازلت طفلاً يخطو خطواته الأولى بمدرسته الابتدائية في ريف جبلي يفتقر إلى أبسط مقومات الحياة العصرية، أما اليوم فأنا أحد المتابعين لمجلة الفيصل بصفة شبه مستمرة منذ أن عثرت عليها في سوق المدينة ... اليوم أيضًا وقعت بين يدي مجموعة من أعدادها القديمة في عقد الثمانينات. فمضيت أتامل صفحاتها وأبحر في طياتها وأتتبع موضوعاتها تتبع شاعرنا لفراشته المحتضرة ... وطاب لي أن أجتهد لوضع مقارنة بين أعداد المجلة القديمة وحديثها، ارتأيتُ إطلاعكم على حيثيات تلك المقارنة وذلك لحبي الشديد لمجلتي العزيزة .. لتستعيد رونقها ومجدها التليد، مع العلم أني قارئ عادي لا يملك أي رصيد ثقافي سوى ما يقع بين يديه من مجلات دورية عربية. يساعده الحظ كثيرًا على التقاطها. ومع ذلك آمل أن يكون لاستنتاجاتي تلك أثر ذو فائدة على المجلة فتتحول بجهودكم إلى فراشة راقصة بين أضلع محبيها وأفئدتهم من القراء، وفيما يلي ملخص تلك الاستنتاجات:

ـ احتوت الأعداد القديمة للمجلة على نبذة مختصره من كتاب العدد. وذلك إما في أوله إما في آخره ... في حين اختفى ذلك في الأعداد الحديثة، ولا يخفى على لبيب ما يترتب على تلك النبذة من انطباع حسن لدى القارئ المتابع لموضوعات المجلة خصوصًا ذات الطابع العلمي البحت.

ـ الموضوعات العلمية التي تناولتها المجلة في أعدادها القديمة امتازت بالشمولية والوضوح وبالأسلوب العلمي المتأدب الذي يجذب القارئ العادي والمتخصص على السواء لمتابعة الموضوع دون إحساس بالملل ... في حين فقدت الأعداد الحديثة تلك الميزة كُليًا أو جزئيًا.

ـ استطلاعات الأعداد القديمة ميزها التشويق والإمتاع والتنوع في بلاد الله المختلفة في حين بدا واضحًا ضعف ذلك في أعدادها الحديثة: وذلك ربما لاعتماد المجلة على قراء عاديين أو هواة في كتابة موضوعات كهذه.

ـ أبواب الأدب والتراث احتفظت بهيئتها مع فارق، وهو أن إطراء الموضوعات وإغنائها بديا أوسع في أعداد المجلة القديمة.

ـ أبواب ثابتة ظلت كما هي قديمًا وحديثًا دون تجديد أو تميز مع تغير طفيف في العناوين فقط مثل ردود وتعقيبات بدلاً عن مناقشات وتعليقات، والملف الثقافي بدلاً عن الحركة الثقافية في شهر ....إلخ.

ـ المسابقة الثقافية. ولأهمية هذا الباب ـ من وجهة نظري ـ لكونه يحقق فائدة ثقافية ومادية للقارئ ـ أرى أن



يتم إيلاؤه اهتمامًا خاصًا وإعادته إلى ماضيه على الأقل وفيما يلي جدول يوضح أهم الفروق بين مسابقة أعداد المجلة حديثها وقديمها:

- عدد الأسئلة: مسابقة الأعداد القديمة خمسة أسئلة يتألف كل سؤال من «فقرة إلى عدة فقرات» ومسابقة الأعداد الحديثة ستة أسئلة يتألف كل سؤال من فقرة واحدة فقط.

- مضمون الأسئلة: المسابقة القديمة أسئلة ذات طابع ثقافي متنوع من أدب وتراث وكتب وعلوم ..إلخ أما أسئلة الأعداد الجديدة فهي ذات طابع اصطلاحي بحت سرعان ما يصيبه العطب والنسيان مع بيت شعري وقائله.

- آلية الإجابة: في الأعداد القديمة تتم من خلال الرجوع إلى أعداد الفيصل السابقة. أما في الأعداد الحديثة فإجابات اختيارية يسهل العثور عليها في أي قاموس لغوي.

- الجوائز والفائزون: في الأعداد القديمة عشرة آلاف ريال نقدًا توزع لعشرين فائزًا أما في الأعداد الحديثة فثلاثة آلاف نقدًا توزع لستة فائزين فقط مع جائزتين عينيتين فقط .

- مدة الإجابة: في الأعداد القديمة بعد ٤٥ يومًا من صدور العدد والأعداد الحديثة ٤٥ يومًا من صدور العدد. وأترك التعليق هنا لكم وللقائمين على المجلة ...

- اختفت من الأعداد الجديدة أبواب ذات طابع معرفي ممتاز مثل دائرة المعارف والعالم في أرقام .. إلخ ولم يتم استبدالها بأبواب أخرى ملائمة.

ختامًا لكم جزيل الشكر لما تبذلونه من جهود في إعداد المجلة وإخراجها إلى النور.

وغدٌ أفضل لمجلتنا الحبيبة

عبدالصمد سعيد الكوري

صنعاء - اليمن

التحرير:

ننشر وجهة نظركم كما سبق أن نشرنا وجهات نظر تشيد بالثوب الجديد للمجلة، وكل الآراء تصب في النهاية في مصلحة المجلة والقارئ الكريم. ومابذلته من جهد واضح في تقويم أعداد المجلة ، وتتبعكم لمراحلها دليل ارتباطك الوثيق بها، وحرصك على تطورها. ونحن نستتير بآراء جميع الإخوة القراء في تلمس خطوات التطوير. وإذا جاز لنا تناول بعض ما طرحته فإن هناك اهتمامًا واضحًا بالمقالات العلمية وهي بأقلام مختصين، وتخضع للمراجعة العلمية الدقيقة، والاستطلاعات المصورة يعدها صحفيون ومختصون من بلاد كثيرة، وشملت هذه الاستطلاعات مدنًا ومتاحف وأسواقًا كثيرة لم يسبق تناولها بالعمق الذي طرح في المجلة، ولطول بعض المقالات كان الاستغناء عن بعض الأبواب والزوايا الثابتة، والغرض من المسابقة هو دفع القارئ الكريم إلى البحث عن الإجابات في بطون الكتب والموسوعات وهو متاح في ظل ثورة الاتصالات وشبكة الإنترنت. فشكرًا لك لما تكبدته من تعب من أجل هذا التقويم الذي سنستفيد منه بإذن الله. فمرحبًا بآرائكم، وآراء جميع القراء ومشاركاتكم للارتقاء بمستوى المجلة لتلبي رغبات غالبية القراء؛ لأن إرضاء الجميع غاية لا تدرك.

تعقيبا على مقالة العالم الفقيه ورائد الإعلام الحديث: عبداللطيف حمزة

تأتي رسالتي تعقيبًا على مقالة «العالم الفقيه ورائد الإعلام الحديث: عبداللطيف حمزة» التي نشرت في الفيصل في العدد رقم (٣٢٣) بتاريخ جمادى الآخرة ١٤٢٤هـ، يوليو/ تموز ٢٠٠٣م للدكتور صلاح محيي الدين محمد ...

ويأتي تعقيبنا على المقالة من عدة زوايا ومنها:

أولاً التعريف بهذا العالم الذي بدأ في بداية القرن العشرين، فكان رائدًا من رواد علم الاتصال والإعلام العربي ليس في مصر فحسب، ولكن في عالمنا العربي ...

ثانيًا: التعريف برسالته الماجستير وهي عن «ابن المقفع» وقد تقدم بها إلى جامعة فؤاد الأول «جامعة القاهرة الآن» عام ١٩٣٧م، منذ أكثر من ستين عامًا، ولا يكاد أحد من أجيالنا الحديثة يعرف عن عبداللطيف حمزة أي شيء ...

ثالثًا: تحدث الدكتور صلاح عن مفهوم مرحلة الأسلمة بمفهوم ضيق .. ويكاد يحصرها في السرد التاريخي، وفاته التحدث عن الإعلام الإسلامي والإعلام الدولي والإعلام الإسلامي والرأي العام العالمي، ... والإعلام الإنساني في الإسلام .. وهي نقاط كان لابد من تناولها والتحدث فيها.

أولاً: د. عبداللطيف حمزة هو من أبناء - جامعة فؤاد الأول - القاهرة الآن - كلية الآداب وقد تخرج فيها، وأعد رسالته للماجستير عن «ابن المقفع» تحت إشراف العالم الأديب أحمد أمير بك» الأستاذ بكلية الآداب .. وقد قدم للرسالة أحمد أمين يقول في تقديمه للرسالة: «فلما قدم لي تلميذي وزميلي عبداللطيف حمزة بحثه عن ابن المقفع قرأته بشغف؛ لأني كما ذكرته أحب ابن المقفع، وأحب أن يقرأ كل ما يكتب عنه، وألتذه كما يلتذ الطلعة منا يفضّ خطابًا حمله إليه البريد أو كما يلتذ الطفل عند فتحه «حلاوة البخت».

عرفته عبداللطيف حمزة يحب ابن المقفع، ويعنى به منذ كان طالبًا في كلية الآداب، وكلف كل طالب ببحث فاختار ابن المقفع، ودرسه في دقة وعناية، وقدم لي رسالة بذل فيها عامًا في جدد بحث واستقصاء، فلما قرأتها سررت بها وأعلنت له إعجابي بها ..

وأنا، إذ أقدم هذا الكتاب للقراء أهنّئ زميلي عبداللطيف حمزة ببحثه في ابن المقفع، وأرجو أن يكون عمله هذا باكورة لبحوث تتوالى وتتسامى فهل بعد الإرهاص إلا الإعجاز، وهل بعد الأزهار إلا الإثمار».

أحمد أمين

مصر الجديدة في ٣ مايو ١٩٣٧م.

وتنقسم الرسالة إلى أربعة أبواب وخاتمة.

وهي تتناول تعريف الثقافة الفارسية وآثارها، وابن المقفع وحياته وأخلاقه، والجوانب الفكرية في شخصيته وأسلوبه، ثم بعض اثاره وخصوصًا كليلة ودمنة.

الأثر الأدبي

والخاتمة عن الأثر الأدبي لابن المقفع ويقول فيها:

مضى العصر الأموي، ومضت معه الثقافة العربية الخالصة وكانت هذه الثقافة إذ ذاك مزاجًا من القرآن والحديث ومن النحو واللغة، ومن الشعر والأنساب، ومن

الأخبار والنوادر، ومن بعض السير والتاريخ - وهي ثقافة - كما ترى - بسيطة غير معقدة، بل هي تدل على أن الأمة العربية كانت بين طريقين: طريق بداوة وسذاجة قد مضى، وطريق علوم وحضارة قد أقبل - وكان العصر الأموي نفسه كان قنطرة عبرت عليها الأمة العربية من طور السهولة والفطرة إلى طور النضج والتعقيد - من أجل ذلك كانت ولم تزل - هذه الثقافة العربية الخالصة حبيبة إلى القلوب، كما كانت هذه الثقافة نفسها لم تزل ضرورية لتكوين الأدب، وأي أديب لم يأخذه جمال البداوة في هذا النوع من الأدب العربي الخالص؟ بل أي أديب حرص على أن يصل بينه وبين الناس دون أن يتخرج في أول أمره على هذه الثقافة العربية البحتة فتعلمه كيف يعبر، وتعلمه كيف يؤثر وتواتيه بما يشاء. وابن المقفع من أولئك الذين حرصوا على أن يصلوا بينهم وبين الناس عن طريق الكتابة، فاتصل اتصالاً قويًا بالثقافة العربية التي أخذها - عن آل الأهتم وعن الأعراب الوافدين من البادية، وعن العلماء والأدباء الذين عرفهم إذ ذاك.

الإعلام الإسلامي

ونأتي إلى النقطة الثالثة وهي الخاصة بالإعلام الإسلامي:

وتثور التفرقة بين الإعلام الإسلامي والإعلام الدولي:

فالإعلام الإسلامي يقوم على أساس من صلة الرحم بين بني الإنسان، وعلى أساس من التعارف والمودة وإقرار السلام؛ ولذلك فإن الأصل في الإعلام الإسلامي هو الود التراحم لا العداوة القاطعة؛ ولذلك يقول المولى سبحانه « يا أيها الذين آمنوا ادخلوا في السلم كافة ولا تتبعوا خطوات الشيطان إنه لكم عدو مبين، فإن زللتم من بعد ما جاءتكم البينات فاعلموا أن الله عزيز حكيم» [البقرة: ٢٠٨- ٢٠٩].

وليس من قبيل التعصب أن نذهب إلى أن الإعلام الإسلامي قد وضع الحلول الناجعة لكل المشكلات التي يعانيها اليوم الإعلام الدولي بالمصطلح الحديث الذي يسعى إلى تكوين الرأي العام العالمي. في حين أن الإعلام الإسلامي يسعى إلى تكوين الرأي العام الإنساني في إطار من الوحدة الإنسانية، وعلى أسس من العدالة والتعاون والتواد والسلام.

وهذه الاخلاق الإسلامية جميعًا تعد من صفات الداعية المسلم ورجل الإعلام الإسلامي - محليًا ودوليًا - فقد قال عليه الصلاة والسلام: «لايرحم الله من لا يرحم الناس»، «ولا تنزع الرحمة إلا ممن شقي» و«الراحمون يرحمهم الله تعالى»، «ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء»

فالرحمة إذن مبدأ من المبادئ المثلى في الإعلام الإسلامي؛ لأنها تؤدي في حقيقة الأمر إلى تحقيق التواصل في كيان الأمة الإسلامية على أرفع مستوى تحلم به نظريات الاتصال والإعلام في القديم والحديث.

وفي النهاية فهذه جملة النقاط التي أردنا التعقيب بها على مقال الأخ الفاضل/ صلاح محيي الدين محمد، وكان يتعين عليه أن يشير إليها في مقاله عن هذا العالم الفقيه، كما نعته، بذلك ويعطي بعض المعلومات عنه خصوصًا وأن رسالته التي تقدم بها لنيل الماجستير عن ابن المقفع مر عليها أكثر من ستين عامًا، وهي مدة - لا شك - طويلة بكل المقاييس، ويكاد الجيل الحاضر لا يعرف عن «عبداللطيف حمزة» أي شيء إلا النزر اليسير .. إذ الرجل ولد في أوائل القرن العشرين، وكتب رسالته في عام ١٩٢٧م.

إبراهيم عبدالوهاب شرف
جامعة المنصورة - مصر





النقد الثقافي: قراءة في الأنساق الثقافية العربية

أماني حاتم بسيسو
عمان ـ الأردن

لعل هذه القراءة لا تعدو كونها عرضًا موجزًا لكتاب الدكتور عبدالله الغذامي، الموسوم بـ (النقد الثقافي)، الذي يأخذ فيه بالدراسات الثقافية التي كسرت مركزية (النصّ)، ولم تعد تنظر إليه على أنه نص، ولا إلى الأثر الاجتماعي الذي قد يُظنّ أنه من إنتاج النص. فقد صارت تأخذ النص من حيث ما يتحقق فيه وما يتكشف عنه من أنظمة ثقافية. فالنص هنا وسيلة وأداة، لكن النص ليس هو الغاية القصوى للدراسات الثقافية، وإنما غايتها المبدئية هي الأنظمة الذاتية في فعلها الاجتماعي.

وقد قدّم الغذامي لكتابه بإشارة إلى مصطلح النقد الثقافي عند الحداثيين الغربيين، وقد رأيتُ أن أشير إليه فحسب، دون عرض ما جاء فيه؛ لأن ذلك أمرٌ يطول، وإنّما اكتفيت بعرض مفهوم الغذامي للنقد الثقافي وما جاء من تطبيقاته فيه.

وفي الختام عرضتُ لبعض النقود التي تسنى لي الاطلاع عليها خلال الفترة الوجيزة لإعداد هذه القراءة.

وآملُ أن أكون قد وفقت فيما إليه سعيت، والله من وراء القصد.

أصبح التصور السائد لمعنى (الأدبي) أنه: الخطاب الذي قررته المؤسسة الثقافية، حسب ما توارثته من مواصفات بلاغية وجمالية قديمة وحديثة. لذا احتُقر كتاب «ألف ليلة وليلة» واحتُرِم كتاب «كليلة ودمنة»، وهذا جنى على الأدب الرسمي، والشعبي؛ لأن الأدب الرسمي الراقي اكتسب قيمة متعالية حتى على النقد، فهو جمالي بالضرورة. وكل ما حكم عليه الناقد القديم بأنه جيد استمر جيدًا حتى عند الناقد الحديث (ومن ذلك أن المتنبي استمر رمزًا رغم عيوبه)، فلا بُد أن تخلّص ما هو أدبي من حدّه المؤسساتي، ولا بدّ أن نفتح المجال للخطابات الأخرى المنسية والمنفية. وبخاصة أننا نلاحظ أن غير المؤسساتي هو الأكثر تأثيرًا في الناس؛ لذا فتحرير المصطلح من قيده المؤسساتي هو الشرط الأول لتحرير النقد.

خطوات إحداث نقلة نوعية للفعل الأدبي من كونه



النقد الثقافي قراءة في الأنساق الثقافية العربية
د. عبد الله الغذامي
المركز الثقافي العربي ٢٠٠٠م

الأدبي، إلى كونه الثقافي: (نقلة في المصطلح النقدي، نقلة في المفهوم (النسق)، نقلة في الوظيفة، نقلة في التطبيق).

النقلة الاصطلاحية:

لا يمكننا الافتراض أن المنظومة الاصطلاحية النقدية ستخضع بسهولة لأي تغيير فردي يقوم به باحث مجتهد، وإنما يمكننا توظيف الأداة النقدية التي كانت أدبية ومعنية بالأدبي الجمالي، توظيفًا جديدًا لتكون أداة في (النقد الثقافي) لا الأدبي. والنقلة الاصطلاحية ستشمل ستة اصطلاحات أساسية هي:

أ. عناصر الرسالة (الوظيفة النسقية):

اقترح ياكبسون نموذجًا يركز في وظيفة الأدب في الاتصال مكوّنًا من: (المرسل، المرسل إليه، الرسالة، الشفرة، أداة الاتصال، السياق).

وتتنوع وظيفة اللغة حسب تركيزها في عنصر أو آخر من هذه العناصر، وتكون الوظيفة الأدبية الجمالية، حينما تركز في الرسالة نفسها. وهذا النموذج يركز كثيرًا في الأدبية، فهو لن يخدم مشروعنا إلا إذا أجرينا تعديلاً وأضفنا عنصرًا سابعًا هو (العنصر النسقي)، وبذا ستكتسب اللغة وظيفة سابعة هي الوظيفة النسقية.

النقد الثقافي ينقد المستهلك الثقافي لا الثقافة بإطلاق. فهو ينقد عملية الاستهلاك، أي الاستقبال الجماهيري لخطاب ما، ويجعله مستهلكًا عموميًّا، في حين أنه لا يتناسق مع ما نتصوره عن أنفسنا وعن وظيفتنا في الوجود.

ب ـ المجاز والمجاز الكلي:

المجاز الكلي، لا يقف عند حدود اللفظة والجملة، بل يتسع ليشمل الأبعاد النسقية في الخطاب وفي أفعال الاستقبال.

فنحن لا نريد المجاز بمفهومه البلاغي، بل بمفهومه الثقافي، أي أننا نريد أن يتجاوزمفهوم المجاز اللفظة المفردة والجملة إلى الخطاب.

ج ـ التورية الثقافية:

هناك خلل في مصطلح (التورية)، وبما أنه يشير صراحة إلى أنّ المقصود هو المعنى البعيد، وهو بهذا يخضع العملية للقصد أي للوعي، ثم يحولها إلى لعبة جمالية. وبهذا أصبحت البلاغة علمًا في الجماليات دون أن تكون أداة للنقد، وصارت مهمة الناقد ليست في الكشف ولكن في التفسير: (لماذا الجميل جميل؟) وكيف لنا أن نحاكي الجمال، دون أن نتعامل مع العيوب النسقية؟!

ويمكننا استعارة مصطلح (التورية) ونقله من علم البلاغة إلى حقل النقد الثقافي، لكنه إذ ذاك يدل على حال الخطاب، إذ ينطوي على بعدين: أحدهما مضمر، ولا شعوري (ليس في وعي المؤلف ولا القارئ) هو مضمر نسقي ثقافي لم يكتبه كاتب فرد.

د ـ نوع الدلالة (الدلالة النسقية):

النقد الأدبي قائم على أساس أن أدبية النص تزداد كلما ازدادت قدرته على إنتاج الدلالة الضمنية (وليست الصريحة)، والدلالة الصريحة مرتبطة بالشرط النحوي، ووظيفتها نفعية توصيلية، بينما الدلالة الضمنية ترتبط بالوظيفة الجمالية للغة.

والغذامي يقترح نوعًا ثالثًا هو: الدلالة النسقية، وهي ذات بُعد نقدي ثقافي، وترتبط بالجملة الثقافية. والدلالة النسقية نشأت بالتدريج عبر الأزمان المتفاوتة، وظلت تتنقل بين اللغة والذهن البشري بخفاء، ولذا فقد

ظلت متحكمة فينا وفي طرائق تفكيرنا، ومهما جرى لنا من تغيرات ثقافية أو حضارية، تظل هذه التغيرات شكلية لا تمس سوى الجوانب الخارجية، بسبب تحكم النسق فينا.

هـ ـ الجملة النوعية (الجملة الثقافية):

بما أن الدلالة الصريحة تستند إلى الجملة النحوية، والدلالة الضمنية تنشأ عن الجملة الأدبية، فإن لنا أن نقول: إن الدلالة النسقية تتولد من الجملة الثقافية، والجملة الثقافية هي المقابل النوعي للجملتين: النحوية والأدبية.

والثقافة هنا ـ كما يعرفها فيرتز ـ ليست مجرد حزمة من أنماط السلوك، وليست العادات والتقاليد والأعراف، إنما هي آليات الهيمنة من خطط وقوانين وتعليمات مهمتها هي التحكم بالسلوك.

و ـ المؤلف المزدوج:

في كل ما نقرأ هناك مؤلفان اثنان، أحدهما المؤلف المعهود، والثاني هو الثقافة ذاتها (المؤلف المضمر). والمؤلف المزدوج يرتبط بالدلالة النسقية حيث التناقض المركزي، وتفعل الأنساق أفاعيلها، وتلك هي مهمة النقد الثقافي للكشف.

والغذامي يشترط التناقض بين المضمر الدلالي (الدلالة المضمرة)، ومعطيات الخطاب (الدلالة الظاهرة).

مفهوم النسق الثقافي

سمات النسق كما يقترحها الغذامي:

- يتحدد النسق عبر وظيفته، وليس عبر وجوده المجرد، والوظيفة النسقية لا تحدث إلا حينما يتعارض نسقان أو نظامان من أنظمة الخطاب أحدهما ظاهر، والآخر مضمر. ويكون المضمر ناقضًا وناسخًا للظاهر. ويكون ذلك في نص واحد.

ويُشترط في النص أن يكون جماليًا جماهيريًا (الجمالي: ما عدّته الرعية الثقافية جميلاً، وليس ما عُدّ جماليًا حسب الشرط النقدي المؤسساتي).

- النص الذي ندرسه ليس نصًا أدبيًا وجماليًا فحسب، ولكنه أيضًا حادثة ثقافية. وهذا يعني أن الدلالة النسقية ستكون هي الأصل النظري للكشف والتساؤل، مع التسليم بوجود الدلالات الأخرى الصريحة والضمنية. إلا أنّ الدلالات الأخرى ما هي إلا أقنعة تختبئ من تحتها الأنساق.
- النسق من حيث هو دلالة مضمرة، فهي ليست من صنع المؤلف، ولكنها منكبتة ومنغرسة في الخطاب، مؤلفتها الثقافة ومستهلكوها الجماهير.
- النسق هنا ذو طبيعة سردية. وهو خفي ومضمر وقادر على الاختفاء دائمًا، ويستخدم أقنعة كثيرة أهمها قناع الجمالية اللغوية.
- الأنساق الثقافية هي أنساق تاريخية، وعلامتها اندفاع الجماهير إلى استهلاكها. من ذلك الإشاعات والنكت والأشعار التي تعتمد المجاز والتورية، وينطوي تحتها نسق ثقافي ثاوٍ في المضمر.
- إنّ هناك نوعًا من الطبيعة المجازية الكلية الجماعية (التورية الثقافية) التي تشكل المضمر الجمعي.
- النص الذي نعني أن يوجد التعارض فيه هو (الخطاب)، وقد يكون في نص مفرد أو نص طويل أو في مجموع إنتاج المؤلف.

يرى الغذامي أن شخصية الشحاذ والمنافق ـ في شعرنا العربي ـ من جهة، وشخصية الفرد المتوحد فحل الفحول من جهة ثانية قد برزتا، فصادتا نموذجًا سلوكيًا يعاد إنتاجه بما أنه نسق منغرس في الوجدان الثقافي

وظيفة النقد الثقافي: (من نقد النصوص إلى نقد الأنساق)

النقد الثقافي ينقد المستهلك الثقافي لا الثقافة بإطلاق، فهو ينقد عملية الاستهلاك، أي الاستقبال الجماهيري لخطاب ما، ويجعله مستهلكًا عموميًا، في حين أنه لا يتناسق مع ما نتصوره عن أنفسنا وعن وظيفتنا في الوجود. ومن مظاهر الحيل النسقية، التي تعزز بها الثقافة قيمها الدلالية.

أ. تغييب العقل وتغليب الوجدان.

ب - عزل اللغة عن التفكير، وإعطاء الجمالي قيمة تتعالى على العقلي والفكري.

ج - ثقافتنا تسوّغ كل قول شعري، وكل شخصية شعرية، واستمر ذلك حتى أصبحت القيم الشعرية تمرّ دون انتقاد. ولا عجب أن يقول بعض الناس: إن الحداثة العربية ظلت شعرية فحسب، ولم تؤثر في أنماط الخطابات الأخرى، كالفكر، والسياسة، والاقتصاد، ولم يدرك هؤلاء أن الشعر لمّا يزل مرتهنًا بعيوب نسقية لا تؤهله لأن يقود خطاب التحديث.

ووظيفة النقد الثقافي ليست كشف الجمالي - كما هو النقد الأدبي، إنما همه كشف المخبوء من تحت أقنعة البلاغي الجمالي. فالمطلوب إيجاد نظريات في (القبحيات) لا بمعنى البحث عن جماليات القبح، إنما بمعنى كشف حركة الأنساق وفعلها المضاد للوعي وللحس النقدي.

تحوّل الشعر من كونه صوتًا للقبيلة إلى كونه صوتًا للفرد، وهذا يعني أن الخطاب الثقافي كلّه صار خطابًا ذاتيًا فرديًا. ولقد تصاحب هذا التحول مع نشوء فن المديح، والمداح كذاب مبالغ. وقد أدى هذا إلى نشوء طبقة ثقافية جديدة تتسم بتلك السمات

في التطبيق (أنواع الأنساق)

نفاجأ أن شاعرًا كأدونيس (حداثي) يعيد إنتاج صيغة (الفحل) بكل عيوبه القديمة، وهذه هي صورة الطاغية.

أحد الأصول النسقية في ثقافتنا العربية، هو نسق (الشخصية الشعرية)، فنحن كائنات شعرية ولا شك، وهذا ليس خبرًا جميلاً، بل هو قد طبع ذاتنا الثقافية والإنسانية بعيوب نسقية فادحة مازلنا نعيد إنتاجها. والشعر كان هو المخزن الخطير لهذه الأنساق المضمرة، فهو الجرثومة المستترة بالجماليات. حتى النثر تشعرن، وكذا الخطاب الفكري والسياسي.. لقد تشعرنت الأنساق، وصرنا فعلاً الأمة الشاعرة، وفرحنا بهذه الصفات ولم نعِ ضررها.

على أنّ الهيمنة الشعرية لم تمر دون مقاومة، بل كان هناك ضروب من المقاومة.. وإن كانت ضعيفة، منها القصص المروية في أخبار الشعراء، وهي قصص ليست حقيقية، وهذا ما يمنحها قيمة ثقافية؛ لأنها لسان حال الثقافة في الاعتراض، ولكل شاعر قديم نصّان: أحدهما أشعاره المروية (حيث تظهر صورة الأنا المتعالية)، وقصصه المبثوثة في الكتب (وهذه القصص ظلت على الهامش لم نعرها اهتمامًا).

ولقد اكتسب الخطاب الشعري حصانة وقداسة جعلت نقده ضربًا من المحرمات الثقافية.

تطبيق النقد الثقافي

النسق الناسخ (اختراع الفحل):

يطرح الغذامي سؤالاً: هل المتنبي مبدع عظيم أم شحاذ عظيم؟!

ويرى أن شخصية الشحاذ والمنافق - في شعرنا

العربي ـ من جهة، وشخصية الفرد المتوحد فحل الفحول من جهة ثانية قد برزتا، فصادتا نموذجًا سلوكيًا يعاد إنتاجه بما أنه نسق منغرس في الوجدان الثقافي. (فعيوب الشعر النسقية كانت وراء عيوب الشخصية العربية ذاتها).

أيضًا اخترع الشعرُ صورةَ المادح والممدوح التي انغرست مع مرور الزمن لتشكل صورة للعلاقة الاجتماعية، فيما بين فئات المجتمع، من ثقافة المديح التي تقوم أوّل ما تقوم على الكذب. وصارت هذه العلاقة بين فئات المجتمع (المادح والممدوح والوسط الثقافي) ديدنًا ثقافيًا واجتماعيًا مطلوبًا ومنتظرًا.

شعرنا العربي شعر عظيم، لكن جمالياته العظيمة تخبئ قبحيات عظيمة أيضًا.

ومنذ البدء كان هناك تصوّر مزدوج للشعر، حيث ظل يظهر على صورتين متناقضتين: إحداهما تعليه وتمجده، والأخرى تقلل من شأنه، من ذلك موقف الإسلام من الشعر، كما أن هناك من ربط بين الشعر والقيم السلبية كالكذب والشر والشحاذة. من هؤلاء: (الجاحظ، ابن رشيق، الثعالبي، الأصمعي، التوحيدي)، ومن الشعراء (الفرزدق، شراء عمر أعراض المسلمين من الحطيئة). وهذه ليست سوى أمثلة على آراء مبثوثة في التراث لا تضع الشعر في موضع رفيع، إلا أنّ هذه الآراء لم تتطور إلى نظرية نقدية، لأن المؤسسة الثقافية الشعرية كانت أقوى وأنفذ، فالشعر علم العرب الذي لم يكن لهم علم سواه، وهو توصيف موضوعي صادق يصف الحال الثقافية للعرب، مما جعل الشعر ديوان العرب، وهذا جعل الشعر مصدرًا علميًا وتاريخيًا، كما جعل له قيمة أخلاقية، بما أنه ديوان المآثر وسجل الأخلاق، وهذا حوّل الشعراء إلى نماذج بشرية، تحتذى أقوالهم وأفعالهم، وأصبحت القيم الشعرية هي القيم الثقافية وقيم السلوك الاجتماعي، فتمت (شعرنة) الذات العربية، وشعرنة الخطاب العربي.



رسم متخيل للمتنبي

سقوط الشعر، وبروز الشاعر

في الجاهلية كان الشاعر صوت القبيلة، لكنه تخلى عن دوره هذا، ليهتم بمصلحته الخاصة أكثر، وحينما حدث هذا أخذت الخطابة موقعًا أهم من الشعر عند العرب. وأنواعها (الخطابة المنطقية، والخطابة الوظيفية، والخطابة الشاعرية).

والخطب الشاعرية كانت هي السائدة، وكانت تتحلى بكل السمات الشعرية أسلوبيًا إلا الوزن. وبذلك فنحن نحكم أن الشاعر لم يسقط فعلاً، وإنما تبدلت وسيلته.

ونسق هذه الخطب ونسق الشعر واحد، هو نسق التأثير لا نسق الإقناع، ولذا فإن النفس العربية قد جرى تدجينها لتكون نفسًا انفعالية تستجيب لدواعي الوجدان، أكثر من دواعي التفكير.



نزار قباني

وبذا لم يسهم النثر في إنقاذ الثقافة العربية من سلطة اللفظ الشعري.

ويأخذ الغذامي مثالاً على ذلك (ابن المقفع) الذي يعدّ أبرز فحول النثر حيث يقترح ابن المقفع نوعين من العقل: هما العقل الذاتي، والعقل الصنيع، والمحزن أننا لا نجد عنه إلا العقل الصنيع، حين يدعو إلى اتباع الأوائل ويقرر أنهم قد كفونا مؤونة التجارب والفطن، ويبقى دورنا فقط في الحفظ، وقد ألّف لنا ابن المقفع كتبًا تساعدنا على الحفظ.

وابن المقفع يعرّف البلاغة بأنها: تصوير الحق في صورة الباطل، وتبعًا لذلك صار يقاس رقي الخطاب بمقدار تعاليه عن العقل لا فاعليته، ولزم هذا أيضًا تصوير الباطل في صورة الحق. ولم يكن في ذلك ضير لولا تغلغل النسق الشعري إلى الذات العربية، وإلى القيم السلوكية الثقافية، وإهمال النقد عيوب الخطاب والانشغال بجمالياته.

الخطاب الحر/ الخطاب العاقل

يفرق التوحيدي بين النثر - مصدره العقل، والشعر - مصدره الحس، والنثر عنده خطاب حرّ وعقلي، في مقابل الشعر الفاقد لهاتين الصفتين، فإذا فقدهما، فهل نتوقع منه ناتجًا يدفع إلى الحرية والعقلانية؟!

ويعلق الغذامي على مقولة: ابتدأت الكتابة بعبد الحميد وختمت بابن العميد، قائلاً: إنه يرى أنها ختمت بعبد الحميد؛ لأنه مَنْ أدرك أنّ الكتابة تقوم على قيم هي ضدّ الفحولية الشعرية التي تعزز موقع الذات وتنكر الآخر (فدعا إلى المحبة في الله والوفاء لزملاء المهنة والرفق بالضعيف...)، بينما قامت كتابة ابن العميد على مراعاة البلاغة وحسب، وكما أنها اعتمدت على الصناعة والتصنع.

اختراع الفحل

تحوّل الشعر من كونه صوتًا للقبيلة إلى كونه صوتًا للفرد، وهذا يعني أن الخطاب الثقافي كلّه صار خطابًا ذاتيًا فرديًا. ولقد تصاحب هذا التحول مع نشوء فن المديح، والمداح كذاب مبالغ، وقد أدى هذا إلى نشوء طبقة ثقافية جديدة تتسم بتلك السمات التي اكتسبها الفن من مهنته الجديدة، وعبرها جرى ثقافيًا اختراع الفحل.

تزييف الخطاب/ صناعة الطاغية

تحول القيم: هناك قيمتان مركزيتان في النظام القبلي هما: الكرم (قيمة سلمية)، والشجاعة (قيمة حربية)، ولم يكن البدوي كريمًا؛ لأنه يريد أن يمدح ويخاف أن يُذم، ولكن لقيمة وجودية أشبه ما تكون بالحفاظ على النوع، لأن الجوع في الصحراء مهلكة.

وبما أن الكرم والشجاعة قيمتان جوهريتان في البقاء الإنساني البدوي، فإن إطراء أصحابهما صادق وحقيقي، ولا يمدح البدوي إلا من هو فعلاً ذو شجاعة وذو فضل.

ظهر الممدوح عبر ظهور ملك اكتسب وجاهة خاصة، إذ لم يعد شيخ قبيلة، غير أنه مازال يؤمن بالقيم القبلية، كالشجاعة والكرم، وهو محتاج إلى الاتصاف بها لتسويغ الزعامة. ومن أوائل من مدح للتكسب: النابغة، والأعشى، وصار الشعر بذلك لا ينبعث في الخيال إلا عبر أسباب الرغبة أو الرهبة.

ومع ظهور شخصية الممدوح ظهرت منظومة الصفات الشعرية، وتلك الصفات لم تعد واقعية وحقيقية فحسب، إنها صفات يستلزم الغرض الشعري قوتها. «مثلاً: حاتم الطائي كان شاعرًا وكريمًا - أي ممدوحًا ومادحًا - مثّل الرجل الذي يبذل لأجل غاية ما، هي (الأحاديث والذكر)»، وهكذا فقد تحولت قيمة الكرم من بُعدها الأخلاقي والإنساني، إلى بُعد شعري.

وقد أثر التحول في مفهوم الكرم في منظومة القيم العربية كلها، ذاك أنّ الكرم قيمة مركزية يعتمد عليها النظام الأخلاقي العربي، فهو لُبّ العلاقة بين الذات والآخر. وقد تغيرت علاقة الفرد بالفرد لتخضع لقانون الرغبة والرهبة تبعًا للنسق الثقافي الذي سنته ثقافة المدائح. واختفى الحس النقدي مذ جرى تسويق الكذب بوصفه شرطًا جوهريًا للمديح يقبله الممدوح، وجرى تسويغ القول الشعري من حيث هو فن لا يقاس بمقاييس الصدق والواقع.

ولكي تتم عملية تثبيت النسق، لا بُدّ من تربية الممدوح وترويضه على الإحساس بأنه محتاج حاجة غريزية إلى المادح، وأنه عالة على مديحه له، وأعطيات الممدوح لن تكون كرمًا وهبة بمقدار ما هي ثمن مستحق.

كان عمر بن عبدالعزيز أول رواد النقد الثقافي - فيما يرى الغذامي - لأنه لم يستقبل الشعراء المادحين ولم يُثِبهم، إلا أن نموذجه السياسي والأخلاقي والثقافي مات مع موته، لأن النسق أقوى وأمضى، وهو نسق لن تتخلص منه الثقافة إلا بمجهود نقدي شجاع ومتواصل. ونحن إذا تمعنا في الموروث الأدبي نكتشف أن الثقافة العربية تمنح المنزلة الأعلى لأسوأ أنواع الشعر من حيث القيمة الإنسانية (المديح، الهجاء، الفخر).

النسق المضمر

كل مديح يتضمن ويضمر الهجاء. والحطيئة هو مخترع الجملة النسقية التي تمزج المدح بالهجاء، وذلك في جملته الشهيرة عن الزبرقان بن بدر حيث وصفه بـ (الطاعم الكاسي)، وهو الوصف الذي يبدو عليه ظاهريًا الثناء، ويضمر ذمًّا مقذعًا، ولقد أدرك الزيرقان المعنى المغلف للجملة لكونه شاعرًا متربيًا على ثقافة النسق فليست تخفى عليه.. وأصبح هذا هو الديدن الشعري، وصار قانونًا نسقيًا محتذى، فجرير والبحتري - مثلاً - كانا يغيران المواقف مع تغير الأحوال، ويهجوان من مدحا، وهذه الأمور لم تعد موضع سؤال أخلاقي، إذ إن سؤال الأخلاق لم يعد قائمًا في الخطاب الشعري ولا في الخطاب النقدي، ولنا أن نتصور ما جلبه علينا إلغاء السؤال الأخلاقي في المكونات الثقافية للإنسان العربي.

المتنبي/النسقي

ليس إعجابنا بالمتنبي - يا للأسف - إلا استجابة نسقية غير واعية منا، إذ إننا واقعون تحت تأثير النسق الذي يحرك ذائقتنا، ويحدد خياراتنا. فقد صرنا نطرب لما يتوافق مع المواصفات النسقية، بعد أن تمت برمجتنا على نسق محدد.

ويصف الغذامي المتنبي بالخدّاع؛ لأن شعره لا يخدم إلا غرضه في التكسب، ثم يقول : «وإذا كان هذا هو ما يحدث لدى من نعدّه أهم شاعر عربي على مدى العصور

فهو ما يبين مدى تجذر النسق ، ومدى تمثيله الثقافي لضميرنا الثقافي المتشعرن والمتلبس بالنسق بكامل عيوبه، وما الجماليات إلا أدوات للمخادعة والمخاتلة الثقافية، حيث يتوسل النسق بالبلاغة للمرور غير مراقب وغير مرصود، وهذه حيلة ثقافية نسقية خطيرة يلزمنا كشفها وتعريتها، وهذا ما يسعى إليه النقد الثقافي.

أبو تمام/ شاعر رجعي

يرى الغذامي أن حداثة أبي تمام حداثة شكلية (في البلاغة والمجاز والجملة البلاغية)، فهو ينطوي على نسق القدامة بكل عيوبها، فمن ذلك إظهار تبرمه بمقولة: (ما ترك الأول للآخر شيئًا)، واعترض عليها بقوله: (كم ترك الأول للآخر)، وهي كلمة كم ستكون ذات دلالة تغييرية لو أنها صدقت، إذ إنه في القصيدة التي يورد فيها هذه الفكرة يمدح أحد الأمراء، وفيها يشير إلى أن ما تتضمنه قصيدته من ثناء على الممدوح لم يسبق أن ورد على لسان سابق، فالآخر هنا هو أبو تمام تحديدًا. وليست هذه المقولة إذن تضاد النسق بقدر ما هي تعززه وتصدر عنه.

اختراع الصمت/ نسقية المعارضة

في الأصل كان الكلام، فالكلام ليس تعبيرًا نفعيًا وجماليًا فحسب، بل إنه أيضًا ضرورة فطرية. والكلام ليس مخترعًا ثقافيًا، وإنما الصمت هو المخترع الثقافي. وقد كان الكلام حقًا شخصيًا حرًا يخص المتكلم المفرد من دون شرط أو قيد، إلا أن اكتشاف الإنسان أن الكلام يقدم وظيفة سياسية اجتماعية جعل الفرد يتحدث باسم الجماعة، وهنا بدأت تنشأ شروط الكلام. ومن يتحدث بلسان القبيلة سيكون هو الفحل، ومن أهم مهماته إسكات الخصوم.

نلاحظ أنّ ثقافتنا تحرص على ترويج الصمت على أنه قيمة عليا تفوق الكلام وتفضله، وهذا يستدعي التساؤل.. لماذا؟!، الجواب، لأن الأدب النسقي يقتضي عدم مواجهة الفحل، ولزوم الصمت أمامه حتى ولو أخطأ. فإن أخطاء الفحول صواب مجازي.

إن ما لا يجوز لغيرهم يجوز لهم، فهم أمراء الكلام، وكل فحل ثقافي مُحصّن ومحروس تحرسه الثقافة بكل وسائل الحماية، وتتخذه نموذجًا للقدوة الاجتماعية كنسق يثبت ويترسخ، لذا تظهر الثقافة كأنما هي في حال من التناقض، إذ تدعو إلى البلاغة وتمجد الخطابية، وفي مقابل ذلك تحث عى الصمت، وترغب فيه، وتجعله حكمة ومعدنًا ذهبيًا. فمن أجل أنها اخترعت شخصية الفحل الذي أصبح النموذج المحتذى نسقيًا، فهي قد اخترعت من أجله الصمت، وبذا يزول التناقض.

ويرى الغذامي أن هناك فارقًا بين الخطاب الشعري والخطاب السردي، حيث تجري في السرد تعرية النموذج الفحولي وعرضه بصورة ساخرة وهزلية مع كشف عيوبه وإبرازها على نقيض التأسيس الشعري الغارق في النسقية.

(من ذلك قصة امرئ القيس مع إحدى جواريه، حين اقترحت عليه تتمة بيته..

مكر مفر مقبل مدبر معًا

كجلمود صخر حطّه السيلُ من عَلِ)

وهذا يشير إلى وجود هاجس ثقافي معارض، يعري النسق الفحولي ويسخر منه. أي يسخر من الصيغة الرسمية، إلا أن بوادر المعارضة تقع في الحبائل النسقية، وإن عارضت المهيمن، فهي تتخذ الأساليب السلطوية نفسها، ولكن تفضح الفحل تضع أمامه فحلاً أقوى منه. ولا تفعل شيئًا إلا أنها تسلب القوة من هذا لتعطيها ذاك.

عودة الفحل/رجعية الحداثة

إذا كان السياب مع نازك يمثلان مشروعين في كسر عمود النسق الفحولي، والتأسيس لخطاب جديد، فإن

نزار وأدونيس سيتوليان إعادة الروح للنسق الفحولي. وبما أنّ نزار فحل يرث أسلافه من الفحول، فإنه سيضع نفسه في موضع المتعالي (وهذا ما نلمسه في شعره)، وهذه الفحولية ليست من إنتاج نزار بقدر ما هي موروث ثقافي استلهمه نزار، وانساق وراءه. ومشكلتنا أمام شعر كشعر نزار أننا استسلمنا لقاعدة نقدية (بلاغية) ذهبية تمنعنا من النظر في عيون الشعر لأنها تحرم علينا مساءلة الشاعر عن أفكاره، وتحدد لنا مجال الرؤية فيما هو جميل وبلاغي، وليس لنا النظر في العيب، والخطل الفكري.

ويكمن الخلل الثقافي في النقد الأدبي، وفي الاستقبال الأدبي، وفي عدم تمييزه بين الجمالي المجازي من جهة، والعلامات الثقافية النسقية من جهة ثانية. وتكتفي الممارسة الأدبية بالتذوق الجمالي متعامية عن عيوب الخطاب ومشكلاته النسقية.

وهذا ما يوجب قيام نقد ثقافي يعنى بعيوب الخطاب وما يختبئ وراء الجمالي. وليس الجمالي إلا غطاء تتقنع به الأنساق لتمرر هيمنتها على الذائقة العامة.

نقود حول الكتاب

من أهم المزالق التي وقع فيها الغذامي: اعتساف الفكرة أو الرأي واعتساف البرهنة عليها، والغذامي يبدو - في كل الحالات تقريبًا - مثل مَنْ يضع عنوانًا في البداية ثم يدلل عليه بأي صورة، ومطلوب منّا - بالطبع - امتثالاً لفكرةِ النسق أن نقتنع بصحة هذه الأفكار الجديدة. وفي كل ما يتمثل به الغذامي نراه يفصل الظاهرة الثقافية عن أفقها التاريخي والاجتماعي والفكري ليضعها في قالب جديد، يرى أنه أهم القوالب وأكثرها ضبطًا وإحكامًا، وهو فكرة النسق.

وقد تحولت فكرة الأنساق على يد الغذامي إلى طاغية من نوع آخر لا يختلف في شيء عن الطاغية بمفهومه السياسي (١).

كما ويحدث الغذامي نوعًا من التناقض الحاد بين الجمالي والأخلاقي، والكتاب ينحاز انحيازًا مطلقًا للجانب الأخلاقي على حين يأتي الجمالي دائمًا في موقع الاتهام.

ويأخذ الغذامي على الثقافة العربية أنها جعلت مصادر إلهام الشعراء مصادر فوق بشرية (بفكرة شياطين الشعر)، ولكن ماذا يقول الغذامي إذا عرف أن الشيطان أو الجني الملهم موجود في كل الثقافات التي نعرفها، وعلى ذلك فالموضوع ليس خاصًا بالثقافة العربية، ومن ثم ينبغي أن ننقد الثقافة بمفهومها العام

بدر شاكر السياب



العالمي إذا أردنا أن نصل في هذه المسائل إلى آراء أكثر شمولية وأكثر دقة وتحديدًا، وفي هذا الكتاب يلغي الغذامي كل المقولات التي عرض لها من قبل في كتابه المهم: (الخطيئة والتكفير) (٢).

ويرى الغذامي أن العالم الواقعي يصاغ في ضوء المنظومة الخطابية السائدة، وقول الغذامي: إن النسق الشعري السائد قد صاغ الذات العربية يحتاج إلى برهان لم يقم له وجود في الكتاب. ومع هذا فنشاطر الغذامي وجود درجة من التماثل بين القيم الشعرية والقيم الاجتماعية السائدة، لكننا لا نوافقه على مصدر التأثير، ولا الطريقة التي تمت بها (٣).

كما يقوم الغذامي بانتقاء جزئيات يضخمها، ويجعل منها قانونًا متحكمًا في النتائج التي يروم الوصول إليها، من ذلك النصوص المتناثرة لأبي تمام والمتنبي وغيرهما.

وبما أنه يعمل منذ زمن طويل في مجال نقد يأخذ في الحسبان السياقات الدلالية الكلية للنصوص الأدبية، وهي سياقات تُغذي الأبيات موضوع التحليل، فهل يجوز اقتطاع نصوص من سياقاتها، وإسقاط دلالات خارجية عليها؟ دلالات سياقية شكلها الكتاب منذ مقدمته، وفحواها أن نسق الشعر صاغ نسق البشر.

فالقارئ اليقظ يتفاجأ منذ اللحظة الأولى بأن الغذامي صادر على المطلوب، حينما طرح مجموعة متراكبة من الأسئلة التي تحمل أجوبتها معها: (هل الحداثة العربية حداثة رجعية؟ وهل جنى الشعر العربي على الشخصية العربية؟...إلخ). وقد أدى هذا المنهج في انتقاء المعطيات وتركيبها وتحليلها، إلى نتائج خطيرة، تجلّى ذلك في الجانب التطبيقي من المشروع، والتفتيش عن أدلة تبرهن على فكرة قَبْلية. والحقّ أن الأسلوب التفتيشي عن المعطيات والبراهين يحول دون الانغمار في التحليل الكلي والشامل للأنساق الكبرى التي ينبغي أن تكون هي الموضوع الرئيس للتحليل، فليس الحكمة في العثور على أدلة متناثرة، إنما الحكمة في تلازم الأدلة وتواترها وهيمنتها الكاملة التي تعمّ النتاج الشعري العربي كاملاً، بما يجعل ذلك ظاهرة مؤثرة (٤).

ويشدّد الغذامي على أن الأنساق الثقافية أنساق تاريخية أزلية وراسخة دائمًا، والانطلاق من مبدأ ثبات النسق الثقافي يجر إلى نتيجة أقل ما تتصف بها أنها نظرة غير تاريخية، إنما تجريدية مثالية. فكيف تكون الأنساق الثقافية قارة، وهي نتاج سياقات ثقافية متحولة؟. فالقول بأن «النفس العربية قد جرى تدجينها لتكون نفسًا انفعالية تستجيب لدواعي الوجدان أكثر من استجابتها لدواعي التفكير، وصارت الذات العربية كائنًا شعريًا تسكن للشعر، ولا تتحرك إلا حسب المعنى الشعري الذي تطرب له غير عابئة بالحقيقة»، قول يوافق أطروحة نظرية الطبائع التي أشاعتها المركزية الغربية في فرضيتها الهادفة إلى ترتيب الشعوب حسب الأهلية العقلية، وهي نظرية غادرها الغربيون أنفسهم (٥).

ويتناقض الغذامي بين تأكيده أن «الشعر هو الخطاب الذي احتكر مشروع التحديث في الثقافة العربية» وإقراره في أكثر من مكان بأن الحداثة الشعرية العربية حداثة رجعية، وهو بهذا يسلب الشعر صفة الحداثة إن وُجدت فيه، كذلك تفنيد الغذامي لرأي أدونيس القائل بأن الحداثة العربية وُجدت في الشعر، وليس في غيره، فقد فنّد الغذامي ذلك بقوله إنها حداثة مست الشكل دون الجوهر.

وبذل الغذامي جهدًا كبيرًا للبرهنة على مركزية الشاعر في المجتمع العربي. ومع أن هذه القضية لم تفحص بذاتها من منظور الدراسات الاجتماعية والنفسية، فإننا نرجح أن الواقع التاريخي لا يؤيدها. وإذا كانت لبعض الشعراء أهمية في أوساط النخبة الشعرية، فمن الصعب القول بوجود سلطة اعتبارية مستقلة للشاعر إلا استثناءات نادرة. فكبار الشعراء العرب من العصر



الأستاذ عبد الله الغذامي

الجاهلي إلى الآن عاشوا مهمّشين في مجتمعاتهم بين مرتحلين يبحثون عن رعاة لهم، ومداحين متذللين، ومنفيين مغضوب عليهم. ومن يحظ برعاية مؤقتة فهاجسه الخوف من غضب ممدوحه والعزوف عنه إلى غيره. ومن المؤكد أن النخبة الدينية والفكرية لم تعتد بأي قيمة تذكر للشاعر، وبالإجمال فالمجتمعات التقليدية تنظر إلى المشتغل بمجالات التعبير المجازي الرمزي (لغويًا كان أم صوتيًا أم جسديًا) نظرة يشوبها الاحتقار.

والشاعر العربي - منذ العصر الجاهلي إلى الآن - لم يؤسس سلطة أدبية اعتبارية خاصة به ومستقلة عن غيره، وكان في الغالب يلوذ بالآخرين وينطق بأسمائهم. وهو يبدو كائنًا تكميليًا ملحقًا، يُستدعى وقت الحاجة وإلا نبذ (٦).

والغذامي ينظر إلى ثقافة شبه الجزيرة العربية وبشرها نظرة صفاء مطلق، إنها المنطقة النقية البكر غير المدنسة، لحقها الدنس حينما جرى انقلاب على مفهوم القبيلة ونظامها، فيما تمثل بظهور مملكتي الغساسنة والمناذرة. وفكرة النقاء والدنس تتعارض تمامًا مع مشروع الغذامي الذي يقوم على حوار مُعمق مع ثقافة الآخرين، كما عرضها في الفصل الأول من الكتاب (٧).

ويحرص الغذامي على تأكيد الفكرة القائلة: إن النقد قد جارى الشعراء فيما يذهبون إليه. ولذلك تواطأ معه، وشغل بجماليات النصوص الشعرية، ولم يفلح في تأسيس نظرة نقدية مغايرة. وهذه الفكرة بعمومها ليست خاطئة، ولكن لا يستقيم أمرها تمامًا بوجود أكثر من دليل يعترضها، من ذلك موقف الإسلام من الشعر، وإهمال البُعد الجمالي لصالح البعد الوظيفي الداعم للدين (٨).

والغذامي - كغيره من الحداثيين العرب - مأخوذ بفكرة المركزية الغربية، فالثقافة الغربية هي المركز وما عداها أطراف، وهي المرجع الذي يحتكر الصواب، وما

عداها حاشية أو هامش أو إحالات، بدليل أنه من الصفحة الأولى يبدأ تعداده للنقلات النوعية في مجال النظر النقدي، فلا يعترف بغير ريتشاردز وبارط وفوكو، ولا يستوقفه أي نموذج من تراثنا النقدي القديم، أو إنجازنا الحديث، إلا حين تعوزه الأمثلة السلبية. وقد بلغ تأثر الغذامي بفكرة المركزية الغربية حدًا أصبح مستعدًا عنده لقبول أي رأي استشراقي في الأدب العربي، شعره ونثره. فهو يؤكد أن الحبّ لم يكن في يوم من الأيام باعثًا شعريًا عند العرب: لأن بروكلمان يقول ذلك.

أما أن النقد لم يهتم إلا بالأدب الرسمي (المؤسساتي)، فهذا غير دقيق. فلو فتحنا كتب السير والتراجم، وكتاب الأغاني خصوصًا، لوجدنا فيها الكثير من الأقوال التي يصدق عليها وصف المؤلف لها بالأعمال المهمشة والمهملة. ومن الأدباء مَنْ رأى ضرورة حذف هذه الأقوال، وترفعوا عن ذكرها في مؤلفاتهم لخلوها من السلامة في الأداء، وخلوها من مظاهر الفن القائم على الانتقاء والاختيار والأسلوب.

وأما أن المبالغة فطرة جُبل عليها العربي وطُبع، فأضحت عنوانًا لافتًا للشعر، الذي هو - في رأي الغذامي - مستودع الأكاذيب، فهذا لا يخلو من مخالطة مقصودة يتغاضى فيها عن الحقائق المدونة المذكورة. صحيح أنهم قالوا: (أعذب الشعر أكذبه)، ولكنهم لم يقصدوا هنا بالكذب مخالفة الحقيقة والواقع، وإنما قصدوا به التفنن في التعبير الذي يخرج المعنى الحقيقي والواقعي مخرج المتخيل الشعري، ولهذا قالوا أيضًا:

وإنّ أفضلَ بيتٍ أنتَ قائلُه

بيتٌ يقال إذا أنشدته: صدقا

فالتعبير الذي ينبني على التشبيه أو الاستعارة أو المغالاة والإفراط قد يبدو من النظر الأول تعبيرًا كاذبًا، ولكنه في نهاية المطاف أكثر صدقًا في الإبانة عن إحساس الشاعر من التعبير الحرفي. وهذه المسألة تتصل بشأن آخر من شؤون الشعرية العربية التي تطرّق إليها الغذامي، وتوصل فيها إلى رأي لا ينبغي لمن كان في مثل مكانته أن يراه (٩).

كما أن الطريقة التي يتفهم بها الغذامي تراثنا النقدي تقوم على اقتطاع جزء من القول، وإقصائه من السياق، ثم الاستنتاج. والانتقال من الاستنساخ المبني على مقدمات غير دقيقة إلى التعميم، وهذا أخطر ما في كتاب الغذامي، ومن ذلك ما أخذه على النسق الثقافي الغربي من أن الظاهر منه والمضمر نسق لفظي، مستشهدًا بما يرد في بيان الجاحظ من تفضيله اللفظ على المعنى. وما يراه د. إبراهيم خليل أن المؤلف انتزع قول الجاحظ من سياقه، فالجاحظ علّق بقوله هذا على بيتين من الشعر أعجب بهما أحدُ المؤدبين، في حين أنهما لا يختلفان عن النثر إلا في الوزن، والشعر عنده ضربٌ من النسج، ولون من التصوير.

ويرى د. إبراهيم خليل أن الغذامي - يا للأسف - ينتقي من التراث ما يريده، ويضرب صفحًا عما لا يريده، ثم يعمم ما يراه عيوبًا في بعض هذا الشعر على النسق، ملقيًا تبعات كل انحراف ثقافي أو سلوك حضاري على عاتق الشعر، متناسيًا أن الظاهرة النثرية في تراثنا أكبر بكثير من الظاهرة الشعرية (١٠).

المراجع

١. الغذامي الناقد - كتاب الرياض، حامد أبو أحمد: ٨٩ - ٩٠.
٢. نفسه: ٩٢ - ٩٩.
٣. الغذامي الناقد - كتاب الرياض، عبدالله إبراهيم: ٣٢٩.
٤. الغذامي الناقد - كتاب الرياض، عبدالله إبراهيم: ٣٣٠.
٥. نفسه ٣٣٢.
٦. الغذامي الناقد - كتاب الرياض، عبدالله إبراهيم: ٣٣٤ - ٣٣٩.
٧. نفسه: ٣٤١.
٨. الغذامي الناقد - كتاب الرياض، عبدالله إبراهيم: ٣٤١.
٩ - ١٠. صحيفة الرأي - العدد ١١٣٩١، إبراهيم خليل.



يوسف المحيميد في روايته فخاخ الرائحة ينصب لكم شراكه

نزار نجار

حماة ـ سورية



فخاخ الرائحة
يوسف المحيميد
بيروت: دار رياض الريس، ٢٠٠٣م

الرواية عالم يصعب تلمس مفاتيحه أحيانًا، وقد يضطر القارئ إلى إعادة قراءة النص الروائي غير مرّة ليستوثق من فهم مسيرة الشخوص وتداعيات الحوار، وتراكم الأحداث، وحين يفاجئك ـ هذا العالم ـ بالرؤى والتناقضات، تحتاج إلى إمعان النظر أكثر لتتأكد من أنّك وضعت يدك على هذه المفاتيح، ويبدو أنّ رواية «فخاخ الرائحة» للكاتب يوسف المحيميد كون ممتدّ كروح أسيانة، تضطرب فيها الأحلام، وتتنازعها الهواجس، روح تقفز في دنيا موارة بالألم والحزن والآمال المحبطة، والانكسار والوحشة، والتبرّم بتصاريف الأيام، وهناك سخرية مبطنة من الواقع والحياة، فكلّ شيء ينسدل فوقه إيقاع حزين، ليس فيه صوت، ولا تبدو من خلاله أيّ حقيقة!.. هل قلت: حقيقة! الصّور تتماهى حتى تحار وأنت تتابع تدفّق السرد، الأغصان جفّت، والشموس انطفأت، والجرار لم يعد فيه ماء، ولا بارقة أمل، ولا تلويحة رجاء، وهذه الرواية مفتوحة، مثل فخ، بل أكثر من فخّ، إنّها تتصيّدك، وتنصب لك الشراك بمهارة، لا تهادنك بل تأخذك على حين غرّة، تسير بك في طريق محفوفة بالدهشة، تبهرك ثم تطوّح بك بعيدًا، بعد أن أخذتك الحيرة، وتعدّدت أمامك المسارات.

يوسف المحيميد فنّان يعرف كيف يلتقط تفاصيل الأشياء، يرصد أدقّ الخلجات والنبضات، يرسم أرقّ المشاعر والأحاسيس في لغة انسيابية بعيدة عن التقعّر، لغة آسرة، تصل إليك من دون استئذان، فإذا أنت تنتقل عبر صفحات الرواية خطوة خطوة، العالم كلّه في تقاطعات. عالم الرواية وبناؤها السردي، يتلبس الكاتب دقائقهما وأسرارهما، يتلبسه ليعطي تجربته، ربما يشوبه افتعال، ربما يعتريه الوهن، ربما تختلط الأمور زمانًا ومكانًا، ولكنّه يبقى حاملاً تميّزه وخصوصيته، فهل كان يوسف المحيميد يتخيّل؟ هل كان رهين وعيه المحكوم بالقلق والتوتر والتربص والحذر والدوران في حلقة الإحساس بالانكسارات والإحباط؟

هذه الأحداث والوقائع الروائية تتهاوى أمامك.

لوحات منمنمة مشغولة بالحزن، سرّ الغناء الحزين، رحلة العذاب الأبدي، وثائق رسمية، عراك طويل، جسد ناضج كثمرة، رجولة مسلوبة، عراك مع الحرس، طفولة مستباحة، شهوة القمر، سجناء الرمال، رحلة الأحلام الشائكة، الخطيئة والعقاب، اكتفاء، بطول الذئب.. وتدور الأحداث، يتبدّى طراد (ابن القبائل الحرة، وابن البراري والوهاد الفسيحة) وقد صار (خادمًا أو ماسحًا أو عبدًا!) لكنه يعزّي نفسه (كلنا عبيده!) وطراد يريد السفر ولا يعرف إلى أين!. يريد أن يهرب، أن يغيّر الواقع الذي يعيشه، واقع قاس، كيف يغيّره، وهو محبط، يرفع الراية البيضاء، مسحوق، منكسر، مدوس ومهان، يتماهى الزمن مع الأحداث المتتابعة، يتماهى مع سائر الأمكنة، طراد ينتقل من حال إلى حال، وهو دائمًا يلفّ شماغه جيدًا حول رأسه، يخفي وجهه، يخفي خيبته وانكساره، يخفي حكايته، والكاتب يرصد كل شيء، يمنحنا أكثر من فرصة لنعرف سرّ طراد، صاحب الأذن المقطوعة، طراد السعودي الذي يعمل في أحطّ المهن، يقفز بعدئذ إلى توفيق (العم توفيق في صمته بعض الحكمة، كان صارمًا لا يضحك أبدًا، ولا حتى يبتسم!!) محبط آخر على الطريق يلتقطه قلم الروائي يوسف المحيميد، يبدأ معه (رحلة العذاب الأبدي). من قرية أم هباب وسط السودان، والجلابة تحرق القطاطي، والهروب الذي لا ينتهي، ثمّ فخّ الرائحة الذي يجذب الفارّين، (شخوص الرواية كلّهم منجذبون إلى الرائحة، يسقطون في فخاخها واحدًا واحدًا، كحيوانات مذعورة!!).

تسير رحلة توفيق السوداني بخطٍ موازٍ لرحلة طراد السعودي، الخطّان يقطعهما السرد الشائق، والروائي المحيميد بحكم شدّ الأحداث، حدثًا حدثًا، كاميرته تدور في الزوايا، تكشف المخبأ، وتفضح المغطّى، وتعرّي، وتدين، وتتهم، و.. تجلد..

طراد فقد أذنه اليسرى، أطاح بها ذئب، وتوفيق فقد رجولته بعد أن فقد من قبل عفّته على يد (الإريتري)! طراد فقد كل شيء، فهو صديق الشقاء وربيب التعاسة، وتوفيق ماذا يقول؟

ـ أنت فقدت أذنك يا زول، لكن المشكل من فقد حياته ومستقبله وسعادته واستقراره!

طراد وتوفيق وجهان لعملة واحدة لا قيمة لها في مسيرة العمر، حياتهما معًا سقطت في فخاخ الرائحة، سقطت في دائرة الحزن والاستلاب، لقد استبيحا منذ الصّغر، طراد يمضي بأذنه المقطوعة وانكساره الذي يلازمه كالظلّ، ثم تكون المفاجأة، طراد يلتقط الملف الأخضر، وأي ملف هذا؟ ملفّ الفضائح والأسرار، ملفّ الحبّ المحرّم والثمرة الملعونة!

براعة يوسف المحيميد تجلّت في رصد الشخصية الغامضة التي اقتحمت الخطين المتوازيين، دخلت من باب سرّيّ، بسرعة، ومن دون استئذان، وخرجت منه بأسرع مما يتصوره القارئ، بعد أن ارتكبت إثمها غير المعلن، وكانت الثمرة هذا الـ (ناصر) الحاضر الغائب، أما المرأة فقد كانت قريبة بعيدة صعبة المنال، سهلة، تكاد تسمع دقات قلبها، وهي تمنح سائق الكريسيدا موديل ٧٦ القبلة الأولى، وتتوالى المشاهد والمواقف، تتداخل تداخلاً متناغمًا، غابة من الشجر الملتفّ، تتعانق الأغصان بعفوية فيها وعذوبة، هناك فخاخ وراء السطور، الكاتب ينصب شراكها، وأنت تمشي بحذر كمن يجد نفسه في حقل ألغام، ربما هناك مناورة جديدة، ربما هناك منعطف غير متوقع، ربما ينبثق أحد من وراء الأكمة..

ـ كان صوتها ليلاً هائلاً وأكثر دفئًا وحنانًا، كانت صغيرة ومطلّقة.. قالت له:

ما أنهيت مشترياتي ذاك اليوم، كنت متجهة بسرعة إلى محل بيع ملابس جاهزة أريد استبدال بلوزة حمراء فضفاضة، ما صارت على مقاسي، كنت أنوي أرجعها قبل آذان المغرب، وقبل ما تقفل المحلات، لكنني مررت

بموقف التكاسي ولمحتك تلعب بشاربك، فأحسست بشيء داخلي، شيء تكهرب ثم رجعت، ما تجاوزت سيارتك بخطوات وركبت، يمكن تقول: إنني جريئة، لكن والله أول مرة تصير لي، شيء غصب عني رجّعني.. ما صرت أتحكم بتصرفاتي.

قالت له كلامًا ليليًا ساخنًا، وجامحًا، (فصل جسد ناضج كثمرة) يدسّ الكاتب بين الفينة والفينة بلغته الناهضة بعض المواقف يجعلنا في لحظة انبهار وهو يصوّر لقاءات حميمية سريعة لاهثة، لكنها مؤثرة وموحية. إنه يكشف عن خفايا نفسيات شخوصه، في لحظات تأزّمها، يستنجد بلغة بسيطة، قريبة، مأنوسة. ومدينة الرياض (المكان الموسوم للرواية حاضرة في الذاكرة، وإن أهمل الكاتب تفاصيلها)، مدينة التناقضات، ومدينة الأحلام الضائعة، والأماني المسفوحة، والرغبات المكتوبة. الكاتب ينساق إلى شخوصه، لا يريد أن يثقل كاهل روايته بما لا يخدم مسيرتها، ليس هناك من فراغ، فمنجزه الإبداعي لا يحمل أبعادًا رمزية، لا يحمل إيمائية، إنّه يصلك مباشرة بسهولة ويسر، لكنه لا يسلمك قياده إلا بمشقة، هو لا يعتمد التبسيط ولا التسطيح، غير أنّه يمنحك الفنّ، يمنحك الإسهام في الكشف عن خلفية أشخاصه، وعن دوافعهم ومعاناتهم، يستوعب جمالية السرد حتى لو قطّعه بالحوار، حتى لو تماهى الزمان مع الأمكنة دون حذر أو احتياط، فالتشويق يسوق القارئ، تتداخل أمامه كلّ التساؤلات، يختلط الداخل بالخارج في سرد سريع لاهث، يخرج بك من الخاص إلى العام، طراد ليس فردًا من هذا البلد، إنّه إنسان فوق كلّ أرض، وتحت كل سماء، ربّما يكون هناك من يحمل معاناته وانكساره في غير هذا البلد، البعد الإنساني لشخوص الرواية يمنحها قوة هائلة، يهبها حياة متدفقة، وتجددًا مستمرًا، ناصر مثلاً ليس فريدًا، لكنه يحمل امتيازه، وكذلك طراد وتوفيق، وسائق الكريسيدا (عبدالإله)، وهذه الرواية



يوسف المحيميد

تختلف عن أيّ رواية، عالمها يتشكل من خليط عجيب من الواقع والمتخيّل، من البعيد والقريب، من الممكن والمستحيل، ربما تقع مثل هذه الأحداث، وربما لا تقع، كل الحركات هنا والإيماءات والإشارات مألوفة، وكلّها أيضًا يمكن أن تكون غير متوقعة، طراد يريد السفر، ولكنّه لا يعرف إلى أين؟.. إلى جهنم!! وتوفيق يريد الحياة ولكن كيف؟ بعد أن فقد كل شيء، وناصر ماذا يريد، وهذا الملف الأخضر وهم أم حقيقة! وتلك المرأة، وذلك الرجل راعي الكريسيدا! أهم أشخاص لهم ظلال على أرض الواقع، أم أنّهم عابرون في المخيلة، لا أثر لهم ولا إيقاع، ولكنّه الفنّ الذي يتجلّى دائمًا بين هذه اللوحات، الفصول القصيرة، الفنّ الذي يحلق بك إلى السموات السبع، يجعلك تصغي إلى همساتهم، وتنهداتهم، ورفّات أجفانهم..

شخوص الرواية كلّهم وافدون إلى المدينة، وطراد يعبّر عن حالهم بقوله:

ـ دخلت المدينة دون أن أعرف أسرارها ومكايدها، دون أن أرى عددًا واضحًا ومحدّدًا، كي أنازله منازلة الشجعان (ص١١٧).

لكنّ المدينة لم تكن كذلك، لم تفعل شيئًا لأي منهم!.. فلماذا هذه التهمة؟! الكاتب يحمل تصوّرًا مسبقًا، جرى على لسان طراد عفو الخاطر.. ماذا فعلت المدينة ـ الرياض ـ لطراد؟! جاءها بأذن مقطوعة، ونفس موجوعة، احتضنت ألمه وعذابه، وهدهدت حزنه ومصابه، فلماذا يتحامل عليها؟! ومن أعداؤه فيها؟ ولربما اختلط الأمر على الكاتب حين ذكر (الإريتري) وما فعله مع توفيق الذي اقتيد واغتصب في السفينة، (فالزمن الذي يغوص فيه الحدث يعود إلى مئة عام، فهل كانت إريتريا معروفة آنذاك، وهي لم تستقل إلا في أخريات القرن الماضي، نحو عام ١٩٩١م)؟!

لم يترك يوسف المحيميد في هذه الرواية المتميزة الأسرة أي فسحة للرجاء، فقد أشاع الروح المأساوية في كل سطورها، جعلها تتغلغل حتى أعمق الأعماق، حمل الاستلاب والإحباط والانكسار، ورفع الرايات البيض، وسار يعلن خيبته المريرة بلا حدود، فهل كان ذلك في مصلحة هذا العمل الفريد، الجديد؟

كان الكاتب وفيًا أمينًا للبيئة والمكان، فأنطق شخوصه بما يتلاءم مع أمكنتهم، لكنّه لم يلتفت إلى المكان ذاته، ولم يأبه إلى تفصيلاته، همّه فقط أن يعمق شخوصه، وأن يجعلهم ينطقون بما يعتلج في أعماقهم، ويحرّك سلوكهم وتصرّفاتهم؛ لذلك بدت الأماكن شاحبة، والمدينة ـ الرياض ـ غائمة لا خطوط قوية تحدّد معالمها، ولا رسوم ملونة تهز مشاهدها، وكذلك المرفأ الذي توقفت فيه السفينة، بعد رحلتها من سواكن إلى (جدّة) على سبيل التخمين!.. لكنّه أحسن في وصف الصحراء وما فيها من حيوان، ورمل، وشمس لا تغيب!!

هذه الرواية عمل فنّي غير عادي، عمل مختلف، مثير للدهشة، ربما يقترب عالمها من عوالم عبدالرحمن منيف، أسهم عنوانها في تعميق الصلة بالنص الروائي، وأعطاه نهوضًا واستعلاءً، وقد وُفّق يوسف المحيميد في التقاط التفاصيل حتى خلته ينسلّ من قميص زولا، وقد اجتمع على نسيجه ثراء السرد الواقعي والمتخيّل المستحيل، والأحداث تجري كجياد في سباق محموم، يزحم بعضها بعضًا، واللغة الأسيانة ترشح بالصفاء والمودة والعطف، فإذا أنت مع طراد وتوفيق، والمرأة وعبدالإله، وناصر.. إذا أنت تردّد على لسان طراد الذي يريد أن يدافع عن حياة توفيق وجوهر وعنبر وغيرهم:

ـ لو كنت وزيرًا للحجّ كنت بحثت عن أمراء قوافل الحج الذين سلكوا درب الشفلّح ودرب الضيق، ودرب الشوك وغيرها من المسالك، ودفنتهم أحياء في الرمل، لو كنت وزيرًا للحجّ كنت بحثت عن كل قبطان سفينة شارك في سرقة الأوادم، أمثال توفيق وجوهر وعنبر وغيرهم حتى يبيعهم مثل البهائم، ثم أغرقتهم في البحر الأحمر..

لو.. لو.. (ص١١٧ ـ الرواية).

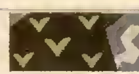
وتنتهي الرواية وطراد يحلم طويلاً، فهل يسافر.. لا.. قال لنفسه:

ـ سوف أتجوّل في هذا الجحيم قبل أن أذهب إلى غرفة توفيق، وقت طلوع النّور في فجر الرياض هو أحلى الأوقات، المدينة تكون مثل وجه شابة تطرد النعاس عن عينيها..

(ارتبط مصيره أي طراد بمصير توفيق، والمستَلبون ـ بفتح اللام ـ مصيرهم واحد.. وهدفهم واحد أيضًا..)!.

أخيرًا: هذه الرواية الجديدة (خبطة) من (خبطات) الإبداع في المملكة العربية السعودية بعيدًا عن أعين (العذال). تستحق كثيرًا من التأمل والاهتمام والحوار والمراجعة.





أبيــقـــورس: البـــا

...ـثة عن اللذة

صلاح بن عبدالله بن هندي
الأحساء ـ السعودية

ما فتئ الإنسان يبحث عن السعادة، ذلك الشعور الذي ما إن يخالط بشاشات القلوب حتى يحيل جَدْبها خصْبًا، وعُبُوسَها بهجة. وقد أجمع البشر ـ كل البشر ـ على أنهم بحاجة إليها، لكنهم اختلفوا في الطريق الموصل إليها، فمنهم من رآها في المال، وآخر رآها في الشهرة، وثالث رآها في الجمال، ورابعٌ وخامسٌ...إلخ. أما أبيقورس (٣٤١ ـ ٢٧٠ ق.م) ذلك الفيلسوف اليوناني الذي جاء بعد فلسفات كثيرة تأثّر ببعضها وأعرض عن بعض، فقد رأى أن السَّعادة في اللذة التي تحصل للإنسان من جرَّاء عمل يقوم به.

مولده ونشأته

ولد أبيقور في جزيرة شامِس، وقيل ساموس، في أسرة فقيرة، ودرس الفلسفة وعمره أربعة عشر عامًا، ولمّا (ذهب إلى أثينا لكي يثبت جنسيته صدر أمرٌ بطرد المستعمرين الأثينيين من ساموس، فصارت أسرته من اللاجئين في آسيا الصغرى) (١).

كان أبيقور معجبًا بفلسفة ديمقريطس (٤٦٠ ـ بداية القرن الرابع ق.م) الذَّرِّي، وقد تأثر بفلسفته في بداياته الفلسفية، وكان معجبًا أيضًا بأنكساغورس وأرخيلاوس ـ معلم سقراط.

بنى أبيقور مدرسته (حديقة أبيقور) في ميتيلين، ثمّ نقلها إلى أثينا التي جاء إليها وعمره ثماني عشرة سنة، ودرّس في هذه المدرسة ستًا وثلاثين سنة حتى وافاه الأجل عام ٢٧٠ ق.م، وكان عمره ٧٢ سنة.

فلسفته

قسَّم أبيقور فلسفته إلى: قانون، وطبيعيات، وأخلاق، وقد رفض أسلوب الجدل، وأثبت أنَّ أحاسيسنا ومفاهيمنا العقلية ومشاعرنا هي مقياس الحقيقة.

ثمّ قسم المشاعر قسمين: اللذه والألم وعرَّفهما بالملائم، وغير الملائم للكائن الحي. وهما أساس الاختيار والتجنُّب (٢). كما أنه «أنكر على الإنسان حق الاشتغال بالعلم من أجل العلم لأن العلم من أجل العلم لا يفيد شيئًا إذا لم يكن تحته عمل أو إذا لم يكن مؤديًا إلى السعادة عن طريق التطبيق (٣).

القانون عند أبيقور

لم يهتم أبيقور بالمنطق الذي هو مادة الفلسفة أو هيولاها، والذي اهتم به أرسطو بأن رتَّبه وبوّبه فاستحق بذلك أن يُلقَّب بالمعلم الأول. والسبب في عدم اهتمام أبيقور به هو: أن المنطق «بحثٌ عن نظرية لا تؤدي مطلقًا إلى وضع السلوك الإنساني بحيث يؤدي إلى السعادة» (٤). ولهذا فإنه اهتم بأمر آخر، وهو القانون، وعرّفه الدكتور عبدالرحمن بدوي بأنه: بحثٌ يتعلق بمصادر المعرفة وكيفية تمييز الصحيح من المعارف والكاذب (٥).

الطبيعيَّات عند أبيقور

أبيقور نحا منحى الرواقيين في أن الشيء



السعادة عند أبيقور هي الخلو من الهموم والأمراض

الحقيقي هو الذي يفعل وينفعل، ولا شيء مما لا يفعل ولا ينفعل بحقيقي.

وعندما جاء يميّز بين الأجسام الثقيلة والخفيفة قال بالخلاء، ويقصد بذلك أن الأجسام الثقيلة هي قليلة الخلاء، والأجسام الخفيفة هي الكثيرة الخلاء. فهو يرى أن (مجموع الموجودات في الكون يتألف من الأجسام والمكان، أي الخلاء الذي تحل فيه، وإلا لاستحال عليها أن توجد أو تتحرك. ووراء هذه الأجسام والخلاء الذي تتحرك فيه لا يوجد شيء قط (٦). وكان يرى أنَّ هناك أجسامًا (فردة هي الذَّرَّات، وهي الأصل في الكون ولا تَقْبَل الانقسام) (٧). وهي (تتحرك بسرعة واحدة متواصلة وأزلية، ولما كانت الذرات لا متناهية لزم أن ينجم عن اجتماعها على مدى الأزل عوالم لا متناهية، بعضها يشبه هذا العالم وبعضها لا يشبهه) (٨).

الإلهيات عند أبيقور

عندما نشد أبيقور اللذة في هذه الحياة ورآها أُسَّ السعادة، علم أن اللّذة لذّتان: معنوية وحسيّة، فالمعنوية تكمن في بُعد الإنسان وخلوّه من القلق والخوف وتراكم الهموم والغموم. أما الحسية فتكون في عدم تعرُّض الجسد للجروح والأمراض والآلام.

لذا فهو لم يكلّف نفسه العناء في محاسبة الآلهة؛ لأنّه اعتقد أن الآلهة لا دخل لها في حياة الإنسان، وبهذا خلص إلى أن عدم الإيمان بالمعتقدات الدينية التقليدية أسلم من الإيمان بها (٩)؛ لأنها تصيب المرء بالقلق من الماضي فتتعكّر عنده الحياة فلا يحس باللذة المنشودة!! وهذا لا يجعلنا نعتقد أن أبيقور لا يؤمن بوجود إله؛ فهو يؤمن بذلك، لكنه خلَّط في هذا الجانب لأجل تفشي المعتقدات الدينية الشعبية في وقته من تعدد الآلهة، وغير ذلك مما جعل الإيمان مشوشًا

لو بحثنا عن الحلقة المفقودة في حياة أبيقور وفلسفته لوجدنا أن السبب الذي دفعه إلى اعتناق هذه الفلسفة هو ما كان يعانيه من مرض سبب له فقدان اللَّذة في كل شيء



سقراط في لحظات أيامه الأخيرة

ومتناقضًا، فهو بذلك يُشقي ولا يُسعد.

يقول الدكتور يوسف ميخائيل أسعد: أما بالنسبة إلى الآلهة فإن أبيقور يعتقد بجزم بوجودها، ذلك أنه لا يستطيع أن ينكر وجودها بسبب ظاهرة انتشار فكرة وجود الآلهة على نطاق واسع بين الجماهير. بيد أنه تصنّع بأنها تُجشّم نفسها المشقة بالتدخل في عالم البشر. وعلى هذا فليس هناك أساس للخوف من غضب الآلهة أو من التعرض للعذاب بعد الموت (١٠).

عندما نشد أبيقور اللذة في هذه الحياة ورآها أُسَّ السعادة. علم أن اللّذة لذّتان: معنوية وحسيّة. فالمعنوية تكمن في بُعد الإنسان وخلوّه من القلق والخوف وتراكم الهموم والغموم. أما الحسية فتكون في عدم تعرُّض الجسد للجروح والأمراض والآلام

الأخلاق عند أبيقور

يقول أبيقور: «إن مقياس الخير هو اللذة ومفارقة الألم» (١١) لكنه لا ينظر إلى اللذة بحسبانها اللذة الحسية الصرف التي يجدها الإنسان في الإحساس المباشر (١٢). بل هو يرى أن اللذة التي يعنيها هي التي يستشعرها الإنسان بشعوره فيلتذّ بها. فالفضيلة إذا عملنا بها لأجل الفضيلة نفسها فهو أمرٌ يدعو إلى السخرية ما لم يصاحب هذا العمل لذة يجدها الإنسان.

رسم متخيل لأرسطو وسقراط

أنواع اللذة الأبيقورية

يخلص أبيقور أنّ اللذة المقصودة والمطلوبة خلاص الجسم من الألم والنفس من القلق، وهو ما دعاه الأبيقوريون بالأتاراكسيا أي هدوء عاصفة النفس أو الطمأنينة التي لا تقوم على طلب ملذّات المأكل والمشرب والمنكح، بل على التفكير الراجح والبحث عن أُسس الاختيار والاجتناب ونبذ المعتقدات التي بواسطتها تتحكّم أعظم العواصف بالنفس (١٣).

ثم يقسم أبيقور اللذات ثلاثة أنواع:

- ما هو ضروري وخير معًا، وقسمها إلى (سكوني وحركي) كالعطشان.
- ما ليس بضروري وإن كان خيرًا. مثاله التأنق في الملبس.
- ما ليس بضروري ولا هو خير. كالشهوة البهيمية.

ويقيس أبيقور اللّذة بشدتها لا بمدتها فكلما كانت اللذة أشد كانت أسعد للإنسان.

نظرة أبيقور إلى الموت

يعتقد أبيقور أنه لا حياة للإنسان غير هذه الحياة



لم يهتم أبيقور بالمنطق الذي هو مادة الفلسفة أو هيولاها، والذي اهتم به أرسطو بأن رتّبه وبوّبه فاستحق بذلك أن يُلقّب بالمعلم الأول. والسبب في عدم اهتمام أبيقور به هو: أن المنطق "بحثٌ عن نظرية لا تؤدي مطلقًا إلى وضع السلوك الإنساني بحيث يؤدي إلى السعادة"

التي نعيشها وعاشها مَنْ قبلنا، أما ما بعد الموت فهو أمرٌ لا يعنينا؛ لأننا في ذلك الوقت لسنا شيئًا. بهذه العقيدة - المنحرفة - خَلَص أبيقور إلى أنه لا داعي لذكر الموت وتخيله؛ لأنه يسبب القلق فتنتفي اللذة التي هي سبب السعادة الإنسانية.

فهو يقول عند الجزع من الموت: «فهذا الجزع لا أساس له من الواقع، فطالما كنا نحيا فالموت ليس شيئًا، وإذا متنا فلن نكون شيئًا» (١٤).

الحلقة المفقودة أو عُقْدة أبيقور

لو بحثنا عن الحلقة المفقودة في حياة أبيقور وفلسفته لوجدنا أن السبب الذي دفعه إلى اعتناق هذه الفلسفة هو ما كان يعانيه من مرض سبب له فقدان اللّذة في كل شيء. وقديمًا قال المتنبي:

ومن يك ذا فمٍ مرٍّ مريضٍ
يجدْ مُرًّا به الماءَ الزلالا

يقول الأستاذ روني إيلي ألفا: يجدر التنويه بعذاب أبيقور الجسماني الذي طال أمده من جرّاء التهاب في الكلى والذي أثر في فلسفته (١٥).

ويقول الدكتور يوسف ميخائيل أسعد: فإن حياته في أثينا كانت هادئة، ولم يكن يُعكّر صفوها سوى صحته العليلة (١٦).

إذن لا نعجب أن تكون هذه الفلسفة قد خرجت من هذه النفسية المعذبة والمحطمة، التي ما فتئت تبحث عن اللذة التي افتقدتها سنين طويلة، وقد أكّد أبيقور أن تكون هذه اللذة المنشودة هي التي يعقبها شعور الإنسان بهذه اللذة أي سعادته التي نشأت من جراء هذه اللذة، أما أن يتلبس الإنسان بهذه اللذة، ولا تحدث في نفسه شيئًا فبئست اللذة إذن، بل هو أمر يدعو إلى السخرية. وهذا يدفعنا إلى القول: إن أبيقور قد تهيأت له بعض اللذات، ولكن لمرضه لم يجد تلك اللذة التي كان ينشدها، وهي استشعاره وأُنسه بتلك اللذة، فهو إذن كذلك الرجل المخصي أو المجبوب الذي يملك زوجة حسناء يحسده الناس عليها، لكنه لا يجد ما يُشْعِرُه بلذتها، فقد تكون عذابًا وألمًا، لا نعيمًا ولذّة.

المراجع

١. قادة الفكر الفلسفي، يوسف ميخائيل سعد، ص٢٢٧.
٢. تاريخ الفلسفة اليونانية، ماجد فخري ، ص١٦٦.
٣. موسوعة الفلسفة، عبدالرحمن بدوي، ٨٢/١.
٤. المرجع نفسه، ٨٢/١.
٥. المرجع نفسه، ٨٢/١.
٦. تاريخ الفلسفة اليونانية، ماجد فخري، ١٦٧.
٧. موسوعة الفلسفة، ٨٤/١.
٨. تاريخ الفلسفة اليونانية، ١٦٧.
٩. موسوعة أعلام الفلسفة، لروني إيلي ألفا، ٥٢/١.
١٠. قادة الفكر الفلسفي، يوسف أسعد، ٢٣٠.
١١. موسوعة الفلسفة، عبدالرحمن بدوي، ٨٦/١.
١٢. المرجع نفسه.
١٣. تاريخ الفلسفة اليونانية، ماجد فخري، ١٦٩.
١٤. موسوعة الفلسفة، عبدالرحمن بدوي، ٨٩/١.
١٥. موسوعة أعلام الفلسفة، ٥٢/١.
١٦. قادة الفكر الفلسفي، ٢٢٧.



أسماء الفائزين في مسابقة العدد (٣٢٤) جمادى الآخرة ١٤٢٤هـ أغسطس ٢٠٠٣م.

الفائز الأول: إسماعيل عبدالله إسماعيل ـ صنعاء ـ اليمن.
الفائز الثاني: عائشة اليعقوبي ـ تمارة ـ المغرب.
الفائز الثالث: وفاء رمضان محمد حمد ـ الفيوم ـ مصر.
الفائز الرابع: ليما أحمد محمد ـ الزرقاء ـ الأردن.
الفائز الخامس: آمنة نجيب حاجي قدور ـ حلب ـ سورية.
الفائز السادس: ناهد أزهري خليفة ـ الدوحة ـ قطر.
الفائز السابع: درويش محمد بن محمد ـ قسنطينة ـ الجزائر.
الفائز الثامن: محمد خالد حسن ـ صنعاء ـ اليمن.

حل مسابقة العدد (٣٢٤)

١ـ وليس قولك «من هذا؟» بضائره
العرب تعرف من أنكرت والعجم.
قائل البيت هو: الفرزدق.

٢ـ الرق: نوع فاخر من الورق يُتَّخذ من جلود الغزلان أو الخراف.

٣ـ وادي الملكات: جبانة تضم مقابر الملكات زوجات الفراعنة.

٤ـ كابوكي: نمط من المسرح الياباني التقليدي.

٥ـ سيريناده: مقطوعة موسيقية تعزف ليلاً في الهواء الطلق.

أسئلة مسابقة العدد (٣٢٧)

ضع علامة ☑ أمام الإجابة الصحيحة:

(١) من قائل هذا البيت: يموت رديء الشعر من قبل أهلِه ... وجيده يبقى وإن مات قائله؟
- ☐ دعبل بن علي الخزاعي
- ☐ الفرزدق.

(٢) الفورمالديهايد:
- ☐ غاز عديم اللون نافذ الرائحة
- ☐ مادة لدائنية صامدة للحرارة.

(٣) تريستان تزارا:
- ☐ روائي فرنسي. أشهر آثاره رواية «آستريه»
- ☐ شاعر روماني باللغة الفرنسية. مؤسس الحركة الدادية Dada.

(٤) الصومالو:
- ☐ وحدة النقد في الصومال
- ☐ قبعة عريضة الحافة مألوفة في المكسيك وجنوب غرب الولايات المتحدة الأمريكية.

(٥) الوحدة الدولية:
- ☐ ـ لجنة متعددة الجنسيات تقدّم المشورة إلى الأمين العام في الأمم المتحدة
- ☐ ـ مقدار من الفيتامينات.. الخ. يحدث أثرًا بيولوجيًا معينًا.

الاسم: ________ المدينة: ________ ص.ب: ________ هاتف: ________

العنوان: ________ الدولة: ________ الرمز البريدي: ________ ناسوخ: ________

نأمل من الإخوة الذين يشاركون في المسابقة من خارج المملكة العربية السعودية كتابة أسمائهم بالحرف اللاتيني؛ لأن المصارف (البنوك) تصدر الشيكات الخارجية باللغة الانجليزية.

مضاعفة جوائز المسابقة

استجابة لرغبات عدد كبير من الإخوة القراء المتابعين للمسابقة والتي عبروا عنها من خلال الرسائل الكثيرة التي ظلت ترد إلى المجلة، ولإتاحة فرص الفوز بالجوائز لعدد أكبر منهم، فقد تمت مضاعفة عدد هذه الجوائز ابتداءً من العدد ٢٩٦ لتصبح على النحو الآتي:

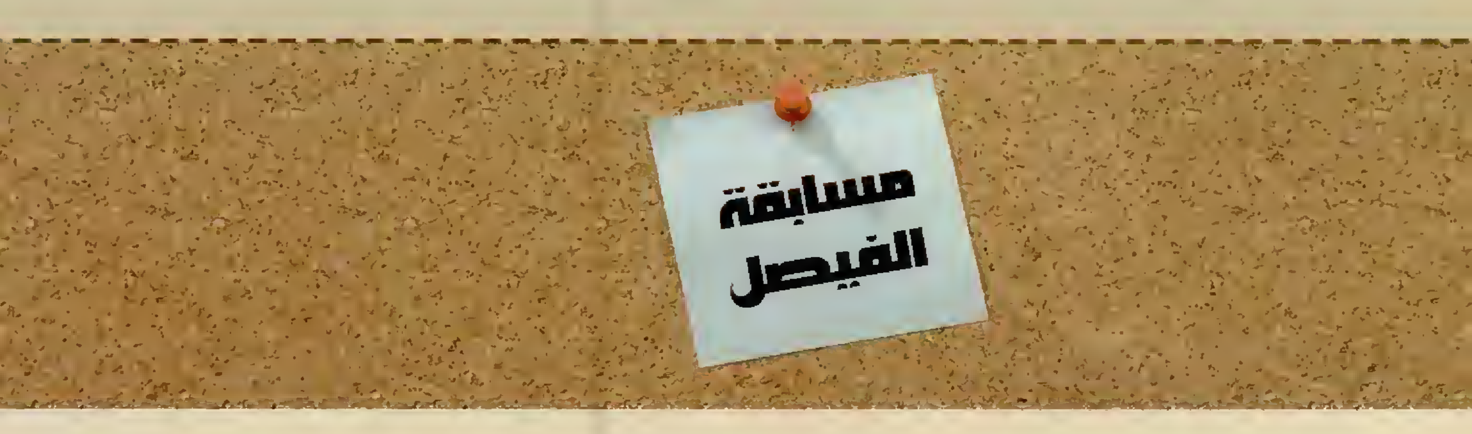
الجائزة الأولى: ١٠٠٠ ريال.
الجائزة الثانية: ٧٠٠ ريال.
الجائزة الثالثة: ٥٠٠ ريال.
الجائزة الرابعة: ٤٠٠ ريال.
الجائزة الخامسة: ٢٥٠ ريالاً.
الجائزة السادسة: ١٥٠ ريالاً.
الجائزة السابعة: (اشتراك لمدة عام في مجلة الفيصل).
الجائزة الثامنة: مجموعة من أعداد الفيصل وبعض إصدارات مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية.

ولا يخفى على القارئ المتابع أن الجوائز المستحدثة هي الرابعة والخامسة والسادسة والثامنة.

والفيصل، مع شكرها لكل الإخوة الذين يشاركونها الرأي في تطوير أبوابها. تأمل أن تكون عند حسن ظنهم دومًا. مع تمنياتنا حظًا وافرًا لجميع القراء الأعزاء.

تنويه:

نفيد الإخوة المتسابقين أن المجلة ستراعي ما حدث من تأخر في مواعيد صدور الأعداد الأخيرة لظروف فنية خارجة عن الإرادة. ولهذا فقد تم مدّ فترة تلقي المشاركات في المسابقات شهرين بدلاً من ٤٥ يومًا.



شروط المسابقة

- الإجابة عن جميع الأسئلة بشكل صحيح.
- لا تقبل إلا الإجابات المدونة على هذه القسيمة.
- إرسالها خلال ٤٥ يومًا من بداية الشهر العربي الذي صدر فيه العدد.
- أن يكتب المتسابق اسمه وعنوانه كاملاً داخل القسيمة.
- أن يكتب على الظرف (مسابقة العدد .....).

طريقة اختيار الفائزين

- تفرز جميع القسائم التي ترد من القراء.
- يتم استبعاد القسائم التي تكون ناقصة الإجابات.
- تجمع الإجابات الصحيحة، وتعمل قرعة بينها للفائز الأول، وقرعة أخرى للفائز الثاني، ثم قرعة للفائز الثالث، وهكذا إلى الفائز الثامن.
- ترسل الجوائز إلى أصحابها فور الوصول إلى النتيجة، وتدفع بالريال السعودي أو ما يعادله بالدولار الأمريكي.

عنوان المجلة

ص.ب (٣) - الرياض ١١٤١١ - المملكة العربية السعودية. هاتف: ٤٦٥٢٢٥٥ / ٤٦٥٣٠٢٧ - ناسوخ: ٤٦٤٧٨٥١

الملف الثقافي

- انعقاد مؤتمر (المعلومات والتنمية الوطنية)
- عودة الموناليزا السومرية
- كويتزي يفوز بجائزة نوبل للآداب
- رحيل المفكر إدوارد سعيد والممثل السعودي الشدي
- خاتمة المطاف: المدلول التاريخي لحادثة الإسراء والمعراج



ميديو مود يجلياني



المعلومات والتنمية الوطنية

رعى صاحب السمو الملكي الأمير سلمان بن عبدالعزيز أمير منطقة الرياض المشرف العام على مكتبة الملك فهد الوطنية في الحادي عشر من شعبان الماضي حفل افتتاح المؤتمر السنوي الثالث لجمعية المكتبات والمعلومات السعودية الذي جاء تحت عنوان «المعلومات والتنمية الوطنية»، نظمته الجمعية بالتعاون مع مكتبة الملك فهد الوطنية، بمقرها في الرياض، وشارك فيه عدد من الجهات الحكومية والمؤسسات والشركات المختصة. واشتمل المؤتمر على معرض مكتبة الملك فهد الوطنية الخاص بالصور التاريخية والوثائق والمخطوطات عن مدينة الرياض.

وألقى الامير سلمان كلمة بهذه المناسبة أكّد فيها أن الاهتمام بالأمر الثقافي جدير بأن تسخر له كل الجهود، وأن يساهم فيه الجميع، ونوه بالدور الكبير الذي تؤديه المكتبة في تزويد الباحثين والدارسين في مختلف مجالات المعرفة، وقال سموه: «إن الاهتمام بمثل هذه الأمور من الأشياء التي عرفها التاريخ العربي منذ القدم، وعندما شاهدت اليوم الأجهزة الفنية التي يستطيع الإنسان فيها أن يأخذ المعلومات وهو في أقصى الأرض في لحظات، تذكرت عندما كان طلبة العلم يرحلون من الشرق إلى الأندلس ومن الأندلس، إلى الشرق حتى يكتسبوا العلم وينسخوا الكتب».

واشتمل المعرض على ستة محاور هي: دور المعلومات في التنمية، وعناية خطط التنمية الخمسية بقضية المعلومات، والنظام الوطني للمعلومات في المملكة، وإسهام مؤسسات المعلومات في التنمية الوطنية، ودور المعلومات في الحكومة الإلكترونية، والصعوبات والمشكلات التي تواجه نظام المعلومات في المملكة.

وقدم خلال المؤتمر عدد من أوراق العمل كانت الأولى بعنوان «المكتبات والمعلومات في خطط التنمية السبع» للدكتور محمد جعفر عارف، وقدم الدكتور صالح بن محمد المسند «تصور للبنية الأساسية لمركز مقترح لأبحاث وتطور التربية والتعليم»، والدكتور ناصر بن محمد السويدان ورقة بعنوان «تنمية موارد الميزانية في المكتبات الجامعية». والدكتور هاشم فرحات سيد ورقة بعنوان «منظومة الإفادة من المعلومات في سياق النظام الوطني للمعلومات»، وتناول الدكتور جبريل بن حسن العريشي «الاتصال العلمي والمكتبات الرقمية»، وقدم الدكتور حسن بن عواد السريحي ورقة بعنوان «خدمات المعلومات الصحفية: رؤية

لواقعها في المملكة العربية السعودية وأبرز المشاكل التي تقف أمامها». وكانت المحاضرة الرئيسة في هذا المؤتمر بعنوان «نظام المركز الوطني للوثائق والمحفوظات بين المحدود والمأمول» قدمها الدكتور عباس صالح طاشكندي.



ندوة عالمية لدراسات تاريخ الجزيرة العربية

تحت رعاية معالي الدكتور عبدالله بن محمد الفيصل مدير جامعة الملك سعود عقدت في كلية الآداب بالجامعة الندوة العالمية الخامسة لدراسات تاريخ الجزيرة العربية، وجاءت الندوة بعنوان «الجزيرة العربية من قيام الدولة العباسية حتى نهاية القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي» في الفترة من ١٠ إلى ١٢ من شعبان ١٤٢٤هـ «الموافق ٦ إلى ٨ أكتوبر/ تشرين الأول ٢٠٠٣م».

وهدفت هذه الندوة إلى دراسة تاريخ الجزيرة العربية في مختلف العصور دراسة عميقة تشمل تاريخها السياسي والحضاري والاقتصادي، وتجلي عناصر الوحدة بين أقاليمها، وثراء التنوع في مجتمعاتها، والاستمرار والتغير في عاداتها وتقاليدها، وعلاقة المراكز الكبيرة للاستقرار الحضري فيها بالأرياف والبوادي، وعلاقاتها بالأقطار المجاورة والنائية، وتوظف فيها المصادر الأصلية الأدبية «المكتوبة» والآثارية، بحيث يفضي كل ذلك إلى كتابة تاريخ شامل يقوم على منهج علمي دقيق.

واشتملت الندوة على ستة محاور، جاء محورها الأول عن «الأحوال العامة في شبه الجزيرة العربية عند قيام الدولة العباسية»، والثاني عن «الأحوال السياسية والإدارية: الأحوال السياسية الداخلية، والأحوال الإدارية، والعلاقات الخارجية»، وتناول المحور الثالث «الأحوال الاقتصادية والاجتماعية»، وجاء المحور الرابع عن «الأحوال العلمية والأدبية والثقافية»، وتناول المحور الخامس «الآثار في شبه الجزيرة العربية: المواقع الأثرية، والعمارة والفنون، والكتابات والنقوش، والطرق ومنشآتها»، وكان آخر محاور الندوة عن «الأحوال البيئية»، وقدمت بحوث الندوة خلال ثماني جلسات بمشاركة عدد كبير من الباحثين والمهتمين بتاريخ الجزيرة العربية من السعودية وبقية الدول العربية.

والجدير بالذكر أن كلية الآداب في جامعة الملك سعود ممثلة بقسمي التاريخ، والآثار والمتاحف قد دأبت على إقامة الندوة العالمية لدراسات تاريخ الجزيرة العربية متناولة مختلف العصور بشكل تاريخي متسلسل، وقد عقدت منها - حتى الآن - أربع ندوات عالمية، خصصت الأولى منها لحصر المصادر التي يمكن أن يعوّل عليها في دراسات تاريخ الجزيرة العربية، بينما خصصت الثانية لحقبة ما قبل الإسلام، وشملت الثالثة عصر الرسول صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين، واقتصرت الرابعة على العصر الأموي، وتمشيًا مع السياق التاريخي فقد خصصت الندوة الخامسة لدراسات تاريخ الجزيرة العربية منذ قيام الدولة العباسية حتى نهاية القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي.

الشيخ حمد الجاسر وجهوده العلمية



تحت رعاية معالي الدكتور خالد بن محمد العنقري وزير التعليم العالي افتتحت في الرابع من شعبان الماضي ندوة «الشيخ حمد الجاسر وجهوده العلمية» بقاعة الشيخ حمد الجاسر بالمبنى ٢٦ بالمدينة الجامعية، واستمرت الندوة، التي شارك فيها نخبة من العلماء المتميزين والباحثين البارزين من المملكة العربية السعودية وبعض الدول العربية الأخرى، مدة يومين قدمت خلالها ٢٥ بحثًا حول فكر الشيخ حمد الجاسر ومؤلفاته، ومناقشة منهجه الثقافي والأدبي في التأليف، ومكانته العلمية وإنجازاته التي أغنت المكتبة العربية، وأعدت اللجنة المنظمة للاحتفال لقاءً مفتوحاً في « دار العرب» تحدث فيه زملاء الجاسر وتلاميذه وعددوا مآثره.

من ناحية أخرى نظمت الإدارة المركزية للمراكز العلمية بدار الكتب والوثائق القومية المصرية «مركز تحقيق التراث» في باكورة احتفاليات «شوامخ الفكر العربي» ندوة احتفالية في مقر دار الكتب بالقاهرة تكريمًا وإحياءً للذكرى الثالثة لرحيل الشيخ حمد الجاسر - رحمه الله، وقد شهد الندوة عدد كبير من أساتذة الجامعات والأكاديميين والمثقفين والدبلوماسيين المصريين والسعوديين، ونوقشت فيها جوانب متعددة من فروع العلم التي برز فيها الشيخ حمد الجاسر خلال رحلة حياته التي امتدت واحدًا وتسعين عامًا.

منتدى الإعلام العربي

افتتح الفريق الأول سمو الشيخ محمد بن راشد آل مكتوم ولي عهد دبي وزير الدفاع بدولة الإمارات العربية المتحدة في السابع من أكتوبر/ تشرين الأول الماضي أعمال الدورة الثالثة لمنتدى الإعلام العربي بحضور المستشار الألماني غيرهارد شوردر وأكثر من ٥٠٠ شخصية إعلامية بارزة من مختلف دول العالم.

وقد خاطب الجلسة الافتتاحية للمؤتمر، الذي استمر مدة يومين، كل من الشيخ محمد بن راشد آل مكتوم، والمستشار الألماني غيرهارد شوردر، والشيخ عبدالله بن زايد وزير الإعلام الإماراتي وكريس كريمر الرئيس التنفيذي لشبكة سي إن إن العالمية.

وشهدت أيام المؤتمر عددًا من الجلسات الساخنة والندوات التي طرحت قضايا حساسة تناقش للمرة الأولى بحرية كاملة في الطرح والموضوعية التامة في النقد الذاتي، كما عقد على هامش المؤتمر عدد من ورش العمل التي ناقشت موضوعات متخصصة شملت الإعلاميات العربيات - الوقائع والتحديات، واستهداف الصحفيين في البيئات المعادية، وتأثير وسائل الإعلام في العالم العربي، والصحفيون تحت الاحتلال، وكان العراق حاضرًا بقوة خلال أيام المؤتمر إذ خصصت فعاليات اليوم الثاني بالكامل لـ (العراق كدراسة حالة)، حيث ناقش المتحدثون عدة محاور تبحث كيفية تعاطي وسائل الإعلام العربية والغربية مع الحرب، بهدف تسهيل عمليات الاتصال وفتح قنوات الحوار بين الإعلاميين وأصحاب الرأي من العالمين العربي والغربي.

واختتم المنتدى أعماله بندوة تحت عنوان: «الإعلام الغربي والإعلام العربي: رؤى متبادلة» تحدثت خلالها الدكتورة حنان عشراوي عضو المجلس التشريعي الفلسطيني، ومارتن ولوكوت من صحيفة «الغارديان» البريطانية، والدكتور هشام شرابي من جامعة جورج تاون الأمريكية، وجورج لوري رئيس الأخبار في تلفزيون ستار - هونغ كونغ، وجميل مروة رئيس تحرير صحيفة «ديلي ستار» من لبنان، وأدار الجلسة الأستاذ عثمان العمير رئيس تحرير صحيفة «إيلاف» الإلكترونية.

وقد تزامن مع هذا المؤتمر تكريم الفائزين بجائزة الصحافة العربية في عدد من المجالات الصحفية. وقد حظي حفل توزيع الجائزة بحضور مكثف من الشخصيات والقيادات الإعلامية والأكاديمية والدولية والعربية المشاركة في المنتدى.

وتضم الجائزة التي تبلغ القيمة الإجمالية لجوائزها النقدية ٢٣٠ ألف دولار ١٢ فئة مختلفة، بالإضافة إلى شخصية العام الإعلامية للصحافة المكتوبة، وتشمل فئات الجائزة: جائزة الصحافة السياسية، وجائزة الصحافة الاقتصادية، وجائزة التحقيقات الصحافية، وجائزة أفضل عمود صحافي، وجائزة أفضل صورة صحافية، وجائزة أفضل حوار صحفي، وغير ذلك.

متحف بغداد يستقبل الموناليزا السومرية

بدأ متحف بغداد الوطني يسترد عافيته بشكل تدريجي بعد المحنة التي تعرض لها إبان الغزو الأمريكي الأخير للعراق. فقد بدأت بعض التحف النفيسة التي سرقت من المتحف خلال الأيام الأولى للغزو تعود مرة أخرى. وعلى رأس هذه التحف تمثال «سيدة أوركي» التي أطلق عليها فيما بعد اسم الموناليزا السومرية الذي سُلم سليمًا باستثناء بقعة على الخد.

ويتصدر هذا التمثال الذي يبلغ عمره نحو خمسة آلاف عام قائمة من ٣٠ قطعة أثرية لا تقدر بثمن نهبت من المتحف، وهو من أوائل المنحوتات للوجه البشري ويرجع تاريخه إلى نحو ٣٥٠٠ عام قبل الميلاد.

وكان اللصوص قد تمكنوا من سرقة تمثال ضخم من البرونز يعود إلى مملكة أكاديا وزنه ٢٧٢ كيلوجرامًا عن طريق فتحة في الجدار، كما نهب اللصوص تمثالين من البرونز لثورين راقدين يعودان إلى عام ٢٥٠٠ قبل الميلاد، وفقدت أكثر من عشرة آلاف قطعة من المتحف منها ٣٠ قطعة رئيسة مثل تمثال باسيتكي، ووجه من الرخام لامرأة سومرية، وسرق من المتحف أيضًا تمثال

حجري للملك المقاتل شلمنصر الثالث من القرن التاسع قبل الميلاد، وأعيد ولكن في ست قطع، وأصلح التمثال واحتل مكانه في قاعة المعروضات.

وكانت قـاعـة واحـدة من قـاعـات المتحف هـي التي نجت من النهب لضخامة محتوياتها، ومنها لوحات هائلة من الحجر الجيري معلقة على جدران القاعة، وكانت تزين قصور المدن الآشورية مثل النمرود ونينوى، وتصدر اللوحات معارك وملوك وقادة وخدم. ونجا من السرقة ثوران مجنحان لهما رأس إنسان وأجنحة نسر من أيدي اللصوص بفضل وزنهما الثقيل الذي يبلغ نحو ٤٠ طنًا.

والمتحف مغلق منذ الحرب، وقد فتح مدة ساعتين فقط في شهر يوليو/تموز الماضي حين قام بول بريمر الحاكم الأمريكي للعراق وحفنة من كبار الزوار بجولة لمشاهدة مجموعة مجوهرات رائعة تعرف باسم «كنز النمرود»، ولم يتحدد موعد بعد لفتح أبواب المتحف الذي يضم كنوزًا من حضارات بلاد ما بين النهرين المتعاقبة. سومر، وأكاديا، وبابل التي ابتكرت اللغة المكتوبة، ورصدت النجوم، وشرعت القوانين.



أحزان حموراتي والاحتفاء بالأدب العراقي

صدر حديثًا عن مركز القاهرة لدراسات حقوق الإنسان كتاب بعنوان «أحزان حمورابي: قصائد من أجل حرية العراق»، وقد ضم الكتاب قصائد لنحو ٣٥ شاعرًا عربيًا من أجيال مختلفة أنشدوها من أجل حرية العراق سواء ضد الوجود الأمريكي الراهن أو ضد نظام صدام حسين السابق، ومن هؤلاء الشعراء: محمود درويش، وأدونيس وسعدي يوسف، وهاشم شفيق، ومحمد الفيتوري، ونزار قباني، ومهدي الجواهري، وفاروق شوشة، وعبدالرحمن الأبنودي، وفاروق جويدة، وأحمد سويلم، وحسن طلب، وعبدالمنعم رمضان، وأمجد ريان، وشعبان يوسف، وفاطمة ناعوت، ومحمود الشاذلي وغيرهم. وتصدر الكتاب مقدمة فنية وفكرية للناقدة الدكتورة فريال غزول الأستاذة بالجامعة الأمريكية بالقاهرة، والكتاب من إعداد الشاعر المصري حلمي سالم.

من ناحية أخرى، قصر العدد الجديد من كتاب «العربي» على أدب العراق، وجاء الكتاب بعنوان «كلمات من طمي الفرات» شارك فيه نخبة من الكتّاب، واشتمل على قراءات وشهادات وحوارات لكتّاب عراقيين وعرب، فكتبت الدكتورة ريتا عوض عن عبدالوهاب البياتي، وتناول محيي الدين صبحي العنف والغضب عند الجواهري، وجاء بحث جهاد فاضل عن الشاعرة نازك الملائكة وإسهاماتها في تطوير

القصيدة العربية في موضوعها وبنائها، بالإضافة إلى مشاهدات وذكريات وحوارات مع عدد كبير من النقاد والمثقفين منهم: عبدالرزاق الهلالي، وجمال الدين الآلوسي، والدكتور فيصل دبدوب، وربيع ديب، وزكي المحاسن، وفاروق شوشة، وحامد أبو أحمد، ومحمد علي شمس الدين، وأحمد حسن الزيات، وسليم طه التكريتي، وعلي الوردي، وجليل العطية، ومحمد السعيد الصكار، وهاني مظهر، وفؤاد التكرلي، وماجد السامرائي.

رحيل المفكر الفلسطيني إدوارد سعيد

توفي في الخامس والعشرين من سبتمبر/ أيلول الماضي في أحد مستشفيات نيويورك الكاتب والمفكر الفلسطيني إدوارد سعيد عن عمر يناهز ٦٨عامًا قضى الجزء الأخير منها يصارع مرض سرطان الدم الذي استمر معه نحو ٩ أعوام، إلى جانب صراعه السياسي ضد إسرائيل واتفاقيات أوسلو التي أعلن معارضته لها منذ البداية، ووصفها بأنها أداة استسلام العرب في وجه الدولة العبرية والولايات المتحدة الأمريكية.

وقد احتلت القضية الفلسطينية مكانة كبيرة في كتابات سعيد، إذ أصبح رمزًا للفلسطيني المبدع والمفكر المنفي عن بلاده، وكان سعيد قد دعم في البداية منظمة التحرير الفلسطينية وأصبح من الأعضاء البارزين والفاعلين بها، إذ كان عضوًا في المجلس الوطني الفلسطيني مدة طويلة، ولكنه استقال منها على أثر دخول القيادة الفلسطينية المفاوضات مع إسرائيل عام ١٩٩١م.

ولد المفكر إدوارد سعيد عام ١٩٣٥م في مدينة القدس التي كانت خاضعة حينها للاستعمار البريطاني، ثم انتقلت عائلته إلى مصر عام ١٩٤٧م بعد صدور قرار التقسيم، والتحق بكلية فكتوريا في الإسكندرية، وسافر بعدها إلى الولايات المتحدة حيث حصل على درجة الماجستير من جامعة «برينستون»، وعلى درجة الدكتوراه من جامعة «هارفارد»، ثم عمل أستاذًا للغة الإنجليزية والأدب المقارن في جامعة «كولومبيا» منذ عام ١٩٦٣م حتى وفاته.

ألّف سعيد أكثر من عشرين كتابًا توزعت بين الدراسات النقدية، ونقد الاستشراق، وتصحيح صورة الإسلام، والتعريف بالقضية الفلسطينية، ومواجهة خصومها حتى اتهم بأنه «بروفسير الإرهاب» وهو يذود عن بلاده وقضيتها الكبرى، وكانت أهم كتبه: «الاستشراق» الذي ترجم إلى ٢٦ لغة، و«نهاية عملية السلام - أوسلو وما بعده»، و«الثقافة الإمبريالية»، و«سياسة التجريد»، و«تمثيلات المثقف»، وتعد مذكراته وسيرته الذاتية «خارج المكان» التي نشرت بالعربية واحدة من أهم السير الذاتية، وما زالت تثير جدلاً واسعًا بعد فوزها بعدد من الجوائز العالمية.

إلى جانب ذلك كتب سعيد عددًا كبيرًا من المقالات في الصحف العربية والعالمية، بالإضافة إلى صحف أمريكية وفرنسية وإيطالية وسويدية وبريطانية، كما ألقى مئات المحاضرات في عشرات الجامعات العالمية.

وكانت مؤسسة الفكر العربي قد كرمت إدوارد سعيد مع مجموعة من المفكرين والمبدعين العرب في مؤتمرها الأول الذي عقد في القاهرة في الفترة من ٢٧ إلى ٢٩ أكتوبر/تشرين الأول الماضي، كما احتفلت مكتبة الإسكندرية هذا العام بمناسبة مرور ٢٥ عامًا على صدور كتاب إدوارد سعيد «الاستشراق» الصادر عام ١٩٧٨م، وقد تزامن هذا الاحتفال مع زيارة سعيد لمصر التي وصلها زائرًا ومحاضرًا في الجامعة الأمريكية بالقاهرة، والتقى بعدد كبير من المثقفين المصريين، وألقى عددًا من المحاضرات على طلاب الجامعة وكثير من الضيوف.

والمفكر الراحل متزوج من ميريام قرطاس، وله من الأبناء ولد وبنت، وقد كان سعيد حريصًا على إبقاء فلسطين في ذاكرة ولديه اللذين سبق له اصطحابهما قبل فترة إلى وطنه المحتل، وتجول معهما في ربوعه.



قانون جديد لحماية الآثار المصرية

أحبطت القوات السويسرية مؤخرًا محاولة لتهريب نحو ٢٠٠ قطعة أثرية مصرية إلى جنيف، وتشمل القطع المهربة تماثيل فرعونية صغيرة، وأقنعة، وتوابيت حجرية، إضافة إلى مومياءين، وكانت مصر قد أبلغت الحكومة السويسرية بوجود القطع المهربة، وطلبت منها وضع اليد عليها وعلى جميع الوثائق المتعلقة بشرائها واستيرادها، ومازالت التحقيقات تجري في سرية تامة مع عدد من المشبوهين المتهمين بضلوعهم بعمليات نهب سرية منظمة للآثار المصرية.

من جهة أخرى، فقد عجلت هذه القضية بفتح ملف تهريب الآثار إلى الخارج في البرلمان المصري، وأعلن وزير الثقافة المصري فاروق حسني أمام لجنة الثقافة بالبرلمان انتهاء الوزارة من إعداد قانون جديد للآثار سيعرض على مجلسي الشعب والشورى، وقال الوزير: إن مشروع القانون الجديد للآثار يعالج الثغرات القانونية التي ظهرت في القانون القديم عن طريق إضافة بعض المواد الجديدة التي تحرم سرقة الآثار.

وأوضح كذلك أن هناك ٦ محاور تعمل من خلالها الوزارة في المحافظة على الآثار هي: تأمين المتاحف والمواقع المفتوحة تأمينًا إلكترونيًا، والاتفاق مع القوات المسلحة بإعداد مخازن متخصصة لحفظ الأثر، وتسجيل الأثر تسجيلاً علميًا حيث لا يسمح لأي تبديل أو فقد لأي قطعة، وتأمين الآثار بالاتفاق مع الشرطة بتزويد نظم الحراسة والأمن المؤهل، وإحكام الأمن على الموانئ والمطارات لعدم خروج أي قطعة آثار، واسترداد الآثار المسروقة، وقد تم إنشاء وحدة استرداد الآثار.



وثائق هيكل في مكتبة الإسكندرية

قرر الكاتب الصحفي المصري محمد حسنين هيكل تسليم أوراقه الكاملة ومجموعته الوثائقية وكتبه إلى مكتبة الإسكندرية، وكان الكاتب الصحفي قد تردد كثيرًا في إهداء هذه المجموعة لأي مؤسسة تعليمية أو حكومية خوفًا من تعنت الأداء البيروقراطي الذي يحول دون الاستفادة من محتويات هذه المجموعة الضخمة، وكذلك خوفه من أن تقع هذه الأوراق تحت الحظر الذي تفرضه الدولة على بعض الوثائق.

وأكد هيكل أن ما لديه من وثائق ليست نادرة بل موجودة في أرشيفات الدولة الرسمية، وقال: «ما لدي هو صور للوثائق في حين أن أصولها كاملة في أجهزة الدولة، وهي بالطبع متاحة لمن يريد الاطلاع عليها، وليس ذنبي أنني حافظت على ما عندي في حين أضاع غيري ما كان في مسؤوليته».

والمعروف أن هيكل كان أحد أبرز المقربين للرئيس المصري الراحل جمال عبدالناصر، وكانت تربطهما علاقة قبل قيام الثورة المصرية في يوليو عام ١٩٥٢م حينما كان هيكل يتولى تغطية أخبار حرب فلسطين التي حوصر فيها عبدالناصر الحصار المشهور في الفالوجا. وتولى هيكل بعد الثورة عددًا من المناصب الإدارية في الصحف المصرية، إذ تولى رئاسة تحرير مجلة آخر ساعة عام ١٩٥٢م، وصحيفة الأهرام في الفترة من عام ١٩٥٧م حتى عام ١٩٧٤م، وتركها بعد أن اختلف مع الرئيس المصري الراحل أنور السادات.

وقد أعرب الدكتور إسماعيل سراج الدين مدير المكتبة بسعادته لهذا القرار، مؤكدًا أن أوراق هيكل تعد ثروة فكرية نادرة من تاريخ مصر لا تقدر بثمن، وأن المكتبة ستضع كل إمكاناتها الفنية والعلمية للحفاظ عليها وتوثيقها واتاحتها للباحثين بعد الاتفاق مع هيكل على الآلية التي تضمن تحقيق هذا الهدف.

كويتزي يفوز بجائزة نوبل للآداب

خلافًا لكثير من التوقعات أعلنت الأكاديمية السويدية في السادس من شعبان الماضي «الموافق الثاني من أكتوبر/ تشرين الأول ٢٠٠٣م» فوز الكاتب الجنوب أفريقي جون ماكسويل كويتزي بجائزة نوبل للآداب لعام ٢٠٠٣م، وذلك «لكون رواياته تتسم بالتوليف والحوارات الكثيفة ذات التحليلية الرائعة، ولكنه في الوقت ذاته كاتب قلق، وناقد شديد للمذهب العقلي القاسي وللأخلاق التجميلية للحضارة الغربية»، كما جاء في تقرير الأكاديمية السويدية. وكانت هنالك عدة أسماء قد طرحت بقوة للفوز بالجائزة هذا العام، من بينها الشاعر أدونيس، والروائي البيروفي ماريو فارغاس يوسا، والروائي الأمريكي فيليب روت وغيرهم.

وكويتزي هو ثاني جنوب أفريقي يفوز بجائزة نوبل الأدبية، إذ سبقته الكاتبة نادين غورديمر التي فازت بالجائزة نفسها قبل ١٢ عامًا أي عام ١٩٩١م، ورابع إفريقي يفوز بها بعد وول سوينكا ونجيب محفوظ وغورديمر.

ولد جون ماكسويل كوتزي عام ١٩٤٠م في مدينة كيب تاون في جنوب إفريقية، وانتقل في أوائل الستينيات من القرن الماضي إلى بريطانيا وعمل في وظيفة مبرمج كمبيوتر، ثم رحل إلى الولايات المتحدة ودرس الأدب، وقام بعدها بالتدريس في جامعة نيويورك «بوفالو» عام ١٩٨٣م، وفي عام ١٩٨٤م أصبح أستاذًا للغة الإنجليزية في جامعة كيب تاون في جنوب إفريقية، ثم انتقل في عام ٢٠٠٢م إلى النمسا حيث عمل في جامعة أديليد.

بدأ كوتزي الكتابة عام ١٩٧٤م، ولكن شهرته العالمية بدأت عام ١٩٨٠م عندما ألف روايته «في انتظار البرابرة»، وفي عام ١٩٨٣م، تأكدت مكانته البارزة في الأدب العالمي بفوزه بجائزة «بوكر» الإنجليزية عن كتابه «مايكل كي: حياته وعصره»، ثم حصل على جائزة بوكر مرة ثانية عن روايته «العار» عام ١٩٩٩م ليكون بذلك أول كاتب يحصل على هذه الجائزة المرموقة مرتين.

وقد نشر كويتزي عددًا كبيرًا من الأعمال المترجمة، كما كتب في النقد الأدبي لكثير من الصحف والمجلات الأدبية، ومن أهم أعماله الروائية: «أرض الفسق» ١٩٧٤م، و«في قلب الريف» ١٩٧٧م، و«في انتظار البرابرة» ١٩٨٠م، و«مايكل كي: حياته وعصره» ١٩٨٣م، رواية، و«الخصم» ١٩٨٦م، و«عصر الحديد»، و«العار» ١٩٩٩م، و«ما هي الواقعية» ١٩٩٧م، مجموعة مقالات نقدية، وكانت آخر أعماله «اليزابيث كوستيلو» ٢٠٠٣م، وهي مزيج من المقالة والخيال.

وتعد جائزة نوبل العالمية من أكثر الجوائز شهرة في العالم وإثارة للجدل، فبعد مرور أكثر من مئة عام على إنشائها، ما زالت تتعرض كل عام للانتقادات على الرغم من تطلع المبدعين في كل أنحاء العالم للفوز بها، وقد وصلت هذه الانتقادات مرحلة الاتهامات بخضوعها للأهواء والضغوط السياسية، بالإضافة إلى انحيازها إلى الأدباء اليهود أو من يخدمون الأهداف الصهيونية بشكل أو بآخر، وقد ألف الكاتب المصري عباس محمود



العقاد كتاب بعنوان «جوائز الأدب العالمي» عقد فيه مقارنة بين ١٠ فازوا بالجائزة و١٠ لم يفوزوا بها للتدليل على عدم دقة الجائزة.

فمثلاً كان الفائز بهذه الجائزة عام ٢٠٠٢م هو الأديب اليهودي المجري إيمري كيريتش، وذلك لتركيزه في مأساة اليهود في معتقلات النازية، وهو أحد أفراد معتقل معسكر أوشفتز النازي، وكل كتاباته تدور حول هذه التجربة، حتى إن اللجنة أقرت في حيثياتها قلة مجهوده الأدبي، ومحدودية موهبته اللغوية.

ومثال آخر يؤكد أن الرضا الغربي عن السلوكيات والكتابات أساس لا يمكن تجاوزه في اختيار الفائز بهذه الجائزة هو فوز الكاتب البريطاني في. إس. نايبول بالجائزة عام ٢٠٠١م، ففي حين ذكرت الأكاديمية السويدية أن فوز نايبول بالجائزة إنما جاء لتمكنه من توظيف اللغة مستخدمًا اللهجات المحلية في حفز القراء إلى رؤية أحداث الماضي، رأي الكاتب البريطاني من أصل باكستاني طارق علي مؤلف كتاب «التصادم بين الأصوليات» أن منح نايبول لهذه الجائزة جاء نتيجة انتقاصه في الكثير من رواياته للإسلام والمسلمين، وقد أيده في هذا الرأي المدير العام للإيسيسكو الذي ذكر أن معظم مؤلفات هذا الكاتب تشتمل على ذم المسلمين والطعن في الإسلام والتعريض لثقافتهم وحضارتهم والافتئات على تاريخهم، خاصة في كتبه: «الهند حضارة جريحة»، و«رحلة في عالم المؤمنين»، و«ما وراء الإيمان».

ثم جاء فوز الإسرائيلي شاموئيل يوسف عجنون ، «وهو مهاجر يهودي من شرق أوربا إلى فلسطين المحتلة»، لأن كتاباته كما قالت اللجنة المانحة: «تمثل رسالة إسرائيل إلى عصرنا، وتكافح كفاحًا من أجل تقديم التراث الثقافي للشعب اليهودي عن طريق الكلمة المكتوبة».

وعلى الرغم من ذلك يرى بعض المثقفين أن قرار اللجنة لهذا العام بمنح الجائزة للجنوب أفريقي كويتزي يثير ارتياحًا واسعًا، فالكاتب الفائز هو محل احترام الجميع أدبيًا وأكاديميًا وسياسيًا.

رحيل الممثل السعودي بكر الشدي

توفي في الرياض في السادس من أكتوبر/ تشرين الأول الماضي الفنان المسرحي السعودي الدكتور بكر الشدي عن عمر يناهز ٤٤ عامًا بعد صراع مرير مع مرض السرطان، وقد شارك في التشييع حشد غفير من محبي الفنان من مسؤولين ومثقفين وفنانين ومسرحيين.

ولد الشدي في مدينة إبقيق شرق السعودية عام ١٩٥٩م، وبدأ رحلته التعليمية في مدارس أرامكو (ابتدائي ومتوسط)، ثم واصل رحلته التعليمية في جامعة الملك سعود في كلية الآداب قسم اللغة الإنجليزية، وبعد مضي عدة سنوات مارس خلالها العمل المسرحي قرر الفنان الراحل مواصلة دراساته العليا فنال درجة الماجستير من جامعة أوهايو بالولايات المتحدة الأمريكية، ثم منحته جامعة درم ببريطانيا شهادة الدكتوراه في الأدب المسرحي بدرجة امتياز عام ١٩٩٨م، وكانت بعثته على نفقة الأمير فيصل بن فهد - رحمه الله.

ويعد الشدي أحد رواد الحركة المسرحية المحلية والخليجية، وله إسهامات عدة في مجال الدراما والتمثيل، وقد استطاع خلال مشواره الفني الطويل أن يترك بصماته واضحة على خريطة الفن المحلي، كما استطاع الأخذ بأيدي عدد كبير من الفنانين المحليين خلال بداياتهم الفنية، وعمل على تقديمهم إلى لجمهور خلال عدد من الأعمال التي شاركهم فيها، ومن أهم أعماله في المسرح: «قطار الحظ». «الكرمانية»، و«النص والإنتاج»، و«أبو تمام»، و«ابن زريق ليمتد»، «صفعة في المرآة»، وغيرها، ومن أهم أعماله في التلفاز مسلسلات: «أوراق الخريف»، و«صور اجتماعية»، و«الملقوف»، و«عائلة فوق تنور ساخن». و«إليهم مع التحية» وغيرها.





الشبيلي، عبدالرحمن/ الملك عبدالعزيز والإعلام: دراسة توثيقية لبدايات وسائل الاتصال السعودية ـ الرياض: المؤلف، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م، ١٧٥ص.

في بدايات القرن الهجري المنصرم، كانت الأمة العربية والإسلامية تفتقر إلى أبسط وسائل الإعلام، ولا تملك أي مقومات مادية له، وقد تزامنت هذه الفترة مع بداية عهد الملك عبدالعزيز ـ رحمه الله ـ الذي استشعر أهمية دور الإعلام في ظل بيئة ثقافية وتعليمية وسياسية دقيقة. فقد سبق ـ رحمه الله ـ حكام المنطقة في ذلك الوقت في فهمه لدور الإعلام الدقيق في تشكيل وعي المجتمع.

وفي هذا الإطار تأتي هذه الدراسة التي تتوزع على مقدمة وسبعة فصول رئيسة: يقدم المؤلف في الفصل الأول رؤية تاريخية عن الظروف الثقافية السائدة في مطلع القرن الهجري المنصرم، ويركز الفصل الثاني في نظرة الملك عبدالعزيز إلى الإعلام وأسلوبه في التعامل معه مع إيراد أمثلة من أقواله التي تكلم فيها عن منهج الإعلام، ويتحدث الفصل الثالث عن نشأة الصحافة الوطنية في عهده، وخصص الفصل الرابع للحديث عن موضوع الطباعة والنشر والمكتبات، أما الفصل الخامس فيبحث في كل ما له صلة بالإعلام الخارجي مع توضيح بعض أشكال الإعلام الخارجي وأهم مضامينه وأهدافه، ورصد أبرز أسماء الصحفيين السعوديين وراء الحدود، ويتحدث الفصل السادس عن التصوير بشقيه الفوتوغرافي والسينمائي والمجالات التي استخدم فيها في تلك الفترة، وجاء الفصل الأخير في الحديث عن نشأة الإذاعة السعودية وتطورها، وختم الكتاب بملاحق عن التنظيمات الإعلامية الصادرة في عهد الملك عبدالعزيز، إضافة إلى كشاف عام لأبرز أسماء الأعلام والأماكن ووسائل الإعلام.



أبو سليمان، عبدالحميد أحمد/ العنف وإدارة الصراع السياسي في الفكر الإسلامي بين المبدأ والخيار: رؤية إسلامية ـ القاهرة: دار السلام للطباعة والنشر، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م، ١١٠ص. (سلسلة قضايا الفكر الإسلامي؛ ١٧).

تناقش هذه الدراسة موضوعًا من أخطر الموضوعات التي عانت منها الأمة الإسلامية في ماضيها وحاضرها، ذلك هو موضوع العنف الذي شاع استخدامه أداة من أدوات الإصلاح والتغيير.

يقول الباحث: إن سبب لفت نظره لموضوع العنف السياسي وموقعه من تفاعلات الفئات والتيارات الاجتماعية المنغمسة في محاولات الإصلاح الاجتماعي والسياسي في تاريخ الأمة هو سماعه لحديث نبوي معروف من أحاديث الفتنة في أثناء خطبة صلاة يوم الجمعة وهو الحديث الذي رواه أبو داود عن أبي ذراً رضي الله عنه ـ حين سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يفعل في حالة الفتنة ، فأمره أن يلزم بيته وألا يشارك الفتنة إلى حد حرمانه من حق الدفاع عن نفسه. «قال: قلت: فإن دخل على بيتي؟ قال: فإن خشيت أن يبهرك شعاع السيف فألق ثوبك على وجهك يبوء بإثمك وإثمه».

ومن هنا أخذ الباحث التأمل في هذا الحديث، وفي القضية التي أثارها ليستعيد الصورة الكبرى التاريخية لأحداث حركة ظهور الإسلام وأسلوبه في إحداث التغييرات التي هدف

إليها، وكيف أدار الرسول صلى الله عليه وسلم الصراع السياسي العقدي الإصلاحي في المراحل المختلفة التي مر بها بناء دولة الإسلام ومجتمعه في مكة والمدينة، ومع من جاوره في غير بلاد العرب، من الأصدقاء والأعداء، وأتباع مختلف الديانات.

وقد التزم الباحث في هذه الدراسة منهجية شمولية تحليلية في تحليل النصوص والأحداث في ضوء الصورة الكبرى، وسيلة للوصول إلى فهم مقنع مترابط لمعنى هذه الأحداث، خصوصًا أن فهم الكليات يعين على تفسير بعض الجوانب المهمة في ممارسة الأمة التي أدى سوء فهمها وخطأ ممارستها حتى اليوم إلى عدم نجاح حركات الإصلاح السياسي في تاريخها إلى بلوغ غاياتها الكبرى وتحقيق النهضة والإصلاح، وإرساء قواعد التوحيد والعدل وقيمهما. بل لعل تلك الممارسات العنيفة الخاطئة قد أسهمت في ترسيخ كثير من ممارسات العنف والقهر والفساد والاستبداد في أنظمة حكم الأمة وفي أنظمتها السياسية.



مستقبل العالم الإسلامي: تحديات في عالم متغير. تقرير ارتيادي إستراتيجي/ مجموعة باحثين. الرياض: مجلة البيان، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م، ٦٠٦ص.

شارك في إعداد هذا التقرير المتميز نخبة من الأكاديميين والباحثين العرب إضافة إلى بعض المقالات المترجمة لباحثين أجانب.

ويهدف هذا التقرير إلى بحث الخيارات الممكنة لكي تأخذ الأمة الإسلامية مكانتها المرموقة في البيئة الدولية بحيث تكون قادرة على تحدي القوى والإستراتيجيات العالمية والإقليمية.

ويحتوي على ثلاثة أبواب ثابتة: يتناول الباب الأول النظريات السياسية والفكر السياسي في مجال النظرية السياسية، والنظرية السياسية في الإسلام، وبعض النظريات السياسية المعاصرة.

وفي مجال الفكر السياسي طرحت قضيتان هما: منهج لتقويم الدراسات الإستراتيجية، ومقدمة في فقه الواقع، إضافة إلى بحث عن الحركة الإسلامية وقيادة حركة الرأي العام، وبحث عن المصطلحات المستخدمة في الكتابة الإستراتيجية والسياسية.

ويعالج الباب الثاني طبيعة التحديات العالمية الراهنة على الساحة الدولية، ويتضمن هذا الجزء ثلاثة محاور أولها: يتعلق بالنظام العالمي الراهن وطبيعته وتوصيفه، وثانيها: القوى العالمية على الساحة وخياراتها الإستراتيجية (أمريكا، روسيا، أوربا)، وثالثهما: المناطق الساخنة وإستراتيجيات القوى العالمية والإقليمية لها (وسط آسيا والقوقاز، وجنوب آسيا، والبلقان، وشرق إفريقية، والمنطقة العربية).

وتضمن الباب الثالث ملخصات لترجمات تقارير صادرة عن مراكز بحوث ودراسات غربية منها: التحالف الدنس بين المسيحية والنظام العالمي الجديد، وصور الإسلام الأمريكي.



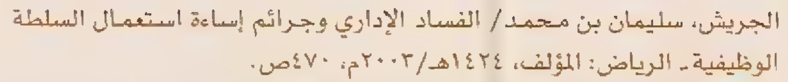
كروسيه، رنيه/ الحروب الصليبية: صراع الشرق والغرب، ترجمة: أحمد ايبش. دمشق: دار قتيبة، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م، ١٧٦ص.

في شهر سبتمبر/ أيلول من عام ٢٠٠١م، وقف الرئيس الأمريكي جورج بوش الابن ليعلن قيام (حرب صليبية) جديدة. فهل كان المقصود بهذا الإعلان حرباً ضد الإسلام أم ضد



الإرهاب؟ هل انتهى الصراع بين الشرق والغرب بانتهاء الاستعمار المباشر، أم أن نظام العولمة الجديد قد ابتدع شكلاً جديدًا من الاستعمار الاقتصادي، ستظهر آثاره قريبًا؟
ما الحروب الصليبية؟ كيف بدأت، ولماذا؟ وكيف انتهت؟
ثماني حملات جرارة، انطلقت فيها جيوش أوربا من فرنسا وإيطاليا وألمانيا وإنجلترا والنرويج، بدأت عام ١٠٩٥م، وانتهت عام ١٢٩١م، هل كان الدافع الحقيقي من وراء هذه الحملات دافعًا دينيًا، لتخليص الأماكن المقدسة في فلسطين من أيدي العرب؟ أم كان الدافع استعماريًا محضًا بغية استلاب ثروات بلادنا واستعمار شعوبنا واستعبادها؟
في هذا الكتاب يقدم لنا المؤرخ والمستشرق الفرنسي رنيه كروسيه رواية مترابطة وأمينة عن تاريخ الحروب الصليبية من خلال معلومات دقيقة ورواية شاملة.




الجريش، سليمان بن محمد/ الفساد الإداري وجرائم إساءة استعمال السلطة الوظيفية ـ الرياض: المؤلف، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م، ٤٧٠ص.

يرى المؤلف «أن هناك علاقة بين الوظيفة والسلطة.. وعلى قدر السلطة تكون المسؤولية.. ولا بد أن تكون هذه السلطة مقيدة ـ لأن السلطة مفسدة مطلقة ـ وللسلطة نشوة تعبث بالرؤوس».
كما يرى أن ظاهرة الفساد الإداري لا تعني جريمة الرشوة فقط كما يتبادر إلى الذهن، وإنما هناك صورة وأنماط متعددة للفساد تتمثل في تلك الجرائم والممارسات التي تمس نزاهة الوظيفة العامة ـ كالتزوير، والاختلاس، والاعتداء على المال العام، والتربح من أعمال الوظيفة، والتحايل على النظام، وإساءة المعاملة بالتعذيب أو القسوة أو الإكراه أو سلب الحريات، والغدر، والمحاباة، والإيثار، والاستئثار، والإضرار بالأموال والمصالح، والابتزاز، والتسخير، ونحو ذلك.
يعالج المؤلف هذه الظاهرة بصورة مفصّلة، حيث يتناول صور الفساد وإساءة استعمال السلطة بأسلوب علمي موثق، مع ربط ذلك بالواقع التطبيقي القائم، بما يساعد على كشفها والحد من انتشارها.
وقد جاء الكتاب في ستة فصول رئيسة: الأول عن العلاقة بين الوظيفة العامة والسلطة، أما الفصل الثاني فكان عن الفساد الإداري وجرائم إساءة استعمال السلطة، ويتناول الفصل الثالث جرائم استغلال النفوذ، وعلاقتها بجرائم إساءة استعمال السلطة، ويوضح الفصل الرابع العقوبات الخاصة بجرائم الفساد الإداري، أما الفصل الخامس فيتطرق إلي الإجراءات الجنائية والتأديبية في جرائم الفساد الإداري وإساءة استعمال السلطة، ويتناول الفصل السادس الجانب التطبيقي لهذه الجريمة في المملكة، وختم الكتاب بأهم النتائج والتوصيات التي توصل إليها الباحث.



الكردي، أشرف/ دور العرب والمسلمين في العلوم العصبية (٥٠٠ ـ ١٥١٦م)ـ الرياض: مركز الأبحاث في مستشفى الملك فيصل التخصصي ٢٠٠٢م، ٤٨٧ص.
يوضح هذا الكتاب دور العرب والمسلمين في مجال العلوم العصبية. فقد قدم المؤلف من

خلاله صورة متكاملة عن تاريخ الطب العربي الإسلامي، وقبل ذلك بدأ بالطب الصيني والطب الهندي والطب الإغريقي والطب الروماني، والطب العربي في الجاهلية وصدر الإسلام، ثم الدولة الأموية، فالعباسية وحتى العصر الحديث. وقد ذكر المؤلف الأطباء النصارى في الإسلام مثل عائلة بختيشوع، وعائلة ماسويه، وعائلة حكم الدمشقي، وعائلة حنين بن إسحاق، كما تطرق إلى الطبري، وثابت بن قرة الحراني، وعلي بن العباس المجوسي، وأبي الفرج علي بن الحسين بن هندو، والرازي وإسهاماته في الطب من خلال كتابيه «الحاوي»، و«المنصوري»، كما تطرق الكتاب إلى ابن سينا ومؤلفاته مثل القانون في الطب، ثم تطرق بعد ذلك إلى الطب في الأندلس وأبرز العوائل المشهورة بالطب آنذاك مثل: عائلة ابن زهر، وعائلة الزهراوي، وابن الطفيل، وابن القف الكركي.

ثم تناول الكتاب موضوعات متنوعة مثل: التعليم الطبي عند العرب والمسلمين، والمستشفيات وعلاقة الأطباء بالحكام، وأجور الأطباء، وأثر الأطباء العرب والمسلمين في الحضارة الغربية، وطرائق التأثير العربي في أوربا، وختم الكتاب بسرد المصطلحات الطبية الواردة فيه.

القحطاني، سلطان سعد/ النقد الأدبي في المملكة العربية السعودية: نشأته واتجاهاته ـ الطائف: نادي الطائف الأدبي، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م، ٢٣٦ص.

تتناول هذه الدراسة نشأة النقد الأدبي وظروف ظهوره في المملكة العربية السعودية، والإرهاصات التي سبقت قيام الدولة بعدد من العقود، وظروف ظهور الثقافة الحديثة، كما ركزت في ظهور المدارس والتيارات النقدية التي انبثقت عنها، سواء المجددة أو الحديثة.

وجاءت هذه الدراسة في بابين وأربعة فصول ومقدمة وتمهيد وخاتمة.

يعالج كل فصل منها محورًا من محاور النقد في مرحلة من مراحله مراعيًا فيها الظروف والمعطيات العلمية والفنية، فاحتوى الباب الأول على فصلين: الأول ما قبل النقد الأدبي الحديث، والثاني عن بداية ظهور الفكر النقدي الحديث. أما الباب الثاني فيشتمل على فصلين: الأول عن الصحافة في العهد السعودي وما قامت به من دور كبير في ظهور الحركة النقدية وينقسم هذا الفصل إلى خمسة أقسام هي: مفهوم النقد، والصحافة والنقد الأدبي، والمدارس النقدية: (مدرسة المدينة المنورة، ومدرسة مكة المكرمة، ومدرسة الأحساء)، والتنافذ بين المدارس النقدية والآداب الأخرى، والمعارك النقدية.

وجاء الباب الثاني عن التيارات النقدية التي انبثقت من تلك المدارس وهي: تيار التجديد المحافظ، والتيار الجديد، والتيار النظري، والتيار الحداثي.



ناي، جوزيف س. (الابن)/ مفارقة القوة الأمريكية، تعريب: محمد توفيق البجيرمي ـ الرياض: مكتبة العبيكان، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م، ٣٢٠ص.

بعد هجمات ١١أيلول/ سبتمبر ٢٠٠١م برزت لدى الأمريكان أسئلة مهمة عن الدور الذي ينبغي على أمريكا أن تؤديه في العالم، وعن التحديات الأساسية التي تواجهها في القرن الحادي والعشرين، وكيفية تحديد مصالحها الوطنية.

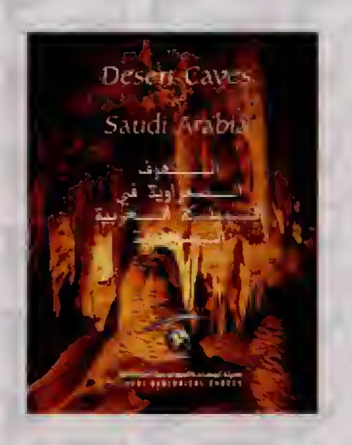
ويقول المؤلف: «إنه لم يحدث منذ روما أن امتلكت أمة مثل هذا القدر من القوة

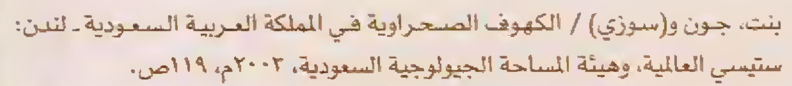


الاقتصادية والثقافية والعسكرية، ولكن هذه القوة لا تتيح لنا أن نحل مشكلات عالمية كالإرهاب، والتدهور البيئي، وانتشار أسلحة الدمار الشامل دون إشراك أمم أخرى معنا».
ويركز المؤلف في هذا الكتاب في بروز هذه التحديات وغيرها، ويشرح لماذا ينبغي على أمريكا أن تتبنى ارتباطًا أكثر تعاونًا مع باقي أنحاء العالم، ويؤكد ناي أن القوة العسكرية والاقتصادية لا تستطيع أن تؤمن النجاح لقضايا مهمة مثل الاستقرار المالي العالمي إلى تهريب المخدرات، ومن التغير المناخي إلى الإرهاب، ويؤكد أن تهديد الإرهاب ليس سوى أكثر الأمثلة إثارة للفزع عن وجوب البحث عن علاقات بناءة مع الأمم قويها وضعيفها، الآن أكثر من أي وقت مضى.
ويجادل ناي بطريقة مقنعة قائلاً: إن الولايات المتحدة في القرن الحادي والعشرين ستعتمد بصورة أقل على إجراءات القوة التقليدية، وبصورة أكبر على القوة المستمدة من جاذبية ثقافتنا، وقيمنا، ومؤسساتنا ـ أي ما يسميه «القوة الناعمة الطرية».
ويخلص المؤلف إلى وضع إستراتيجية لإعادة المصلحة الوطنية الأمريكية في العالم المتغير، ويضع في ذلك خطة طريق للحفاظ على موقف أمريكا، وتقليص انكشافها وتعرضها للعطب في السنوات القادمة.



الميداني، أبي الفضل أحمد بن أحمد بن إبراهيم الميداني النيسابوري/ مجمع الأمثال، تحقيق: قصي الحسين ـ بيروت: دار ومكتبة الهلال، ٢٠٠٢م، ٢مج، ١٠٥٦.
يعد هذا الكتاب من أبرز كتب الأمثال العربية القديمة وهو كتاب ضخم لأبي الفضل أحمد بن أحمد بن إبراهيم الميداني النيسابوري (ت: ٥١٨هـ/١١٢٤م).
وقد رتب الميداني مادة كتابه هذا على حروف المعجم، وألحق بها ما جاء على صيغة أفعل كما ألحق بها الأمثال المولّدة، وأيام العرب في الجاهلية وأيام العرب في الإسلام، بالإضافة إلى نبذ من كلام النبي صلى الله عليه وسلم، ومن أحاديث الخلفاء الراشدين وبعض رجال الصحابة والتابعين.
ويقول أبو الفضل الميداني عن كتابه «فطالعت من كتب الأئمة الأعلام، وما امتد في تقصيه نفس الأيام، مثل كتاب أبي عبيدة، وأبي عبيد (الهروي)، والأصمعي، وأبي زيد الأنصاري، وأبي عمرو بن العلاء، وأبي عمرو الشيباني وأبي فيد مؤرج بن عمرو السدوسي، ونظرت فيما جمعه المفضل بن محمد، والمفضل بن سلمة وحمزة الأصفهاني، حتى لقد تصفحت أكثر من خمسين كتابًا، ونخلت ما فيها فصلاً فصلاً وبابًا بابًا».
ويضيف الميداني قائلاً: «وجعلت الكتاب على نظام حروف المعجم من أوائلها، ليتسهل طريق الطلب على متناولها، وذكرت في كل مثل من اللغة والإعراب ما يفتح القلق، ومن القصص والأسباب ما يوضح الفرض ويسيغ الشرق، مما جمعه عبيد بن شرية، وعطاء بن مصعب، والشرقي بن القطامي وغيرهم.....».
ويحسب زلهايم فإن مجموع الأمثال الموجودة في الأبواب الثمانية والعشرين نحو ٥٦٣٨ مثلاً، وإذا حسبنا بعد ذلك ٢١٨ يومًا من أيام العرب، ذكرها الميداني في الباب التاسع والعشرين و ٢٢٨ مثلاً تسب إلي الرسول صلى الله عليه وسلم وإلى غيره، فإننا نصل إلى ٦٠٠٠ مثل ونيف.





بنت، جون و(سوزي) / الكهوف الصحراوية في المملكة العربية السعودية ـ لندن: ستيسي العالمية، وهيئة المساحة الجيولوجية السعودية، ٢٠٠٣م، ١١٩ص.

تمثل الصور التي يحتوي عليها هذا الكتاب في غالبيتها استكشاف الكهوف في المملكة العربية السعودية خلال الفترة من عام ١٩٨٠م إلى عام ٢٠٠٠م، وقد بدأ النشاط بدراسة خرائط قديمة توضح عددًا كبيرًا من آبار المياه الطبيعية المتجمعة حول قرية صغيرة اسمها «المعاقلة» تقع شرق صحراء الدهناء على قمة طبقة واسعة من الحجر الجيري والدلوميت معروفة باسم متكون «أم رضمة».

وتأتي أهمية الكهوف في كونها تعد سجلاً تفصيليًا عن المناخ والعمليات السطحية وأنواع الحيوانات والنباتات التي كانت تعيش في الماضي، وقد قام فريق العمل المكون من جون بنت وزوجته سوزي ثم انضم إليهما ماهر إدريس ومحمود الشنطي، وبدؤوا جميعًا بدراسة الكهوف على مستوى المملكة لمصلحة هيئة المساحة الجيولوجية السعودية.



المسيري، عبدالوهاب/ الجماعات الوظيفية اليهودية: نموذج تفسيري جديد ـ القاهرة: دار الشروق، ٢٠٠٢م، ٥٥١ص.

الجماعة الوظيفية مصطلح قام المؤلف بوضعه استنادًا إلى مصطلحات قريبة من علم الاجتماع الغربي، لوصف مجموعات بشرية تستجلب من خارج المجتمع أو تجند من داخله ثم يوكل إليها وظائف شتى لا يمكن لغالبية أعضاء المجتمع الاضطلاع بها لأسباب مختلفة ، من بينها أن هذه الوظائف قد تكون مشينة (الربا ـ البغاء) أو متميزة (القضاء ـ الترجمة) أو ذات حساسية خاصة وذات طابع أمني (حراس الملك ـ السفراء ـ الجواسيس)، ثم يعرف أعضاء هذه الجماعة في ضوء وظيفتهم الضيقة المحددة لا في ضوء إنسانيتهم الرحبة المركبة.

وتتناول هذه الدراسة في البداية بعض القضايا النظرية مثل السمات الأساسية للجماعات الوظيفية بشكل عام، وعلاقتها بالحلولية والعلمانية الشاملة. ثم ركز المؤلف في الجماعات الوظيفية اليهودية على وجه التحديد وأسباب وتاريخ تحولها من مجرد جماعات أو أقليات إثنية أو دينية إلى جماعات وظيفية تضطلع بوظائف محددة مثل: التجارة والربا وجمع الضرائب. وتقدم الدراسة رؤية جديدة للتاريخ الاقتصادي (والاجتماعي والثقافي) للجماعات اليهودية الوظيفية في العالم الغربي، خاصة في شرق أوربا، ثم تتناول الدراسة قضايا ذات طابع عام مثل علاقة الجماعات الوظيفية اليهودية بالتحديث ونشأة الرأسمالية في الغرب.

وخصص الفصل الأخير لمفهوم «الدولة الوظيفية»، وهي الدولة الصهيونية التي أسسها الاستعمار الغربي وغرسها غرسًا في فلسطين لتدافع عن مصالحه نظير أن يقوم هو بدعمها وضمان استمرارها وبقائها، أي أن علاقة الدولة الصهيونية بالدولة الأمبريالية الراعية لا تختلف في جوهرها عن علاقة الجماعات الوظيفية بالنخب الحاكمة التي جندتها ووظفتها.







شؤون اجتماعية (س٢٠، ع ٧٨، صيف ٢٠٠٣م)

مجلة فصلية تصدر عن جمعية الاجتماعيين والجامعة الأمريكية في الشارقة، وتعنى بالعلوم الإنسانية والاجتماعية.

يقدم هذا العدد مجموعة من البحوث والمقالات باللغتين العربية والإنجليزية. فجاءت موضوعات اللغة العربية على النحو الآتي: «المعلومات والتربية البيئية وعلاقتهما بالمؤهل الأكاديمي والخبرة لدى معلمي التخلف العقلي بالبحرين» لكل من: د. خالد إسماعيل العلوي و د. فتحي عبدالقادر صالح الشيخ، ود. إسماعيل محمد المدني. و«محاولة تاريخية للإسهام النفسي العربي الحديث» للدكتورة سلمى المصري دملج، و«الهدي النبوي في تقدير الفروق الفردية وحسن رعايتها وتوجيهها» للدكتور صالح أحمد رضا، و«الأزمة الجزائرية في الرأي العام الطلابي في جامعة الإمارات. دراسة استطلاعية ميدانية» للدكتور محمد قيراط.

وتحت عنوان آراء وأفكار كتب كل من: أيمن يوسف عليان عن «دور وسائط التربية في تدعيم أو تثبيط برامج الأطفال في التلفزة العربية»، وتناول الأستاذ كيحل مصطفى موضوعًا عن «مواقع الحضارة الإسلامية في فرضية (صدام الحضارات) عند صموئيل هانتغتون».

وفي عروض الكتب جاءت الكتب الآتية: «التعليم والتنمية البشرية في دول مجلس التعاون لدول الخليج العربية: دراسة تحليلية» للدكتور حمد علي السليطي، و«إيران بين الخليج العربي وحوض بحر قزوين: الانعكاسات الإستراتيجية والاقتصادية» لشيرين هنتر، و«الطفل التوحدي: اتجاهات حديثة» لمحمد قاسم عبدالله، و«استقرار عالم القطب الواحد» لوليم وولفورث.

وتضمن العدد تقارير وندوات، كما تضمن ملخصات للرسائل العلمية، وملخصات للبحوث المنشورة باللغتين الإنجليزية والعربية، ونقرأ في العدد ثلاثة بحوث باللغة الإنجليزية، البحث الأول يدرس وضع السجناء في الأردن، ومختلف أنماط التحكم بالذات وصناعة القرار، والبحث الثاني يتطرق إلى فئة العمال الوافدين في دول الخليج، ويقدم دراسة مقارنة بين الجنسيات المختلفة، أما في البحث الثالث فتبين الباحثة من خلال دراسة لغوية للوثائق الدستورية والتاريخية وغيرها من المستندات المتعلقة بالبرامج السياسية في لبنان عبر السنين، كيف أن اللغة التي تم استخدامها هي لغة تبين مدى استبعاد المرأة عن العمل السياسي والدور الفعلي وميدان الحياة السياسية العامة.

العنوان: جمعية الاجتماعيين ـ الإمارات العربية المتحدة ـ الشارقة

ص.ب: ٣٧٤٥ ـ هاتف ٥٥٦٧٧٢٢ ـ ناسوخ: ٥٥٦٧٢٢٧



تراثيات (ع٢، يوليو ٢٠٠٣م /١٤٢٣هـ)

مجلة محكمة يصدرها مركز تحقيق التراث في دار الكتب والوثائق القومية في القاهرة.

كتب افتتاحية هذا العدد الدكتور عبدالستار الحلوجي، وفي مجال البحوث والدراسات تناول الدكتور حسين نصار موضوع (التراث العراقي المنهوب)، وكتب الدكتور محمود

علي مكي عن (التزييف في نسبة الكتب). وناقش الدكتور سعد الهجرسي موضوع (التراث العربي في مكتبات البحث العالمية)، وتطرق الدكتور محمد عوني عبدالرؤوف إلى موضوع المستشرقين وتحقيق التراث.

وفي باب من التراث، كتب الدكتور عبدالجواد مقالاً بعنوان «ما لم ينشر من الإحاطة في أخبار غرناطة»، وتضمن هذا الباب موضوع التصاوير في المخطوطات الفارسية، وعن الشخصيات التراثية كتب عصام محمد الشنطي عن أبي بكر الرازي، (أبو الطب العربي)، وأبرز عشري محمد علي جهود الدكتور محمود الطناحي في تحقيق التراث العربي.

وفي باب الملفات النقدية نقرأ الموضوعات الآتية: «المخطوطات الإسلامية في العالم» للدكتور جلال غندور، و«علم الاكتناه العربي الإسلامي» للدكتور فيصل الحفيان، وحوى العدد ببليوجرافيا عن المخطوطات التي حققت كرسائل جامعية بكلية دار العلوم في جامعة القاهرة أعده كل من: أحمد عبدالباسط، وأحمد عبدالستار.

وختم العدد بملف عن أخبار التراث أعده حسام عبدالظاهر. وفي القسم الأجنبي كتب الدكتور عفت الشرقاوي مقالاً عن فخرالدين الرازي.

العنوان: مركز تحقيق التراث - دار الكتب والوثائق القومية
كورنيش النيل - رملة بولاق - القاهرة
هاتف: ٥٧٥١٠٨٦٠.
ناسوخ: ٥٧٨٩٦٧٨



العواصم والمدن الإسلامية (ع٢٤ - المحرم ٢٤ أبريل ٢٠٠٣م)

مجلة محكّمة نصف سنوية تصدر عن منظمة العواصم والمدن الإسلامية في مكة المكرمة.

احتوى هذا العدد على موضوعات متنوعة، بدأت بافتتاحية الأمين العام لمنظمة العواصم والمدن الإسلامية المهندس عمر عبدالله قاضي. وأخبار العواصم والمدن، وأخبار وأنشطة المنظمة، ومقال عن مكتبة الإسكندرية، وعرض لكتاب «الكعبة المعظمة والحرمان الشريفان عمارة وتاريخاً» لعبيد الله محمد أمين كردي، وتضمن العدد تعريفاً عن مشروع إحياء مدينة حلب القديمة، وتحت عنوان «من التراث» نشاهد صوراً من مناطق مختلفة في العالم الإسلامي لفنون العمارة الإسلامية. كما تضمن العدد تعريفاً عن جهود المملكة العربية السعودية لتيسير خدمات الحجاج ودور المؤسسة العامة لتحلية المياه المالحة في ذلك، وضمن المشروعات التي احتواها العدد مشروع تطوير المنطقة المركزية بالمدينة المنورة، ثم إلقاء الضوء على دور بلدية الشارقة في المحافظة على الطراز الإسلامي في المنشآت الحكومية والتجارية. ونقرأ في العدد تعريفاً عن الجمعية الإسلامية في بوسطن التي أنشئت عام ١٩٨١م بهدف المحافظة على الهوية الإسلامية في أمريكا.

العنوان: ص.ب ٢٩١٩ مكة المكرمة - المملكة العربية السعودية
هاتف: ٦٩٨١٩٥٣ ناسوخ: ٦٩٨١٠٥٣





تفكُّر (مج٥، ع٢ ، ٢٠٠٣م - ١٤٢٤هـ)

مجلة محكمة نصف سنوية تصدر عن معهد إسلام المعرفة (إمام) في جامعة الجزيرة في السودان، وتهتم بقضايا إسلام المعرفة النظرية والتطبيقية.

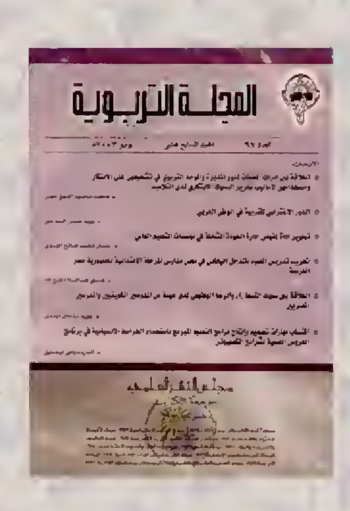
زخر هذا العدد بمجموعة من المقالات، فقد افتتحه د. إبراهيم شوقار بالحديث في ملف الفلسفة عن الإطار المعرفي للسنن الإلهية في القرآن الكريم. وفي ملف الوحي وعلومه حاول د. المصطفى تاج الدين إعادة النظر في نظرية المجاز وتقديم مفهوم أصيل للمجاز من خلال إعادته للنظر في جملة من المصطلحات المتعلقة بنظرية المجاز في العربية.

ودرس د. عبدالله محمد الأمين النعيم الوسائل التي طرحتها الرؤية القرآنية لتحقيق التمكين والشهود الحضاري للأمة الإسلامية. وقدم د. صالح بن علي أبو عراد دراسة عن نشأة الإدارة وتطويرها وخصائصها في الفكر الإسلامي، وراجع د. أحمد محمد الحسن شنان كتاب مالك بدري عن الإيدز من منظور إسلامي.

أما الملف الإنجليزي فقد تحدث فيه د. نظير الدين عبدالله، ود. عبدالرحمن الزهراني عن التحول الكبير الذي حدث في قطاع المصارف الإسلامية في السودان.

العنوان: معهد إسلام المعرفة (إمام) - ص.ب: ٥٢٦ - واد مدني - السودان

هاتف: ٢٠٤٢٥ - ٢٠٤٢٠ ناسوخ: ٢٠٤٢٨



المجلة التربوية (ع٦٧، مج١٧، يونيو ٢٠٠٣م)

مجلة علمية محكمة، تصدر عن مجلس النشر العلمي في جامعة الكويت، وتعنى بنشر الأبحاث والدراسات الأصيلة في مجالات علوم التربية.

اشتمل هذا العدد من الدورية على عددٍ من المقالات والبحوث التربوية، فكتب الدكتور محمد محمود الشيخ بحثًا بعنوان «العلاقة بين إدراك المعلمات لدور المديرة والموجه التربوي في تشجيعهن على الابتكار واستخدامهن لأساليب تعزيز السلوك الابتكاري لدى التلاميذ»، وناقش الدكتور يزيد عيسى السورطي موضوع الدور الاغترابي للتربية في الوطن العربي، وقدم الدكتور نعمان محمد صالح الموسوي دراسة تهدف إلى تطوير أداة لقياس إدارة الجودة الشاملة في مؤسسات التعليم العالي، بينما كتب الدكتور مندور عبد السلام فتح الله عن تجريب تدريس العلوم بالمدخل الياباني في بعض مدارس المرحلة الابتدائية بجمهورية مصر العربية، وبيّن الدكتور عويد سلطان المشعان العلاقة بين سلوك النمط (أ) والرضا الوظيفي لدى عينة من المدرسين الكويتيين والمدرسين المصريين. ويعني النمط (أ) الاستهداف السلوكي للإصابة بمرض الشريان التاجي.

وناقش الدكتور الغريب زاهر إسماعيل في بحثه مشكلة اكتساب مهارات تصميم وإنتاج برامج التعليم المبرمج باستخدام الخرائط الإنسيابية في برنامج العروض العملية لشرائح الكمبيوتر، وقد تضمن العدد تقريرًا عن المؤتمر التربوي الثاني والثلاثين الذي

نظمته جمعية المعلمين الكويتية بعنوان «نظامنا التعليمي واحتياجات سوق العمل» أبريل/نيسان ٢٠٠٣م. أعده الدكتور محمد رفقي عيسى، وراجعت الدكتورة سميرة عبداللطيف السعد كتاب «الأطفال التوحديون: دراسة تشخيصية وبرامجية» للدكتور عادل عبدالله محمد.

وختم العدد بملخص رسالة جامعية بعنوان «دراسة مقارنة بين القيم السياسية التي ينشدها المعلمون لطلابهم والقيم المتضمنة في كتب الاجتماعيات في المرحلة الثانوية بدولة الكويت» للباحث سعود هلال الحربي.

العنوان: ص.ب: ١٣٤١١ كيفان. الرمز البريدي ٧١٩٥٥ الكويت
هاتف: ٤٨٤٦٨٤٣ / ناسوخ: ٤٨٣٧٧٩٤

بيادر (ع ٣٩، جمادى الأولى ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م)

دورية فصلية ثقافية إبداعية تصدر عن نادي أبها الأدبي.

حفل هذا العدد بعدد وافر من المقالات والدراسات والنصوص الإبداعية، ففي باب الدراسات كتب الدكتور غيثان بن علي بن جريس عن دور أهل تهامة والسراة في ميادين الفتوحات الإسلامية المبكرة في صدر الإسلام، وناقش الأستاذ علي آل عمر عسيري إشكالية الإعلام خلال ثلاثين يومًا هي فترة الحملة «الأنجلو أمريكية» على العراق، وقدم الأستاذ عبدالرحمن بن عبدالله بن عائض آل حامد مقارنة بين ابن خلدون وميكيافلي في مجالات المجتمع، والدولة، والسلطة، والعلاقات الدولية.

وتضمن العدد تقريرًا عن «اللقاء الثقافي الشهري عن السرد الحديث في منطقة عسير» أعده كل من: الدكتور محمود شاكر سعيد، والدكتور الخطري عرابي، والأستاذ علي فايع الألمعي، وتضمن العدد حوارًا مع الشاعر الدكتور غازي عبدالرحمن القصيبي أعده أحمد عبدالله التيهاني، وتحت عنوان واحات نقرأ لكل من: جاسم الصحيح، ومحمد إبراهيم يعقوب، وجابر أبو حسين، وخليل إبراهيم الفزيع.

أما في مجال السرديات فكتب كل من: نورة ضحيان العتيبي، ومحمد عبدالله حرسم، وفوزية حسن آل عكان، وهدى بنت فهد المعجل، وحسن الدراقي الألمعي.

وتحت عنوان بدايات شارك كل من: بثينة محمد، وأحمد محمد زعتر، ويحيى شعثان.

وفي باب القراءات قدمت هيلدا إسماعيل سجيني قراءة في «رواية سقف الكفاية» لمحمد حسن علوان، وختم العدد بمقال بعنوان «دونية الأديب» كتبه إبراهيم محمد شحبي.

العنوان: نادي أبها الأدبي. أبها ص.ب ٤٧٨
هاتف: ٧٢٢٤٤٢١٠
ناسوخ ٧٢٢٦٢١٦٥
المملكة العربية السعودية



المدلول التاريخي لحادثة الإسراء والمعراج كما يراها السهيلي في الروض الأنف

خالد عبدالكريم البكر
الرياض - السعودية

اعتنى قدامى المؤرخين المسلمين بموضوع الكتابة في السيرة النبوية عناية فائقة، فمنحوها قسطًا وافرًا من اهتماماتهم؛ وذلك لارتباطها الوثيق بالسنة النبوية. وما قد يترتب على دراستها من استنباط أحكام شرعية. فوضعوا عددًا من المصنفات التي خاضت في أدق تفاصيل حياة المصطفى صلى الله عليه وسلم، منذ ما قبل ولادته حتى انتقاله إلى الرفيق الأعلى، فتراكمت هذه المصنفات، وتشعبت موضوعاتها لتشمل المبعث، والهجرة، والمغازي، إلى جانب الدلائل والشمائل، حتى صار موضوع السيرة النبوية من الموضوعات الرئيسة في الكتابة التاريخية عند المسلمين.

ويلاحظ أن العلماء المسلمين تدارسوا السيرة النبوية بمناهج مختلفة، ونظروا إليها من زوايا متنوعة، فمنهم من عرضها عرضًا تاريخيًا صرفًا، تتبع فيه مراحل الدعوة إلى الإسلام سرًا فجهرًا، وما لقيه الرسول الكريم وأصحابه من أذى المشركين، ثم الهجرتين، إلى الحبشة فالمدينة، وما أعقب ذلك من المغازي النبوية، التي تُوّجت بفتح مكة، ووفود العرب إلى المدينة. ثم انتقال الرسول صلوات الله وسلامه عليه إلى جوار ربه. ومنهم من قرأها قراءة فقهية، فاستنبط الأحكام الفقهية من كل حدث تاريخي قام به الرسول الكريم. فمزج بصنيعه هذا بين الفقه والتاريخ؛ وذلك فيما يُعرف بـ (فقه السيرة)، كالذي فعله ابن قيم الجوزية (ت ٧٥١هـ) في كتابه «زاد المعاد في هدي خير العباد» الذي قدّم فيه معلومات مهمة عن تاريخ التشريع الإسلامي.

وصنفٌ ثالث من علماء الإسلام تناول السيرة النبوية بالشرح والتفسير، وخير مثال على هذا التوجه في التصنيف كتاب «الروض الأنف في تفسير السيرة النبوية لابن هاشم»، لمؤلفه أبي القاسم عبدالرحمن بن عبدالله السهيلي (ت ٥٨١هـ)، فقد أعلن المؤلف أن منهجه في الكتاب يقوم على أساس إيضاح ما وقع في السيرة النبوية - المدوّنة - من لفظ غريب، أو كلام مستغلق، أو نسب عويص، أو موضع فقه ينبغي التنبيه عليه، أو خبر ناقص يوجد السبيل إلى تتمته، وذلك حسبما جاء في مقدمته للكتاب.

ولا شك أن هذه المهمة العلمية تتطلب استعدادًا علميًا عاليًا، إذ يلزم صاحبها أن يكون عالمًا بالحديث والعربية، عارفًا بالآداب واللغات، ناقدًا للشعر، طويل الباع في معرفة أخبار العرب وأنسابها. ويبدو أن السهيلي كان كذلك. إذ جاء الكتاب مملوءًا بالتعليقات العلمية النافعة، والاستطرادات الماتعة، التي تشي بعلو كعبه في فنون العلم الشائعة في عصره، فكان يقف أمام حوادث السيرة النبوية شارحًا ومفسرًا حينًا، ومتأملاً حينًا آخر.

ولعل من بين تلك الحوادث التي وقف السهيلي عندها طويلاً فتأملها بيانًا بخياله الخصب: حادثة الإسراء والمعراج التي وقعت في السنة الخامسة من البعثة، وقيل العاشرة أو الثانية عشرة.

لقد نظر السهيلي إلى حادثة المعراج - على وجه التحديد - بحسه التاريخي، فقرأ فيها الخطوط العامة لحوادث السيرة النبوية مرتبة ترتيبًا زمنيًا، ونازعته نفسه إلى التماس أوجه الشبه بين ما شاهده الرسول صلى الله عليه وسلم في السماء، وما وقع له في الأرض.

فقد وجد السهيلي في رؤية النبي الكريم لآدم عليه السلام في السماء الأولى، شبهًا بالمرحلة الأولى من حوادث السيرة، فآدم أخرجه عدوه إبليس من الجنة ، وكذلك الرسول الله صلى الله عليه وسلم حين أخرجه كفار قريش من حرم الله وجوار بيته. وفي السماء الثانية رأى النبي الكريم عيسى ويحيى - عليهما السلام -،

ووجد السهيلي في ذلك شبهًا بالمرحلة الثانية من حوادث السيرة، فعيسى ويحيى امتحنا باليهود، فأما عيسى فكذبته اليهود وآذته وهموا بقتله فرفعه الله، وأما يحيى فقتلوه. وكذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد هجرته إلى المدينة، فقد امتحن باليهود، وآذوه وظاهروا عليه، وهموا بإلقاء الصخرة عليه ليقتلوه، فنجاه الله تعالى كما نجّى عيسى منهم، ثم سَمُّوه في الشاة، فلم تزل تلك الأكلة تعاوده، حتى قطعت أبهره عند الموت. وهكذا فعلوا بابني الخالة: عيسى ويحيى.

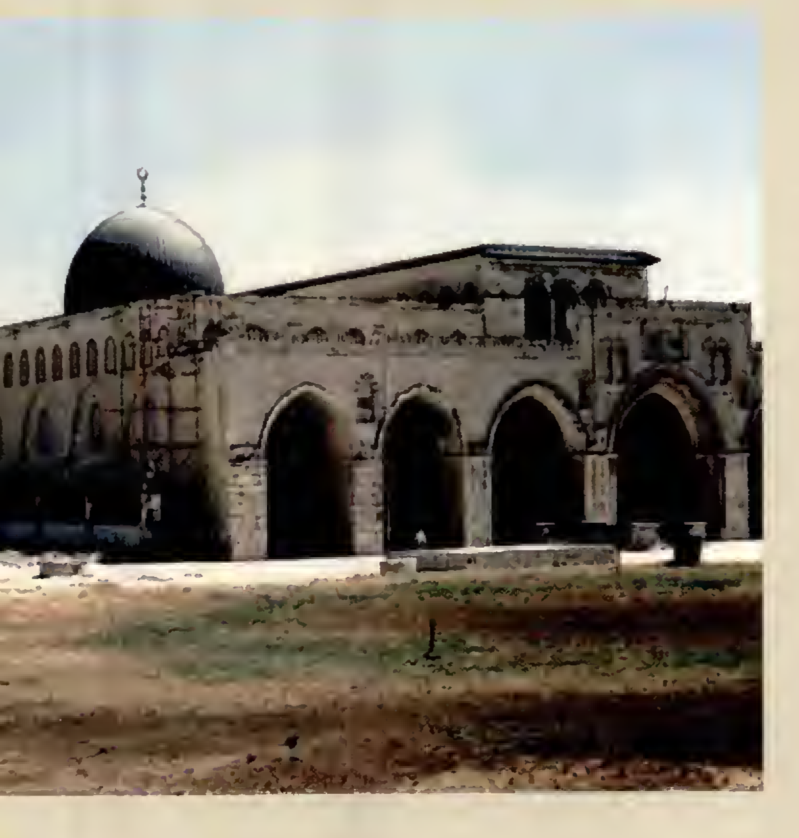
وأما لقاء يوسف عليه السلام في السماء الثالثة، فهو يؤذن بحالة ثالثة تشبه حال يوسف؛ وذلك أن يوسف ظفر بإخوته بعدما أخرجوه من بين ظهرانيهم فصفح عنهم، وقال: ﴿ لا تثريبَ عليكمٍ ﴾ [سورة يوسف:٩٢]. وكذلك نبينا عليه السلام، أسر يوم بدر جملة من أقاربه الذين أخرجوه، فمنهم من أطلق، ومنهم من قبل فداءه. ثم ظهر عليهم بعد ذلك عام الفتح (٨ هـ) فجمعهم فقال لهم: أقول ما قال أخي يوسف: لا تثريب عليكم اليوم.

وأما لقاء إدريس في السماء الرابعة، فيؤذن بمرحلة رابعة، وهي علو شأنه عليه الصلاة والسلام، حتى أخاف الملوك وكتب إليهم يدعوهم إلى طاعته. فكما أن إدريس قد خط بالقلم، فكذلك النبي الكريم كُتب عنه بالقلم إلى ملوك الأرض، فمنهم من اتبعه على دينه كالنجاشي، وملك عُمان، ومنهم من هادنه وأهدى إليه كهرقل والمقوقس، ومنهم من تعصى عليه فأظهره الله عليه.

ولقاؤه عليه الصلاة والسلام لهارون المحبّب في قومه، في السماء الخامسة، يؤذن بحب قريش وجميع العرب له بعد بغضهم فيه. ولقاؤه في السماء السادسة لموسى؛ يؤذن بحالة تشبه حالة موسى حين أُمر بغزو الشام، فظهر على الجبابرة الذين كانوا فيها، وكذلك غزا الرسول صلى الله عليه وسلم تبوك على أطراف الشام (٩هـ) وظهر على صاحب دومة الجندل حتى صالحه على الجزية.

وأما لقاؤه في السماء السابعة لإبراهيم عليه السلام، فلعله يدل على أمرين: أولهما أنه رآه عند البيت المعمور مسندًا ظهره إليه، والبيت المعمور حيال مكة، وإليه تحج الملائكة، كما أن إبراهيم هو الذي بنى الكعبة، وأذن في الناس بالحج إليها. والأمر الثاني هو أن المرحلة الأخيرة من حياة النبي صلى الله عليه وسلم، هي حجه إلى البيت الحرام، وقد حج معه نحو سبعين ألفًا من المسلمين.

إن المتأمل في هذه السوانح التي خطرت ببال السهيلي؛ ليتملكه الإعجاب بخصوبة خياله وحضور بديهته، وقدرته الفائقة



على الشرح والتفسير. ومع ذلك فما أورده السهيلي في هذا الصدد يظل محصورًا في دائرة (التأملات الماتعة) لا (الحقائق المطلقة)، وسيرة المصطفى صلى الله عليه وسلم حافلةٌ بالماتع والمفيد. وما أصدق قول أحدهم:

أعد الحديث فليس بالمملول

عن خير مبعوث وخير رسول